رسالة الكِنْدي

مع تعليقات ويليام موير

THE APOLOGY OF AL-KINDY
WITH COMMENTARIES OF WILLIAM MUIR

www.muhammadanism.org
December 3, 2006
Arabic

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

رسَالة
عبد الله بن إسمٰعيل الهاشمي
إلى
عبد المسيح بن إسحٰق الكِنْدي،
يدعوه بها إلى الإسلام؛
وَرسالة
الكندي إلى الهاشمي
يردُّ بها عليه، ويدعوه إلى النّصرانيّة

في أيّام أمير المؤمنين الخليفة العبّاسي المأمون

سنة ٢٤٧ هجريّة / ٨٦١ ميلاديّة

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يحتوي الملف الحالي على النص الكامل لرسالة عبد المسيح بن إسحٰق الكِنْدي، إضافةً لتعليقات ويليام موير على الرسالة والمأخوذة من الطبعة الثانية للرسالة الصادرة في لندن ١٨٨٧.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المحتويات

كلمة موير ٦
مقدمة بقلم موير ٧
رسالة الكندي ــ مقالة بصدد العصر والتأليف [قرئت لدى الجمعية الآسيوية الملكية] ١٠

نص الكتاب

تقديم ٢٣
رسالة الهاشمي ٢٥
جواب الكندي ٣٩

الثالوث ٤٠
حياة محمد ٤٩
الاغتيالات ٥٢
الغزوات ٥٣
زوجات محمد ٥٥
أعلام النبوة ٥٧
فتح فارس ٦٠
المعجزات ٦١
ردة العرب ٦٤
الشرائع والأحكام ثلاثة أوجه ٦٨
القرآن: مواده وكيفية جمعه ٧١
اللحن في القرآن، المادة والأسلوب ٧٧
الحوافز الدينوية ٨٠
اسم محمد على العرش ٨٣
تفضيل آل إبراهيم على العالمين ٨٤
طقوس الإسلام ٨٥
تحريم لحم الخنزير ٨٦
الحج ٨٨
حملات المسلمين ٩١
آيات متناقضة ٩١
الحرب كعلاج إلهي ٩٥
الشهداء، المسلمون والمسيحيون ٩٦
الحوافز الزائلة الفانية ٩٩
شفاعة محمد ١٠٠
دفاعاً عن الثالوث ١٠٢
عبادة الصليب ١٠٣
الفاتحة ١٠٤
ما عندي من أمر ديني ١٠٥
نبوات العهد القديم ١٠٦

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الكتب اليهودية المقدسة غير محرفة ١٠٩
حياة المسيح ١١١
رسالة الحواريين ١١٩
لا حاجة للمعجزات بعد الآن ١٢٤
الختام ١٢٥

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

كلمة موير

صدرت الطبعة الأولى من **رسالة الكندي** منذ خمس سنوات خلت. وقد أُستلّهت بـ **مقالة بصدد العصر والتأليف**، والتي كانت قُرِئت لدى **الجمعية الآسيوية**، ونُشرت في مجلة تلك المؤسسة. والاستنتاجات التي طُرحت في المقال لرأي المستشرقين العلماء لم تتعرض للاعتراض في أي مكان، وبالتالي يمكن قبولها الآن ببعض الثقة.

كانت **الرسالةُ** متداولةً على نطاق واسع بالنص الأصلي في الشرق، وتُرجمت إلى لغة الهند العامية. ولهذا صار من الواجب أن يكون مضمونها متاحاً بالإنجليزية لمبشرينا وآخرين مهتمين بالعمل، إضافةً للبراهين التي تأسست عليها حجة أصالة الكتاب. ومن أجل هذه الغاية أساساً صدرت الطبعة الحالية.

و.م.

جامعة إدنبره

كانون الثاني (ديسمبر) ١٨٨٦.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مُقَدِّمَة

بقلم موير

إنّ هدفي الرئيس، وأقول مباشرةً، من المشروع الحالي، وضع **رسالة الكنـــدي** بـــين أيدي أولئك الذي سيستعملونها لفوائد الديانة المسيحية.

في نفس الوقت، وبعيداً تماماً عن الجانب الديني، تحوز الرسالة على أهميـــة خاصـــة بحد ذاتها. ويعود اهتمامي بها، في بادئ الأمر، إلى **إرسالية جمعية العون التركية**، التي قامت بطبع النص بعناية فائقة من مخطوطيْن غير كامليْن. إن مطالعةً خاطفـــةً أقنعتنـــي بأهميتهـــا الجدلية العالية، وكذلك أصالتها التي لا جدال فيها، التي تعود إلـــى القـــرن الثالـــث الهجـــري (حوالي ٨٣٠ م) ــ تاريخ تحرريها. وعقب ذلك أصدرتُ مسودةً، ببعض الفقرات في **المبشـــر الهندي النسوي**.[1]

ودراسة إضافية للرسالة زادتني قناعةً. وقد ذكر الكاتب المعروف البيروني (حـــوالي ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م)، الرسالة باسم رسالة «**عبد المسيح بن إسحٰق الكندي**». إن هـــذا الاستشـــهاد بينما يبرهن على تداول العمل في القرن التالي على تدوينه، فإنه يحـــدث خلطـــاً فـــي أذهـــان البعض بين كاتبنا والكندي المشهور («أبو يوسف ابن إسحٰق»)، «فيلسوف الإســـلام»، الـــذي نشط أيضاً لدى بلاط المأمون. وهذا ما دفعني للبحث بشكل دقيق بخصوص مسألة التأليف.

بدون أدنى شك كان «الفيلسوف» محمدياً عالمّاً، وهذا ما يبدد فكرة أنه ربما كـــان لـــه أي دور في **الرسالة**. لكن بني كندة (المشتق من اسمهم لقب **الكندي**، والذي يعني المنتسب إلى تلك القبلية) كانت تشكل عشيرة عظيمة بنفسها، اندفعت من الجنوب، وانتشـــرت فـــي وســـط وشمال الجزيرة العربية، وكان لها في القرنيْن الخامس والسادس الميلادييْن دورٌ مميـــزٌ فـــي تاريخ شبه الجزيرة.[2] ولدى نشوء الإسلام، ورغم أن القسم الأعظم من القبيلة كـــان برئاســـة الأشعث المشهور، انتقل إلى دين محمد، فإنّ أقلية لا بأس بها بقيت محافظـــة علـــى الديانـــة المسيحية؛ وفي عهد المأمون، أنجبت هذه القلة عدداً كبيراً بحيث برز منها رجال مشـــهورون آخرون يحملون لقب **الكندي**، إلى جانب الفيلسوف الكبير. وليس ثمة شك بأن كاتبنا ينتمي إلى هذا الفرع من قوم كندة. والبرهان الداخلي (بعيداً تماماً عمّا يوفره الاستشهاد مـــن البيرونـــي)

[1] "Indian Female Evangelist." London: Nisbet & CO., April, 1881, Art. I.
[2] See "Life of Mabomet" (1st edition), vol. i. p. clxxiii. *et seq.*

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يوفر الاستدلال الأقوى بأن هذا العمل، وفق تصريحه، يهدف تحديداً إلى الدفاع عن الديانة المسيحية جدلياً بوجه الدين المسيطر في بلاط الخليفة المأمون. وإن المقال التمهيدي خُصص للبرهنة على ذلك.

وبعيداً عن أهميتها الأدبية والتاريخية، فإن **الرسالة**، على أي حال وكونها، عمل مثار جدل، يمكن أن تتيح الوقوف على المسائل الجدلية اللاهوتية. على الرغم من أن جزءاً معتبراً ضعيفٌ وغير حاسم في حججه، وبعض الأشياء موضع تساؤل في الواقع، ومليئة بالنعوت القاسية للأديان الإسلامية واليهودية والمجوسية التي كان يمكن أن تُخفف بشكل ملموس، وإذا أخذنا بالإجمال، فإن الحجة من وجهة نظر الجدل اللاهوتي، قُدمت بحكمة وبراعة، وهي تتميز في كل الرسالة ببلاغة اللغة العربية. إن معاجلة الإسلام حادة بحيث أن تداول **الرسالة** لا يمكن أن يكون مقبولاً في أي دولة محمدية واهنة ومتعصبة. وبالفعل، باستثناء الخلفاء المعتزلة، وربما أيضاً أكبر العظيم، فليس محتملاً أن حكومةً محمدية في أي عصر لم تجد ضرورة لإتلاف العمل شديد الخطورة على الإسلام، والمعاقبة عليه بأشد القصاص والجزاء.[1] لكن فيما يخصّ أقاليمنا، فإن الوضع مختلف. وبكل تأكيد فإن ظهور الرسالة مكتوبة ومتداولة في بلاط الخليفة العباسي، لا يمكن أن يكون محل اعتراض في سلطات المدافع عن الديانة المسيحية.

وبالتالي، وفق هدف تسهيل استعمال وترجمة الرسالة، أو المختارات منها، قمت بكتابة تحليل كامل لمحتوياتها، مع ترجمة مكثفة لمعظم مقاطعها المهمة. وإذا ما كان يجب إجراء اختصار إضافي فهذا متعلق بالاعتبارات المحلية.

وبوصفها منتجاً قديماً ومحلياً للمسيحية الآسيوية، فإن الرسالة تحوز لا على أهمية كبيرة بالنسبة لنا في العالم المسيحي، بل لها صلة عملية بالجدل عينه الذي ما زال جارياً في الشرق. إن المدافع المسيح غالباً ما يُقال له إنه أنتج مسيحاً ذا سمات وتعاليم قولبت وفق النموذج الأوربي؛ وبالتالي، فإنه صاحب دين موافق للغرب، وغريب عن العقل والعرف الآسيويْن. وهذا على أي حال لا يصحّ بشأن مدافعنا. عربيّ من العرب، وُلد ونشأ منذ ألف سنة مضت في صرحاء بني كندة، الكندي الذي يقدم نفسه ودينه في حلّةٍ ولغة آسيويتيْن بشكل خالص. وإن المعترضين سيجدون بأن الإنجيل لا يتغير لا بمرور الوقت ولا بتبدل البيئة، وإن مسيحية الكندي لا تختلف مادياً لا بالشكل ولا بالمحتوي (ربما خلا بعض المزاج المتقد والخيال الحي للمناظر الآسيوي) عما يشرحها المبشر في وقتنا الحالي.

[1] أخبرني الدكتور لانسينگ، العالم الأمريكي المبشر بالقاهرة، أنّ القانون السابق لمصر يقضي في حال العثور على المخطوطة في أي بيتٍ أنْ يهدم ذلك البيت وأربعين آخر محيط به.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لم أسعَ إلى نقل بلاغة الكندي في هذه الصفحات، لكن ألزمت نفسي بمحتوى ومعنى البرهان. إن الجدل اُختصر في كل مكان، لا بل في بعض المواضع المترجمة قُدم النص بدون ركام النعوت، وغزارة الحشو، الذي يطيب لمؤلفنا الاستفاضة بها. وحتى لو كنت أحوز على أهلية المهمة، فإن العمارة المختلفة للغتنا ستحول دون أي محاولة مني للمحاكاة. ولكي يحصل المرء على تصور كافٍ عن المد المندفع لبيان الكندي، فعليه قراءة الأصل. وعلى أي حال، بالنسبة للترجمة إلى اللغات الشرقية مثل الفارسية والأوردو، فإن نقل النص من ناحية الأسلوب وروح المؤلف ستكون بدون صعوبة تذكر.[1]

لقد انسلخت الآن ست وثلاثون سنة، على طلب الدكتور پفاندِر، كتابة رأي حول أبحاثه الثلاثة الممتازة بشأن الجدل المحمدي، في **استعراض كلكوتا.**[2] إن الأثر التي أحدثته في كل من الهند وتركيا، لم يكن بالقليل. ولن يكون استخفافاً بها القول إنَّ من المتوقع أن تحدث **رسالة الكندي** صدى أكثر قوةً بشكلٍ لا يضاهى. ذلك إن بطل المسيحية هذا، كان نفسه ابن الشرق، من محتد عربي رفيع، علاوة على ذلك مسيحي بالمولد، وفيلسوف، وحاضراً مكرماً لدى بلاط المأمون، وهذا ما يضيف وزناً استثنائياً لمحاججة الرسالة، دعْ عنك قيمتها بحد ذاتها. بينها وبين أعمال پفاندِر، ثمة فقط اختلاف بين دراسة مقالة، والاستماع إلى بيان متقد ومشبوب العاطفة للمحامي في دفاعه الخاص؛ بين قراءة وصف معركة، ومشاهدة بأم العين صراعٍ ضارٍ للمعركة نفسها.

الشكر العميق إلى **إرسالية جمعية العون التركية**، على تقديرها السريع لقيمة **الرسالة**، والعناية المولاة في تقديمها إلينا نصاً محرراً بغاية البراعة والعناية، على الرغم من النقص في المخطوطات.[3]

و. م

لندن

١ كانون الأول (ديسمبر)، ١٨٨١.

---

[1] [نص الرسالة في الملف كامل.]

[2] "Calcutta Review," vol. viii. Art. VI.

[3] تدين **إرسالية جمعية العون التركية** بالتحرير الدقيق للنص إلى جهود وأستاذية الدكتور تين، الذي أنتج نصاً واضحاً للغاية من مواد غير تامة؛ ويستحق الكثير من الفضل على ذلك.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

رسالة الكندي

مقالة بصدد العصر والتأليف

[قرئت لدى الجمعية الآسيوية الملكية]

بينما كان البيروني يصف طقوس الصابئة في كتابه **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، والمكتوب ١٠٠٠م (٣٩٠هـ) فإنه ذكر رسالة **ابن إسحٰق الكندي، المسيحي**، بالكلمات التالية:

> وكذلك حكى عبد المسيح بن إسحٰق الكندي النصراني عنهم (أي الصابئة) في جوابه عن كتاب عبد اللّه بن إسمٰعيل الهاشمي أنَّهم يعرفون بذبح الناس، ولكن ذلك لا يمكنهم اليوم جهراً.[1]

إن العمل الوارد ذكره أعلاه صدرَ مؤخراً من جانب **إرسالية جمعية العون التركية**، بالعربية، بالعنوان التالي «رسَالة عبد اللّه بن إسمٰعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحٰق الكِنْدي، يدعوه بها إلى الإسلام؛ وَرسالة الكندي إلى الهاشمي يردُّ بها عليه، ويدعوه إلى النّصرانيّة».

ونعلم إن الكتاب، من ملاحظة في النهاية، طُبع من مخطوطتيْن تمت حيازة الأولى من مصر، والثانية من استنبول. ولا تحتوي أي منهما على اسم الناسخ، ولا سنة النسخ. وحسب الملاحظة فكلتاهما مليئتان بالأخطاء. بيد أن الكتاب قد حرر بحرص وبراعة، وبالأجمال يمكن اعتباره إعادة إنتاج دقيقة للأصل. بدون ريب أن المحرر (الدكتور تيان) يستحق عظيم السمعة على الطريقة التي أُنجز بها العمل. وأبدأ بتقديم عرض مختصر للعمل.

إنّ الرسالتيْن مجهولتا الاسم، وقد استهلّتا بمقدمة قصيرة:

بسم اللّه، الواحد، الصّمد

[1] "Chronology of Ancient Nations," p. 187, by Dr. Sachau. London, 1879.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ذُكر أنَّه كان في زمن عبد اللَّه المأمون رجلٌ من نبلاء الهاشميّين، وأظنه من ولد العباس، قريبٌ القرابة من الخليفة، معروفٌ بالنّسك والورع والتّمسك بدين الإسلام، وشدة الإغراق فيه والقيام بفرائضه وسننه، مشهورٌ بذلك عند الخاصّة والعامة. وكان له صديق من الفضلاء ذو أدب وعلمٍ، كِنْديُ الأصل، مشهورٌ بالتّمسك بدين النّصرانيّة وكان في خدمة الخليفة وقريباً منه مكاناً. فكانا يتوادّان ويتحابّان، ويثق كلّ منهما بصاحبه وبالإخلاص له. وكان أمير المؤمنين المأمون وجماعة أصحابه، والمتَّصلون به قد عرفوهما بذلك. وكرهنا أنْ نذكر اسميهما لعلةً من العلل. فكتب الهاشميُّ إلى النَّصرانيِّ كتاباً هذه نسخته.

بعد ذلك تأتي فوراً رسالة الهاشميّ، الذي يذكّر صديقه أنه رغم كونه محمديّاً، لكنّه عارف بالكتب المقدسة، وبطقوس ومذاهب النحل المسيحية المختلفة؛ ومن ثم يتقدم لشرح تعاليم الإسلام، ويدفع به لقبوله. وهو يسأل صديقه الإجابة بدون خوفٍ أو منّة، ويوعده ضمانة الخليفة بعدم وقوع الأذى عليه جراء حرية التعبير في مناقشة فضائل دينهما الخاصة. ويبدأ الكندي جوابه بالتالي:

فأجابه النّصراني

بسم اللَّه الرَّحمٰن الرحيم

ربّ يسّر ولا تعسّر ربِّ تمم بالخير.

إلى فلانٍ بن فلانٍ، من فلان بن فلان، أصغر عبيد المسيح. سلامة ورحمة ورأفة وتحيات تحلّ عليك خاصّةً، وعلى جميع أهل العالم عامةً بجوده وكرمه! آمين.

وبعد ذلك يشرع فوراً بتناول حجج صديقه نقطةً بنقطة.

تشغل رسالة المسلم ٢٣ صفحة وحسب من أصل ١٦٥ صفحة من النسخة المطبوعة؛ وجواب الكندي ١٤٢ صفحة الباقية. وبينما يورد مدافعنا ذكر شخص محمد باحترام، فإنه يشجب بقوة دعاويه أنه نبي، ويهاجم كامل منظومة الإسلام بقسوة لا هوادة فيها. والقسم الأخير من الرسالة مخصص لبراهين المسيحية، وحياة وتعاليم مخلصنا. وبرأينا فإنَّ المحاججة ليست متسقة؛ ولا الآراء أيضاً (ففي كل مكان مشوبة بالنزعات العلوية والعباسية الخاصة بذلك العهد)، أما تلك المتعلقة بحياة النبي والخلافة الباكرة، فهي صحيحة دائماً. ولكن

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بالإجمال، فإن الحجة معبر عنها ببراعة عظيمة وجزالة، واللغة على طول النص متأنقة، غنية، وبليغة. ومقاطع كثيرة بشأن الجهاد (الحرب الدينية) والشّهادة هجائية على نحو استثنائي، وذات بلاغة واتقاد. ومن الواضح أن الرسالة خطها عالم فريد.

ليس ثمة شك بأن الكتاب فعلياً هو نفسه الذي أشار إليه البيروني. ففي الصفحة ٢٥ نجد المقطع الذي استشهد به والذي أشرنا إليه في مستهل هذه الورقة. ويكتب فيها مدافعنا:

> فقد علمنا، يرحمك اللّه، أنَّ إبراهيم إِنَّما كان نازلاً بحرّان مع آبائه تسعين سنةً لم يعبد إلاَّ الصنم المسمَّى العزَّى، وهو المعروف بحران المتَّخذ على اسم القمر، لأن أهل حرّان إنّما كانوا يعبدون هذا الصّنم وتلك البقية قائمة فيهم إلى هذه الغاية. لا يكاتمون بها ولا يسترون منها شيئاً، غير القرابين التي يتخذونها من الناس. فإنَّ ذبح الناس لا يتهيأ لهم اليوم جهراً بل يحتالون فيه فيفعلونه سراً.

وفي المقدمة القصيرة الواردة أعلاه، يُلاحظ أن المراسلة جرت لدى بلاط **المأمون** (١٩٨ ــ ٢١٨هـ). ولدى نهاية المخطوطة المصرية نقرأ الملاحظة التالية:

> بلغنا أنه قد انتهى الأمر إلى المأمون في خبر الرسالتيْن؛ فأمر بإحضارهما، وقُرأتا عليه، فلم يزل صامتاً حتى جاء إلى آخرهما. فقال: «ما كان دعاه إلى أنْ يتعرّض لما ليس من عمله وحتى أجاد» (وأضاف الخليفة) «والدين دينان أحدهما دين الدنيا والآخر دين الآخرة، أما دين الدنيا فالدين المجوسي، وما جاء به زردشت؛ وأمّا دين الآخرة فهو دين النَّصارى، وما جاء به المسيح. وأما الدين الصحيح فهو التوحيد الذي هو دين صاحبنا. فإنّه الدين الجامع الدنيا والآخرة». ــ ص ١٦٥.

تنقص في مخطوطة استنبول هذه الملاحظة. وهي بدون شك إضافة إلى الرسالة الأصلية؛ ولكن لا يوجد ما يساعد تحديد درجة قدمها.

وناحية أخرى، فإن كلتا المخطوطتين ذات مقدمة قصيرة، وعلى الأرجح شكلت التمهيد للمناقشة كما ظهرت في أول الأمر. على أي حال، ما عدا أنها تعطي اسم الخليفة، فالمقدمة لا تضيف شيئاً إلى ما كنا توصلنا إليه من محتويات الرسالتين نفسيهما بشأن شخصية المتناظرين، أي كلاهما عاشا لدى بلاط الخليفة؛ وإن المحمدي كان ابن عم الخليفة، هاشمي

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

من سلف عباسي؛ وإن المسيحي كان رجلاً عالماً في نفس البلاط، عالي المقام من قبيلة بني كندة، وأنه محل شرف واحترم المأمون ونبلائه. بيد أنه لم يُذكر اسمي المتناظرين أو أي معلومات أخرى لدواعي الحيطة: «وكرهنا أنْ نذكر اسميهما لعلة من العلل».

بكل الأحوال، يتضح من نص البيروني أنّ الرسالة كانت معروفة في عصره (٣٩٠هـ) باسم «جواب عبد المسيح **بن إسحٰق** الكِنْدي، على رسَالة عبد اللّه **بن إسمٰعيل** الهاشمي». وبدون أدنى شك، فإن لقبي عبد اللّه وعبد المسيح اسمان مستعاران. ومن المحتمل أن الاسمين الآخرين (المشددين) كذلك: إسحٰق وإسمٰعيل يرمزان، حسب الآباء الخاصين، إلى المتخاصمين المسيحي والمسلم.

بغض النظر إنْ كان ذلك صحيحاً أم لا، فإن اسم **ابن إسحٰق الكِنْدي** أوجد فرضية في بعض الأحيان بأن مدافعنا كان نفسه «فيلسوف الإسلام»، أبو يوسف بن إسحٰق الكِنْدي، الذي نشط أيضاً في بلاط المأمون وخلفائه. على أي حال، لا يوجد أي شك بأن الكندي المشهور كان محمدياً بالديانة. وربما لم يكن معتنقاً صارماً للديانة بوصفه فيلسوفاً، لكن بكل الأحوال، ليس ثمة من سبب للافتراض بأنه كان لديه أي ميل نحو المسيحية: بل على العكس (كما سنرى فيما بعد)، كتب بحثاً لدحض عقيدة الثالوث. وابن إسحٰق هذا، أو جده كان حاكماً للكوفة، وهذا الموقع لا يمكن أن يشغله، بالطبع، غير محمدي؛ وقِيل أن الأشعث جده الأبعد، وهو زعيم بني كندة المشهور، الذي اعتنق الإسلام في عهد محمد، وتزوج أخت أبي بكر؛ في حين يفتخر مدافعنا بأصله المسيحي.

وبشأن الفيلسوف الكندي، يقدم دي ساسي ملاحظة ممتعة. فبعد أن يبين بأن ديربِلو كان مخطئاً في اعتباره يهودياً،[1] ويورد مرجع أبي الفرج وابن أبي أُصَيْبِعَة لاعتباره مسلماً، فإنه يذكر ثلاثة أسباب يمكن أن تثار ضد هذه النظرة. **أولاً**، في فهرس المؤلّفات ليس ثمة ما يتصل بالقرآن أو الإسلام. **ثانياً**: كان الكندي أحد مترجمي أرسطو، وملماً بالإغريقية والسريانية؛ وهذا الضرب من الرجال كان غالباً مسيحيين. **ثالثاً**: في "Bibliothèque Impériale" ثمة مخطوطة (٢٥٧)، بعنوان **دفاع الديانة المسيحية** (متطابقة بشكل ظاهر مع رسالتنا)، مكتوبة بالأحرف السريانية، ولكن باللغة العربية، واسم مؤلفها **يعقوب الكندي**.

من هذه الاعتراضات (يتابع دي ساسي) فإن الاعتراض الأخير، فحسب، يستحق الاهتمام؛ ولكن بالوسع توجيه اعتراضات معاكسة: لم يُسمَّ المؤلف في

[1] حول ذلك، انظرْ ملاحظات سلِن «ابن خلكان»، المجلد الأول، ص xxvii و ٣٥٥.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المقدمة. ورُوي أن العمل مكتوب من قبل شخص مسيحي كندي النسب، ملتحق ببلاط المأمون. ويُسمى «رسالة الكندي، **اليعقوبي**[1]». وعلى الأغلب، نُسب إلى تأليف يعقوب الكندي جراء إساءة التفسير، أو التقدير المتزايد لقيمة العمل. ويصبح هذا الشكّ أكثر قوةً، لأنه في فهرس المؤلفين السريان، تأليف عبد يسوع، نجد كندياً محدداً اشتهر بأنه مؤلف مبحث ديني؛ والكندي محل البحث، هو نفسه بدون شك، كاتب مخطوطتنا السريانية (٢٥٧)، أو على الأقل، المفترض أنه ذلك ــ عاش وفق مؤرخ أورده أسّمانوس حوالي ٨٩٠ م (٢٨٠هـ)، وهو التاريخ الذي لا يحتمل بأن يعقوب الكندي قد وُجد فيه... وبالنسبة للاعتبارات الأخرى، بمقدورنا الافتراض أن الكندي، أثناء العمل على دراساته الفلسفية، قد اعتنق آراءً معارضة للتقليدية المحمدية، وهذا ما وضع إيمانه محلّ شك، وهو الأمر الذي جرى مع فلاسفة مسيحيين كثر، وبين اليهود حصل مع [موسى] ابن ميمون المشهور.

لكن هذا **الكندي** المذكور باسم عبد يسوع، أياً كان هو، لا يمكن أن يكون مدافعنا، لأنه نشط قرب نهاية القرن الثالث الهجري، في حين أن الرسالة (كما أرجو أن أبرهن أدناه) كانت من كل بدّ مكتوبةً أيام حكم المأمون، قرب بداية القرن الثالث الهجري. وثمة مقطع من أسّمانوس، أورده دي ساسي، وهو ملاحظة على الفصل المئة والأربعين لفهرس عبد يسوع (على آية سريانية) للمؤلفين المسيحيين. وهذا هو نص البيت الشعري والملاحظة:

[الآية] ــ CANDIUS fecit ingens volumen Disputationis et Fidei.

[الملاحظة] ــ Candius : ابن كندة Ebn Canda, hoc est Candiae filius؛ الذي ازدهر في ظل البطريرك النسطوري يُوحَنَّا الرابع، سنة ٨٩٣ م. ويشير آخرون إلى المؤلف أبي يوسف يعقوب بن إسحٰق الكندي؛ لكنه حسب پوكوك وأبي الفرج، كان محمدياً... في حين أنّ ابن كندة الذي يذكره عبد يسوع كان نسطورياً، وليس محمدياً، وكتب باللغة السريانية، وليس بالعربية.[2]

إذا كانت قد أُضمرت أي شكوك بشأن مبادئ ابن إسحٰق الدينية، فإنه يجب أن تبدد بواقعة أنه كتب بحثاً لنقض مذهب الثالوث. وقد رد عليه يحيىٰ بن عدي، الكاتب اليعقوبي،

---

[1] **كتاب الكندي اليعقوبي**. إن هذا بالطبع خطأ، لأنَّ مدافعنا كان نسطورياً مخلصاً. وربما كان هنالك كندي يعقوبي آخر؛ ولعلّ نعت ابن يعقوب قد أسيء فهمه واستعماله.

[2] "Bibliotheca Orientalis," Assemani, A.D. 1725, vol. iii. p. 213. إنّ الافتراض بأنه كتب بالسريانية لا أساس له. بيد أن المبحث قد ترجم على الأرجح إلى تلك اللغة، كما أنه نقل من اللغة الأصلية إلى حروف الكتابة السريانية.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الذي ظهرت كراسته تحت رقم ١٠٨ في قائمة شتاينشنايدر.[١] وهي نفسها في مكتبة الفاتيكان (Codex, 127, f. 88)، وقد انتسخها لي بعطف البروفيسور إيگن. گيدي. في هذا المبحث، أُورد نقد ابن إسحٰق ورُدّ عليه مقطعاً مقطعاً؛ وفحوى الكتابة لا تترك مجالاً للشك بعداء الكاتب للمسيحية.

وبناءً على هذه الأسس، علينا أن نبحث بشكل قاطع عن مؤلف رسالتنا في مكان آخر.[٢] ولكن قبل القيام بذلك، من الملائم أن نلاحظ حدس دي ساسي، بأن الدفاع ربما نسب إلى ابن إسحٰق الكندي، إما بإساءة الفهم، أو الخداع الناجم عن «الورع» بهدف إضفاء المزيد من الشهرة والأهمية.

بالنسبة لسوء الفهم المفترض، من المستبعد، في الواقع، أن الرسالة قد نُسبت إليه وقتها قط، والأمر يعود إلى الحدس المجرد لاحقاً. إنّ سوء الفهم، مهما كان، قد نشأ بشكل جلي من تشابه الاسم والقبيلة، اللذان وردا في شهادة البيروني.

إنَّ الرأي بأن ورقة مخصصة لنقد الإسلام ودعم المسيحية ستكسب المزيد من القوة إذا نُسبت إلى فيلسوف محمدي، من غير الممكن أن تكون محل اعتبار جدي، كما أعتقد. ما هو المكسب المنتظر من محاولة نسب عمل جدلي من هذا النوع لعدو الديانة المسيحية ــ إضافة لذلك، الكاتب نفسه الذي هاجم إحدى العقائد الرئيسة؟ إلى جانب ذلك، ليس ثمة من أثر في الرسالة نفسها لمخطط يتأسس على مرجعية اسم كبير. وكما رأينا، فإن هوية المؤلف قد أُبقيت بعناية طي الكتمان. وإن الأمر المشترك مع «الفيلسوف» والمؤلف، الذي يظهر على طول العمل، أن كليهما كانا عالمين، ويشتركان باللقب القبلي الواحد: **الكندي**؛ لكن القبيلة كانت بالتأكيد كبيرة وبارزة بشكل كافٍ بحيث تنتج أكثر من أديبٍ ونبيل في بلاط المأمون.[٣] وإذْ نترك الآن «الفيلسوف»، فإنه يمكننا المتابعة، بالتالي، إلى دراسة الشاهد الداخلي الذي يزودنا به الكتاب نفسه حول عصره ومؤلفه.

---

[1] "Pol. und Apolog. Literatur in Arab. Sprache," Leipzig, 1877, p. 126.

[2] إن أولئك المهتمين بمواصلة البحث أبعد، سيجدون مقالاً مفصلاً بعنوان (Al Kindi der Philosoph der Araber," "Ein Vorbild seiner Zeit und seiner Volkes,") للدكتور گ. فلوگل. إن الورقة مستندة بشكل رئيس على مرجعية ابن أبي أُصَيْبِعَة و[جمال الدين] ابن القفطي، هي مشبعة درساً وشاملة. وثمة رسالة تنجيمية لافتة للنظر تأليف نفس الكندي، مُقدمة من جانب الدكتور أوتو لوت، ص ٢٦١، "Morgenliindische Forschungen,"، لايپسيگ ١٨٥٧. وتُجعل الاقترانات الفلكية سبباً لحلقات تاريخ الجزيرة العربية، وتنتهي المقال بالنبوة حول صعود الإسلام النهائي على جميع الأديان.

وكذلك هناك مقال موجز مع قائمة شاملة بأعمال ابن إسحٰق بن جُلْجُل الأندلسي في ("Bibliotheca Escurialensis," Casiri, Matriti, A.D. 1760, vol. i. P. 357.).

[3] انظر المقدمة، أعلاه.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لقد ذكرتُ أن اسم المأمون، رغم أنه ورد في المقدمة، لم يُذكر في أي من الرسالتيْن نفسيهما. بيد أن الطراز المُشار فيه للخليفة في الرسالتيْن، يتفق بالكامل مع فرضية أنهما كُتبتا لدى هذا البلاط. فهو يُذكر على أنه ابن عم الكاتب المسلم؛ ويقرّ الكندي مراراً بحكمه العادل والمتسامح؛ ويُشار دائماً إلى جيل من سلالة أسرة محمد مجدداً، ويدعو المؤلف بأن تبقي الإمبراطورية دائماً في صف حاميه. وكل ذلك طبيعي بشكل تام، وفي تماسك كامل مع نسبة العمل إلى أحد من حاشية المأمون.

وليس أقل من ذلك ما يلاحظ من أن الإشارات التاريخية مناسبة ودقيقة. فعلى سبيل المثال، عند تقصي مصير نسخ القرآن الأربعة التي أرسلها عثمان إلى مدن الإمبراطورية الرئيسة، فإن مدافعنا يخبرنا بأن مصحف المدينة فُقد «في أيام الحيرة؛ وهي أيام يزيد بن معاوية»، ومخطوطة مكة قد ضاعت أو احترقت لدى سلب المدينة من قبل أبي السرايا «وهو **آخر** سلب سلبت الكعبة».[1] وهذا بالضبط ما يكتبه ويقوله المرء بعد ما يقارب خمس عشرة سنة على الحدث، في حكم المأمون؛ ذلك أن حصار مكة كان آنذاك، في واقع الأمر، آخر حصار، جرى على يد أبي السرايا، في سنة ٢٠٠هـ. ولو كانت الرسالة قد كتبت لاحقاً، مثلاً في القرن الربع الهجري، فإن «آخر سلب» لمكة لن يكون من جانب أبي السرايا، بل من قِبل سليمان أبو طاهر سنة ٣١٧هـ. وفي تصوير سلب ونهب الحملات الإسلامية المبكرة، فإن الكندي يذكر الصفة اللصوصية والمدمرة المشابهة لتمرد بابك الخرّمي، والخطر والقلق بسببها «الذي تناهى إلى سيدنا أمير المؤمنين، وإلينا خبره بما عمل وارتكب من ظلم الناس»، وحسب ما نعلم فإن هذا الزعيم المتمرد، قد رفع راية الثورة في فارس وأرمينيا لبضع سنوات قبل أن يتوجه جيش الخليفة، وبقي مدة طويلة في مواجهة قوات الإمبراطورية؛ والملاحظة، بوصفه الخطر المباشر الذي شغل الناس آنذاك، هو على وجه الدقة ما سيكون طبيعياً وفي محله في ذلك الوقت، وليس أمراً آخر.[2] وعلاوة على ذلك، لدى تحديه صديقه بأنْ يأتي بنبوءة واحدة تحققت منذ عهد محمد، فإنه يحدد الوقت المنقضي «نيف ومائتا سنة» ويستعمل عبارة دقيقة للإشارة إلى العهد، بحيث أن المرء يتوقع من قلم إنسانٍ يكتب ذلك حوالي ٢١٥هـ، تاريخ كتابة العمل المفترض.[3] بينما الإشارات العرضية إلى تواريخ والوقائع التاريخية على هذا النحو متطابقة ومتناسبة مع العهد المعترف به للعمل، فليس ثمة على طوال النص مفارقة تاريخية أو

---

[1] انظر لاحقاً.

[2] أنظر لاحقاً. والاسم مطبوع «أتابك الخزمي». ولكن ليس ثمة شك بأن الكتابة الصحيحة هي «بابك خرمي».

[3] «لأن هذه نيف ومائتا سنة قد مضت منذ ذلك الوقت». إن الفتوى ضد دغما أبدية القرآن قد صدرت، كما أعتقد، حوالي ٢١١ أو ٢١٢هـ، ومناقشتنا جرت على الأرجح بعد سنة أو اثنين، لنقل ٢١٥هـ.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إشارة متكلفة أو غير طبيعية، ــ وهذا في كتابة امرئ في عهد متأخر، ويجوب على مجال واسع، سيكون أمراً غير الممكن.

إنّ التلميحات السياسية الموفقة والملائمة هي الأكثر إدهاشاً، القريبة لا إلى تقاليد الأسرة العباسية، بل إلى البلاط الذي أصبح مناصراً للحزب العلوي، الذي اعترف بالمعتزلة ذوي الآراء التحريرية الذين أقروا للتو بأن القرآن مخلوق وليس أزلي. وقد شُجبت السلالة الأموية بشكل سامٍ؛ وسُمّي عهد يزيد «أيام الحيرة»؛ وأُشير إلى الحجاج، المستبد والذي نُسب إليه أنه حرّف القرآن، بعبارات مرّة كانت سائدة في ذلك العهد. واُعتبر أبو بكر، وعمر وعثمان مغتصبي الحق الإلهي بالخلافة التي (كما تعني) عُهد بها إلى علي [ابن أبي طالبٍ]. ولست بحاجة للإشارة كيف أن هذا ينسجم مع الآراء السائدة في بلاط المأمون؛ والتي لن تكون محل تسامح بعد ما يقارب أربعين أو خمسين سنة.[1]

إنّ حرية معالجة كاتبنا للإسلام لن تكون متاحة إلاّ في بلاط متحرر. لقد نحّى دعاوي محمد النبويّة، واستهجن بعض تصرفاته بأشد العبارات، وشجب طقوس الإسلام، لا سيما تلك المتصلة بالنساء، وأدان الجهاد بأقسى شجبٍ. من الصعب تصوّر كيف تم التسامح مع رأي صريح حتى في بلاط المأمون؛ وفي أي بلاطٍ آخر، لم يكن للرسالة فرصة لأن ترى النور، أو أن يفلت الكاتب برأسه. وإن العمل (كما نعلم) منتشر ويعود فقط إلى أنه ظهر في هذا العصر الخاص.

وهذه الملاحظات أشدّ ما تنطبق على الفصل الخاص بالقرآن، إذْ يبدو على أرجح الاحتمالات أن الرسالة قد كُتبت بوقت قصير على الحكم المشهور للمأمون الذي ينكر فيه الوجود الأزلي لكتاب المسلمين المقدس. لقد هاجم مؤلفنا نظم القرآن بأسلوب شديد المضاء. في البدء راهب مسيحي أوحي به، ومن ثم قام أحبارٌ بإقحام قصص وخرافات يهودية. لقد تم جمعه بطريقة غير دقيقة وكيفما اتفق. إلى جانب النسخ المنقحة التي أصدرها عثمان المستبد (التي أفسدها الحجاج لاحقاً)،[2] ــ كان لعلي، وأُبي بن كعب، وابن مسعود، لكلٍّ منهم مصحفه المستقل. وإذْ كان قد جُمع، إنْ لم يكن قد أُلِّف جزئياً، بأيدي مختلفة، وحُرر بشكل غير منظومي، فإنّ النص بالتالي ملئ بالتعارضات، والتنافرات، آيات بدون معنى. ونصيب كبير من هذا القسم كان، بدون شك، مشابهاً إلى ضربٍ من الحجج التي قدمها، رغم إنها كانت بالطبع بلغة أكثر توقيراً، المعتزلة العقليين في ذلك العهد، والتي رعاها المأمون. إذْ إننا نعلم

[1] See my Rede Lecture on the "Early Caliphate." Smith & Elder, 1881, p. 21.

[2] يبدو أنَّ تصرّف الحجاج (الذي شُوّه وشتم بشكل وافٍ من قِبل الحزب العباسي) اقتصر بشكل رئيس على إضافات محددة بخصوص التنقيط. انظر إصدار سلِن «**ابن خلكان**»، المجلد الأول، ص ٣٥٩، الملاحظة ١٤، ص ٣٦٤. لكن من الطبيعي في بلاط عباسي، الحطّ من قدر والي الأمويين العظيم، إلاّ أنه قاس ووحشي.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بأن المأمون أعلن أن القرآن مخلوق بعد نقاشٍ حادٍ ومتطاول. وبالتالي فهذا منسجم كلياً مع احتمال أن هذا الجزء الخاص من المحاججة يجب أن يكون (كما نجد بالفعل) قد قاربه مؤلفنا بطول كبير وتوسع بالحديث الذي كان ذا جدارة أقل، رغم شعبيته آنذاك ــ نوع من الفطر الذي انبثق من الحزب العباسي، وشق طريقه بنجاح هذا الحزب. وقد انقلبت الموائد على هذا الفريق الحر التفكير، الذي عان بدوره الاضطهاد القاسي؛ ولم تحدث قط من قبل أو من بعد مثل هذه الفرصة، ذلك إن مدافعنا تمتع بحماية بلاط الخلفية نفسه، من أجل مناقشة القضية بأسلحة عدوه التي كانت في متناول يده.

آمن الكندي بنفاق اليهود والبدو الذين عاشوا لدى نشوء الإسلام، وتحولهم السطحي، ودوافعهم القذرة والدنيوية، الذين تم إعادتهم إلى الإسلام بعد الرّدة الكبرى عقب موت النبي، «وكان بعض ذلك بالخوف والفرق من السيف، وبعض بالترغيب في سلطان الدنيا وأموالها وإباحة شهواتها ولذاتها». وهذا ما قاله تماماً، عن اليهود والمجوس في زمنه. ومن أجل أن يعزّز ملاحظته فإنه تابع ليستشهد بكلام الخليفة، الذي قاله في إحدى الاجتماعات التي كان من ديدنه عقدها. والمقطع لافت، ويوضح طبع المأمون، وسوف أقوم بإيراده رغم محذور إطالة ورقتي، وها هو:

> وما أشكّ، أكرمك اللّه، إلاّ أنك ذاكر ما جرى في مجلس أمير المؤمنين، وقد قيل له في رجلٍ من أجلّ أصحابه إنه إنما يُظهر الإسلام وباطنه المجوسية القذرة؛ فأجاب بما علمته من الجواب حيث قال:
>
> «واللّه! إنّي لأعلم أنّ فلاناً وفلاناً، حتى عدَّد جملة من خواص أصحابه ليُظهرون الإسلام وهم أبرياء منه، ويراءونني وأعلم أنّ باطنهم يخالف ما يظهرونه وذلك أنَّهم قومٌ دخلوا في الإسلام لا رغبة في ديانتنا هذه؛ بل أرادوا القرب منا والتعزيز بسلطان دولتنا لا بصيرة لهم ولا رغبة في صحة ما دخلوا فيه. وإنّي أعلم أنّ قصتهم كقصة ما يُضرب من مثل العامة أن اليهودي إنما تصحّ يهوديته ويحفظ شرائع توراته إذا أظهر الإسلام، وما قصة هؤلاء في مجوسيتهم وإسلامهم إلاّ كقصة اليهودي، وإنّي لأعلم أنَّ فلاناً وفلاناً، حتى عدَّد جماعة من أصحابه كانوا نصارى فأسلموا كرهاً، فما هم بمسلمين ولا نصارى، ولكنهم مخاتلون، فما حيلتي وكيف أصنع؟ فعليهم جميعاً لعنة اللّه. أما كان يجب عليهم إذْ خرجوا من المجوسية النجسة القذرة التي هي أشرّ الأديان وأخبث الاعتقادات أو عن النصرانية التي هي أذعن الأقاويل إلى نور الإسلام وضيائه وصحة عقده أنْ يكونوا أشد تمسّكاً بما دخلوا فيه

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

منه بما تركوه ظاهراً وخرجوا عنه رياءً، ولكن لي قدوة برسول اللَّه صلعم[1] وأسوة به، لقد كان أكثر أصحابه وأخصّهم به وأقربهم إليه نسباً يُظهرون أنهم أتباعه وأنصاره. وكان صلعم يعلم أنّهم منافقون، وعلى خلاف ما كانوا يظهرون له وصحّ ذلك عنده؛ وأنّهم لم يزالوا يبتغون له الغوائل يريدون به السوء، ويتطلبون له العثرات، ويعينون المشركين عليه نظر العين، حتى أنَّ جماعة منهم كمنوا له تحت العقبة واحتالوا في تنفير بغلته لترمي به فتقتله، فوقاه اللَّهُ كيدهم وشرّ ما كانوا يبغونه له ثمّ كان يداريهم دائماً إلى أنْ قبضَ روحه على غاية ما يداري به الأعداء المكاشفين حذراً منهم. أفما ينبغي لي أنا أن أشابهه صلعم، هذا وكان حياً ملء ثيابه، ثم ارتدّوا جميعاً بعد موته، فلم يبقَ منهم أحدٌ كان يظن به رشداً إلاَّ رجع وارتدّ وحرص على تشتيت هذا الأمر وإبطاله ظاهراً وباطناً وعلانيّةً وسراً، إلى أنْ أيَّده اللَّه وجمع تفرُّقهم وألقى في قلوب بعضهم شهوة الخلافة ومحبة الدنيا فربط النظام وجمع الشّمل وألَّف التشتيت بالحيلة ولطف المداراة، وأتمّ اللَّه ما أتمّه، وما المنّة في ذلك له ولا هو محمود عليه؛ بل المنّة لله والحمد والشكر له على ذلك بأسره، فلستُ أذكر ما أراه ويبلغني عن أصحابي هؤلاء، لا أبعد اللَّه غيرهم وما لهم عندي إلاَّ المداراة والصبر عليهم، إلى أنْ يحكمَ اللَّه بيني وبينهم، وهو خير الحاكمين[2]».

ولولا أنَّ سيدي أمير المؤمنين تكلم جهاراً على رؤوس الملأ في مجلسه، أجلّه اللَّه، فذاع الخبر بذلك ونقله الشاهد إلى الغائب، لما حكيتُه، وأنت تشهد لي أني لم أتزيد في شيءٍ من ذلك وإنّما ذكرتك بما جرى من الكلام في ذلك المجلس وليس له مدة طويلة وأردت إعادته لأذكرك أمر الردّ وأنَّ القوم لم يكن ردهم إلى هذا الأمر إلاَّ رغبة في الدنيا ولإتمام هذا الملك الذي هم فيه وفي ذلك لذوي الألباب ممن ينظر في كتابنا هذا مقنع إنْ شاء اللَّه. ص ٦٦.

قد يبدو غريباً أن الخليفة عبّر بهذه الطريقة الصريحة بشأن الكثير من رجال بلاطه في لقاء عام. لكن، بالتأكيد، فإن الآراء في انسجام تام مع ما نعرفه عن طبع ومبادئ المأمون، وكذلك مع العناصر الاجتماعية والدينية السائدة في مرو حيث نشأت الخلافة الأولى، كما في بغداد، التي أسس فيها بعد ذلك بلاطه سريعاً. من الصعب الاعتقاد بأن أي شخصٍ قد تجرأ على اختلاق مثل هذا الكلام؛ أو، بافتراض أصالته، بأنه استشهد به غير كاتب متعاصر.

[1] هذه التحية الورعة لدى ذكر النبي، وهي منتشرة بين المحمديين، ولم ترد إلاّ مرةً واحدة هنا في خطاب الخليفة، وليس في أي مكان آخر من الرسالة.
[2] استشهاد من **سُورَةُ يُونسَ**: ١٠/ ١٠٩.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وأتابع لملاحظة ماهية البرهان الموجود في الرسالتيْن عيناهما الذي صرح به المتجادلون، أي أشخاص ذوي بعض المنزلة لدى بلاط المأمون. من الحق القول إن الرسالة، من قدمها وبلاغتها، كافية للتعريف بفضيلتها؛ ولكن بدون شك، عندما نعلم بأنّ المتقاتلين لم يكونوا خياليين، بل شخصيات فعلية فإن الجدل يكتسب حياة واهتمام جديدينْ.

في البدء، فيما يتصل **بالهاشمي**؛ فمن الطبيعي، إنه يمكن افترض أنه شخص متخيل وُضع كي يلعب دور ممثل الإسلام؛ مجرد مخلب قط، كي يحدد حجة المسيحي. وهذا كان ظن أحد العلماء من القسطنطينية، الذي عرضت عليه الكتاب؛ وكان مبرره الرئيس لهذا التفكير أن حجة الإسلام معروضة بضعف، وبأفضل الاحتمالات قد أُختلقت.[1] وبالضد من هذه النظرة، يمكن ملاحظة أن شخصية وسمة المسلم مثبتتان بشكل متساوق على طول الرسالتيْن. فكل ملاحظة وإشارة تتصل بهاشميته المفترضة ونسبه العباسي، وعلاقته بالخليفة، صداقته لمدافعنا، وضمان الحرية والأمان الممنوحة منه على النقاش. وثمة أيضاً أكثر من حادث من حياة شخصية. ولدينا مقطع لافت على استعمال الصليب، الذي يذكّر فيه الكندي صديقه بأنه في ظروف خطرة استعمل الآية، أو هتف بنداء الصليب، وأقر بفضيلة الصليب؛ وفي إحدى هذه المناسبات، يحدد المكان الذي حدثت فيه (ساباط المدائن). وفي مكان آخر يشير إلى الكلمات المستعملة من قبل صديقه في حوارٍ آخر لدى النقاش حول «الروح». وفي معرض السخرية من فكرة أن اسم محمد مكتوب على العرش السماوي، فإن المسيحي يقول بأنه لا أحد يعتقد بتلك الفكرة ولا حتى فريق صديقه. ومرةً أخرى، فإنه يدافع عن حماسة لغته بتذكير صديقه بأنه هو الذي بدأ الجدال.

فيما يتصل **بالكندي** نفسه، فإن شخصيته تشف من خلال رسالته كلها. مع رابطة قوية بالعقيدة النسطورية، وهو يظهر دائماً مقتاً حاداً نحو اليهود والمجوس، ويستعمل ضدهم كل النعوت المهينة. بينما يضفي الشرف على الهاشميين بوصفهم زعماء قريشٍ، فإنه لا يتبجح أقل بشأن رفعة منزلة والشرف الملكي لبني كندة، بأنهم أعلى العرب نسباً، وأنهم الأعلى على كل شبه الجزيرة؛ وينافح من وجهة نظر إسمٰعلية، عندما يكون الجدل يتصل بتفضيل نسب إسٰحق على نسب إسمٰعيل. إن التأكيد المتكرر على علمه وخبرته الشخصية، ومعرفته بالبشر وبمختلف المنظومات الدينية والفلسفية، على صلة باعتقاد التفوق، المشوبة بنكهة خيلاء خفيفة، والتي نلقاها في كل مكان من رسالته.

أضف إلى ذلك، إن العمل يتسم بالفجاجة بنظرنا، وعدم المنطق بورود صيغة الأمر المفرد للغة العربية على طول العمل، والحجة تتعالى أحياناً ــ مثل الجزء الخاص بالجهاد

[1] كما أنه اعترض على مفردة **قريب** التي طبقها المحمدي على المسيحي.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والشهادة ــ إلى طبقة عالية من البلاغة المتقدة، ويجب أن يكون جلياً أن الكاتب ذو علم وبلاغة رائعة. ولا يوجد ما يبرر أي شك بشأن ما أعلنه في رسالته من أنه سليل قبيلة كندة النبيلة، وأنه ينتمي إلى فرعٍ تشبث بقوة بدين آبائه. وأعتقد بأنه لا يوجد أي أساس مقبول للقول بوجود خداع في ادعاء هذه الصفة، وليس ثمة فائدة تبرر تبني هذا الموقف.

إذاً، ولكي ألخص ما قيل: لقد رأيت أن العمل على أساس الشاهد الداخلي للنص يؤكد بدون لبس أنه تأليف لذلك العصر المعلن أنه فيه مكتوب. علاوة على ذلك، فإن الاحتمال الأكبر، الذي يبلغ تقريباً حد التأكيد، بأنه إنتاج أصيل لمسيحي عالمٍ، رجلٍ من طبقة نبلاء المأمون يحمل اللقب القبلي: **الكندي**. والقول بأن الرسالة مكتوبة بشكل جواب على مناشدة هي فرضية محضة، ذلك أن الرسالة ترد بشكل أصيل على رسالة من جانب عبد اللّه الهاشمي، ابن عم الخليفة.

ثمّة أسس جيدة لهذا الاعتقاد بمعزل كلياً عن شهادة البيروني. بيد أن هذا البرهان، كما رأينا، حاسم بشأن حقيقة أن هذا العمل كان متداولاً في القرن الرابع الهجري، وإنه كان بعنوان يتطابق مع رواية التأليف التي وردت في المقدمة القصيرة للرسالة. إن شهادة البيروني بالنسبة لي عظيمة الشأن لأنها تخدم إزالة الشك الذي يساور أغلب القراء غير المختصين؛ وهذا سواء تجرأ المرء، في حاضرة الإسلام، ليبسط عملاً مكتوباً بروح شجاعة وماضية ضد الإسلام؛ وسواء ــ كما جرى ــ أكانت الرسالة البغيضة لم تطمس فوراً. إن الدين والقوة المدنية، في المنظومة المحمدية، التحمت مع بعضها بعض، والدولة جاهزة دائماً لمعاملة الهجوم على الإسلام على أنه الخيانة العظمي وتدمغه بختم عدم الغفران. بيد أن الشاهد من البيروني، يظهر، بأن رسالتنا، إذ بقيت قيد التداول عملياً في دولة محمدية، وبعد قرن ونصف، فإنها ظهرت للمرة الأولى ــ وهذا أعجوبة أكبر من أنها قد كتبتُ ــ؛ ذلك أنه تحت حكم المتسامح للمأمون، ذي الفكر الحر، كان ذلك ممكناً، والذي كان من المستحيل بعد ذلك بسنوات قليلة. وعلى المرء أن يكون واثقاً بأنه حينما سادت النظرات المنغلقة مجدداً، فإن كل جهد قد بذل لمنع انتشار وإتلاف منافحة بغيضة، ليس فقط لهجومها على دين الدولة، ولكن للآراء السياسية التي فيها مثل الحق الإلهي لعلي، واغتصاب أبي بكر للسلطة، والأسلوب الذي نظم به القرآن. لكن العمل في كل الاحتمالات، بسبب قيمته الخاصة، قد انتشر خلال حكم المأمون وخلفائه المباشرين (الذين شاطروه نظراته المعتزلية)، ذلك أن منع انتشاره كلياً غدا مستحيلاً. وبذلك بقيت نسخ ــ وإنْ بالخفاء ــ هنا وهناك في الأقطار المحمدية. ولكن لماذا هذا الكتاب الاستثنائي لم يكن معروفاً جيداً ومثمناً في الأقطار المسيحية، لهو أمر غريب، ــ وبالنسبة لرأيي، فإنه أمر غير قابل للتعليل بالفعل.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بعد كل ما عُرض، يبقي لدينا سؤال ذو تشويق شديد: من كان «الكندي، المسيحي». في رسالة للدكتور شتاينشنايدر إلى البروفيسور لوث، ثمة اقتراح مطروح ربما يمكن أن يقود إلى تحديد مؤلفنا. إن الأثر منسوب هنا إلى **بسطاث الكندي**، المذكور بين أسماء مسيحية ويهودية أخرى من قبل كاسيري في عمله "Bibliotheca Arabica" على أنه أحد مترجمي أرسطو، أو ناسخي العمل الإغريق. ألا يحتمل إن هذا مدافعنا؟[1]

إن بحثاً إضافياً في هذا الاتجاه أو اتجاه آخر، على الأغلب سيلقي مزيداً من الضوء المؤكد على تأليف رسالتنا. ومخطوطات أخرى، سوءاً أكان في الشرق أم في مكتباتنا الأوروبية، ربما مع إمكانية مقارنتها مع النسخة المطبوعة، سوف توضح صحة النص، لا سيما في المقاطع التي يبدو أنها غير تامة أو غامضة في المخطوطات التي منها صدرت النسخة المطبوعة.[2]

إنّ التحقيق يستحق عناية أغلب علمائنا المستشرقين البارزين. إن الرسالة نسيج وحدها تماماً: في قدمها، جرأتها، بيانها وجزالتها، وليس لدينا مثيل لها في حوليات الجدل المحمدي التي بين يدينا. وأي بحث قد يلقي ضوءاً على أصل المناقشة، وحياة وظروف مؤلفنا، وموثوقية الكتاب، وأصالة النص الذي وصل إلينا، ليس له بكل تأكيد أهمية أدبية فحسب، بل في بعض الجوانب شهادة عملية وهامة على الصراع الدائر اليوم، مثل الذي خاضت فيه جهود عبد اللّه الهاشمي وعبد المسيح الكندي، المسيحي، أيام المأمون.

علي واجب التعبير عن عرفاني للبروفسور إگناتيوس گيدي من روما، الدكتور فريتس هومّل من ميونخ، والدكتور شتاينشنايدر من برلين، على مساعدتهم الطيبة في متابعة البحث. وأشعر بشكر خاص تجاه الأول، على لطفه في نسخه لي كامل المناظرة التي يتجلى فيها أبو يوسف معارضاً لمذهب الثالوث.

---

[1] إنّ رسالة الدكتور شتاينشنايدر موجودة في الصفحة ٣١٥ من "Zeitschrift der Morgenländischen Gesellschaft"، المجلد ٢٢٩. إن المقطع الوارد في كاسيري هو: «كتاب الإلهيات... وهذه الحروف نقلها بسطاث الكندي» Bibliotheca Arab. Hisp. Michaelis Casiri," *Matrili,* A.D. 1760, vol i. p. 310.

[2] ثمة مخطوطة في باريس أشار إليها دي ساسي بأنها رقم ٢٥٧ في "Bibliothèque Orientale". وهنالك أيضاً تلك التي ذكرها شتاينشنايدر، رقم ١١٢، "Kindi, Jacob? Vertheidigung der Christlichen Religion gegen den Islam, in Karschunischen MSS." انظر مادته: "Polemische und Apologetische Literatur in Arabischer Sprache," Leipzig, 1877, p. 131. وفي هذه الأخيرة، فإن رسالة الهاشمي (كما جاء) واردة في صيغة مختصرة.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تقديم

إنّنا قد بذلنا الجهد في تصحيح هذه النسخة بمقابلتها مع نسخ خطيّة ومطبوعة. ولم ترِدْ فيها إلاّ بعض إيضاحات سطرناها بالهامش.

وأيضاً، إنَّ ما بين قوسيْن ( ) من أسماء السّور ليس هو من الأصل المخطوط بل من النّسخ المطبوعة. كما أنّنا تسهيلاً لمراجعة القارئ قد حررنا الاقتباسات الإنجيّلية من ترجمة سنة ١٨٨١ المطبوعة في بيروت.

يقول المتولي: إنّه ما حصل بيدي لهذا العلم إلاّ نسختان؛ إحداهما منقولة على ما قِيل من نسخة من بعض مكاتب القسطنطينية، والثانية عن نسخة من إحدى مكاتب مصر بلا اسم الناسخ ولا المستنسخ، لا تاريخ النسخ. والاثنتان في غاية التصريف مع الاختلاف العظيم في عدة مواضع اجتهدت في التأليف بينهما على قدر الإمكان؛ ومنْ بذل وسعه فلا لوم عليه وإنْ قصّر.

هذا ووجدت في آخر النسخ المصرية الزيادة الأتي نصّها بحروفها: «بلغنا أنه قد انتهى الأمر إلى المأمون في خبر الرسالتيْن فأمر بإحضارهما، وقُرأتا عليه، فلم يزل صامتاً حتى جاء إلى آخرهما، فقال: "ما كان دعاه إلى أنْ يتعرّض لما ليس من عمله، وحتى أجاد[1] كتاف نفسه؛ فإما النّصرانيّ فلا حجة لنا عليه، لأنَّ الأمر لو لم يكن عنده هكذا لما أقام عليه دينه. والدين دينان أحدهما دين الدنيا، والآخر دين الآخرة؛ أما دين الدنيا، فالدين المجوسي، وما جاء به من دراسته؛[2] وأمّا دين الآخرة فهو دين النَّصارى، وما جاء به المسيح. وأما الدين الصحيح فهو التوحيد الذي هو دين صاحبنا فإنّه الدين الجامع الدنيا والآخرة"».

أمّا الرسالتان فقد ذكرهما العالم الشهير أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني في كتابه المُسمَّى «**الآثار الباقية عن القرون الخالية**»، إذ استشهد بكلام عبد المسيح على ذبح الصابئة الآدميين قرباناً للقمر، فقال: «وكذلك حكى عبد المسيح بن إسحاق الكندي النصراني عنهم (أيْ الصابئة) في جوابه عن كتاب عبد الله بن إسمٰعيل الهاشمي، أنّهم يُعرفون بذبح الناس، ولكن ذلك لا يمكنهم اليوم».

---

[1] ولعلّ الصواب أجاز.
[2] كذا ولعلّ الصواب ما جاء به زردشت.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بسم الله الواحد الصّمد

ذُكر أنَّه كان في زمن عبد الله المأمون رجلٌ من نبلاء الهاشميين وأظنه من ولد العباس، قريب القرابة من الخليفة، معروفٌ بالنسك والورع والتمسك بدين الإسلام وشدة الإغراق فيه والقيام بفرائضه وسننه، مشهور بذلك عند الخاصة والعامة. وكان له صديق من الفضلاء ذو أدب وعلم، كِنْدي الأصل مشهور بالتمسك بدين النصرانية؛ وكان في خدمة الخليفة وقريباً منه مكاناً. فكانا يتوادّان ويتحابان ويثق كل منهما بصاحبه وبالإخلاص له. وكان أمير المؤمنين المأمون وجماعة أصحابه والمتصلون به قد عرفوهما بذلك. وكرهنا أنْ نذكر اسميهما لعلةٍ من العلل.[1]

[1] هما عبد الله بن إسمٰعيل الهاشمي وعبد المسيح بن إسحٰق الكندي.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

أمّا بعد فقد افتتحت كتابي إليك بالسّلام عليك والرحمة، تشبُّهاً بسيدي وسيد الأنبياء محمّد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإنّ ثقاتنا ذوي العدالة عندنا الصّادقين الناطقين بالحقّ الناقلين إلينا أخبار نبينا عليه السّلام قد رووا لنا عنه أن هذه كانت عادته، وأنه كان صلى الله عليه وسلّم إذا فتح كلامه مع الناس يبادئهم بالسّلام والرحمة في مخاطبته إياهم، ولا يفرّق بين الذمّي والأمي، ولا بين المؤمن والمشرك.[1] وكان يقول إني بُعثت بحُسن الخلق إلى الناس كافة، ولم أُبعث بالغِلظة والفظاظة. ويستشهد الله على ذلك إذ يقول ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ[2]﴾[3] وكذلك رأيتُ من حضرَتْه من أئمتنا الخلفاء المهتدين المهديين الراشدين رضي الله عنهم أجمعين أنهم كانوا لفضل أدبهم، وشرف حسبهم، ونبل همتهم، وكرم أخلاقهم يتتبعون أثر نبيِّهم صلى الله عليه وسلّم ولا يفرِّقون في ذلك ولا يفضّلون فيه أحداً فسلكتُ ذلك المنهج واحتذيت تلك السبل وأخذت ذلك الأدب المحمود فابتدأتك في كتابي هذا بالسلام والرحمة لئلا ينكرُ عليَّ منكرٌ يقع إليه كتابي هذا؛ والذي حملني إليك وحثَّني على ذلك محبتي لك، إذْ كان سيدي ونبيي محمد صلى الله وعليه وسلّم يقول: «محبة القريب ديانة وإيمان». على أنّي كتبتُ طاعةً لرسول الله، صلي الله عليه وسلم، ولِما أوجبه لك عندنا حق خدمتك لنا ونُصحك إيانا، وما أنت عليه من محبتنا، وتظهره من مودتنا والميل إلينا، وما أرى من إكرام سيدي وابن عمي أمير المؤمنين، أيده الله، لك وتقريبه إياك وثقته بك وحسن قوله فيك؛ فرأيت أن أرضَى لك ما قد رضيته لنفسي وأهلي ووالديَّ، مخلصاً لك النصيحة ومبذلها[4] كاشفاً عما نحن عليه من ديانتنا هذه التي ارتضاها الله لنا ولجميع خلقه، ووعدنا عليها حسن الثواب في المعاد والأمن من العقاب في الآيات، إذ يقول تبارك وتعالى ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً[5]﴾. ويقول عزّ وجلّ وقوله الحق ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ[6]﴾. ويقول أيضاً مؤكداً ﴿ومَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[7]﴾. فرغبت لك ما رغبت

---

[1] [انظر على سبيل المثال رسالة محمد إلى يُوحَنَّا بن رؤبة، الزعيم المسيحي، **حياة محمدٍ**، ص ٤٥٧.ـــ موير.]
[2] **سُورَةُ التّوبَة**: ٩/ ١٢٨.
[3] أي محمّد.
[4] صوابها وبادلها.
[5] **سُورَةُ البَقَرَة**: ٢/ ١٣٥.
[6] **سُورَةُ الزّخرُف**: ٤٣/ ٦٩.
[7] **سُورَةُ آلِ عِمْرَان**: ٣/ ٦٧.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فيه لنفسي، وأشفقت عليك لما ظهر لي من كثرة أدبك وبارع علمك، وحسن تهذيبك، وجميل مذهبك، وشرف حسبك، وتقدّمك على الكثير من أهل ملّتك أنْ تكون مقيماً على ما أنت عليه من ديانتك هذه، فقلت: «اكشف له عمّا مَنَّ الله به علينا، وأعرّفه ما نحن عليه بلين القول وأحسنه متَّبعاً في ذلك ما أدبني الله به إذ يأمرني»؛ ويقول جلّ ثناؤه: ﴿وَلاَ تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ[1]﴾. فلست أجادلك إلاَّ بالجميل من الكلام والحسن من القول واللّيّن من اللفظ، لعلك تنتبه وترجع إلى الحق وترغب فيما أتلوه عليك من كلام الله عزّ وجلّ الذي أنزله على خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم نبينا محمد عليه الصلاة والسّلام، ولم أيئس من ذلك بل رجوته لك من الله الذي يهدي من يشاء، وسألته أن يجعلني سبباً في ذلك؛ ووجدت الله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ[2]﴾. ويقول الله أيضاً مؤكداً لقوله الأولّ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ[3]﴾. ثمَّ أكّد ذلك تبارك وتعالى أمراً قاطعاً إذْ يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ[4]﴾.

وأنت الرجل عافاك الله من جهل الكفر وفتح قلبك لنور الإيمان تعلم أنّي رجل أتت عليَّ سنون كثيرة وقد تبحَّرْتُ في عامة الأديان وامتحنتها، وقرأت كثيراً من كتب أهلها وخاصة كتبكم معشر النصارى؛ فإني عُنيت بقراءة الكتب العتيقة والحديثة التي أنزلها الله على موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام.

فأما الكتب العتيقة التي هي التوراة، وكتاب يَشُوع بن نون، وسفر الْقُضَاة، وسفر صَمُوئِيل النبي، وسفر الْمُلُوك، وزبور داود النبي، وحكمة سليمان بن داود، وكتاب أَيُّوب الصدّيق، وكتاب إِشَعْيَاء النبي، وكتاب الاثني عشر نبياً، وكتاب إِرْمِيَا النبي، وكتاب حزقيال النبي، وسِفْر دَانِيآل النبي؛ فهذه هي الكتب العتيقة.

فأمّا الكتب الحديثة فأولها الإنجيل وهو أربعة أجزاء: الأول منها بشارة مَتَّى العشّار؛ والثاني بشارة مَرْقُس، ابن أخت سمعان المعروف بالصفا؛ والثالث بشارة لُوقَا، المتطبّب؛ والرابع بشارة يُوحَنَّا بن زبدي؛ فهذه أربعة أجزاء، منها: بشارة رجليْن من الحواريين الاثني عشر، الذين كانوا ملازمين للمسيح صلوات الله عليه، وهما مَتَّى ويوحنا؛ وبشارة رجليْن من الحواريين السبعين، الذين كانوا للمسيح صلوات الله عليه بعثهم إلى الأمم دُعاةً له وهما مَرْقُس ولوقا. ثم كتاب قصص الحواريين وأحاديثهم وأخبارهم من بعد ارتفاع المسيح إلى السماء

---

[1] **سُورَةُ العَنكَبوت:** ٢٩/ ٤٦.
[2] **سُورَةُ آلِ عِمْرَان:** ٣/ ١٩.
[3] **سُورَةُ آلِ عِمْرَان:** ٣/ ٨٥.
[4] **سُورَةُ آلِ عِمْرَان:** ٣/ ١٠٢.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الذي كتبه لُوقَا؛ ورسائل بولص الأربع عشرة. فهذه كلها قد قرأتها ودرستها وناظرت فيها تيموثاوس الجثليق. وقد علمت كيف تقدمه فيكم بفضل الرئاسة والعلم والعقل وناظرت فيها من أهل فرقكم هذه الثلاث التي هي ظاهرة أعني الملكية القابلين مركيانوس الملك على عهد الشقاق الواقع بين نسطوريوس وكيرللس، وهم من الروم. واليعقوبية وهم أكفر القوم وأخبثهم قولاً وشرّهم اعتقاداً وأبعدهم من الحقّ القائلين بمقالة كيرللس الإسكندري ويعقوب البردعاني وساويرس صاحب كرسي إنطاكية. والنسطورية أصحابك وهم لعمري أقرب بأقاويل المنصفين من أهل الكلام والنظر وأكثرهم ميلاً إلى قولنا معشر المسلمين، وهم الذين حمد نبينا صلى الله عليه وسلم أمرهم ومدحهم وأعطاهم العهود والمواثيق، وجعل لهم من الذمة في عنقه وأعناق أصحابه ما جعل وكتب لهم في ذلك الكتب وسجل لهم السجلات، وأكد أمرهم عندما صاروا إليه حين أفضى الأمر إليه واستوثق له، فأتوه وتحرموا بحرمته وذكروه بمعونتهم إياه على إعلان أمره وإظهار دعوته وما مكن الله صلعم. وذلك أن الرهبان كانوا يبشرونه ويخبرونه قبل نزول الوحي عليه بما مكن الله له وصار إليه. فلذلك كان صلى الله عليه وسلّم يُكثر توادّه لهم وإطالة محادثتهم، ويُرَى كثيراً عندهم مخاطباً لهم في تردّده إلى الشام وغيرها. وكان الرهبان وأصحاب الأديرة يكرّمونه ويحبّونه طوعاً ويخبرون أصحابهم بما يريد الله أنْ يرفعَ من أمره ويعلن من ذكره؛ وكانت النصارى تميل إليه وتخبره بمكيدة اليهود ومشركي قريش وما يبتغونه له من الشرّ، ويريدونه من الغوائل مع مودتهم له وإجلالهم إياه وأصحابه. فعند ذلك نزل الوحي على نبينا محمد عليه السلام، وشهد الله لهم في القرآن قائلاً: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ والَّذِينَ أَشْرَكُوا[1] ولَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ[2]﴾. وعرف النبي عليه السلام بما أُنزل عليه من الوحي صحة ضمائرهم ونياتهم، وأنهم أصحاب المسيح حقاً السائرون بسيرته الآخذون بسننه؛ إذْ كانوا لا يرون القتال ولا يستحلّون المال ولا يغشّون أحداً ولا يريدون بالناس سوءاً ولا مكروهاً، وأنهم طالبو السّلامة ولا يضرون على حقدٍ ولا عداوة بل يعتقدون الفضل على الناس أجمعين. فأعطاهم نبينا عليه السّلام لذلك ما أعطاهم من العهود والمواثيق، وجعل لهم من الذمة في رقبته ورقاب أصحابه، ووصَّى بهم تلك الوصية عندما أطلعه الله على ما أطلعه عليه من أمرهم وبراءة ساحتهم. فنحن مقرُّون بذلك غير جاحدين ولا منكرين، وناظرون لهذا الفعل وآخذون بهذه السُنَّة وقابلون لهذه الوصية وموجبون هذا الحق على أنفسنا.

---

[1] يعني مشركي قريش.
[2] **سُورَةُ المَائدةِ:** ٥/ ٨٢.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ولقيتُ جماعةً من الرهبان المعروفين بشدة الزهد وكثرة العلم ودخلتُ عماراً[1] وديارات[2] وبيعاً كثيرة وحضرت صلواتهم تلك الطوال السبع التي يسمّونها صلوات الأوقات؛ وهي صلاة الليل، وصلاة الغداة، وصلاة الثالثة التي هي صلاة السَحَر، وصلاة نصف النهار أعني صلاة الظهر، وصلاة التاسعة التي هي قريبة من وقت العصر، وصلاة الغروب التي هي صلاة بين العصر والعِشاء، وصلاة الشفع وهي صلاة العِشاء المفروضة، وصلاة النوم التي يصلّونها قبل أخذهم مضاجعهم. ورأيت ذلك الاجتهاد العجيب والركوع والسجود بإلصاق الخدود بالأرض وضرب الجبهة والتكتُّف إلى انقضاء صلواتهم، خاصّة في ليالي الآحاد وليالي الجُمَع وليالي الأعياد التي يسهرون فيها منتصبي الأرجل بالتسبيح والتقديس والتهليل الليل كله، ويصلّون ذلك بالقيام نهارهم أجمع، ويكثرون في صلواتهم ذكر الآب والابن والروح القدس وأيام الاعتكاف التي يسمونها أيام البواعيث[3] وقيامهم فيها حفاة على المسوح والرماد باكين بكاءً كثيراً متواتراً بانهمال دموع من الأعين والجفون منتحبين بسحق عجيب، ورأيت عملهم القربان، كيف يحفظونه في خَبْزهم إياه ودعائهم عند عمله الدعاء الطويل مع التضرع الشديد عند إصعاده على المذبح في البيت المعروف ببيت المقدس مع تلك الكؤوس المملوءة خمراً. ورأيت أيضاً ما يتدبره الرهبان في قلاليهم[4] أيام صيامهم الستة، أعني الأربعة الكبار والاثنين الصغيرين، وغير ذلك. فهذا كله كنت له حاضراً ولأهله مشاهداً وبه عارفاً عالماً.

ورأيت أيضاً مطارنة وأساقفة مذكورين بحُسن المعرفة وكثرة العلم، مشهورين بشدة الإغراق في الديانة النصرانية، مظهرين غاية الزهد في الدنيا؛ فناظرتُهم مناظرةً نصفة طالباً للحق، مسقِطاً بيني وبينهم اللجاج والمراءاة والمكابرة بالسلطة والصلف والبذخ بالحسب، وأوْسعتُهم أمناً أنْ يقوموا بحجّتهم ويتكلموا بجميع ما يريدونه، غير مؤاخذٍ لهم بذلك ولا متعنّت عليهم في شيء كمناظرة الرعاع والجهال والسّقاط[5] والعوام والسفهاء من أهل ديانتنا، الذين لا أصل لهم ينتهون إليه ولا عقل فيهم يعولون عليه ولا دين ولا أخلاق تحجبهم عن سوء الأدب. وإنما كلامهم العنَت والمكابرة والمغالية بسلطان الدولة بغير علمٍ ولا حجة. وكانوا إذا أنا ناظرتُهم وسألتُهم مسألةَ بحث فاحصاً عن قولهم، وكانوا لشدة ورعهم ودعتهم واعتقادهم وتحرّجهم يصدقونني عن أمرهم ولا يكذبونني في شيء مما كنت أسائلهم عنه وأجادلهم فيه، وكنت قد عرفت من بواطنهم مثل الذي قد عرفته من ظاهرهم؛ فكتبت إليك، أصلحك الله، بهذا

---

[1] **العُمْر**: بضم فسكون البيعة والكنيسة.
[2] الدير مقام الرّهبان وجمعه أديار وأديرة وديارات.
[3] جمع باعوث سرياني وهو الاستمطار.
[4] أي معابدهم.
[5] بضم السّين وتشديد القاف جمع ساقط لئيم الحسب والنفس.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الشرح وعددت ما عددته واقتصصت مما اقتصصته بعد الاستقصاء والبحث الشديد والامتحان له على طول الأيام لئلا يظن بي أني عميّ بالأمر بل ليعلم من وقع في يده كتابي هذا أني عالم بالقضية فيهم علماً بجميع أمر النصارى حقّ معرفته. فأنا الآن متع الله بك، أدعوك بهذه المعرفة كلها مِنّي بدينك الذي أنت عليه وما منحته إلى هذا الدين الذي ارتضاه الله لي وارتضيته لنفسي، ضامناً لك به الجنة ضماناً صحيحاً والأمن من النار، وهو أن تعبد الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولم يكن له كفؤاً أحد، وهي الصفة التي وصف نفسه جلّ وعزّ بها؛ إذْ ليس أحدٌ من خَلْقه أعلم به من نفسه، فدعوتك إلى عبادة هذا الإله الواحد الذي هذه صفته، ولم أزد في كتابي هذا على ما وصف به نفسه جلَّ اسمه وتعالى علواً كبيراً عمَّا يشركون. فهذه ملّة أبيك وأبينا إبراهيم صلوات الله عليه فإنه كان حنيفاً مسلماً. ثم أدعوك، حفظك الله إلى الشهادة والإقرار بنبوة سيدي وسيد ولد آدم وصفيّ ربّ العالمين وخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي الأبطحي التهامي، صاحب القضيب والناقة والحوض والشفاعة، حبيب ربّ العزة ومكلّم جبرائيل الرّوح الأمين الذي أرسله الله بشيراً ونذيراً إلى النّاس كافة ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ[1]﴾، فدعا الناس كلهم أجمعين، أهل الشرق والغرب وأهل البر والبحر والجبل والسهل بالرحمة والرأفة وطيب القول وحسن الخلق واللين، فاستجاب هذا الخلق كلهم إلى طاعة دعوته والشهادة له أنه رسول الله رب العالمين إلى من يريد انتصاحاً، وأقرَّ الأنام كلهم طائعين مذعنين لما عرفوا من الحق والصدق من قوله وصحة أمره وما جاء به من البرهان الصريح والدليل الواضح، وهو هذا الكتاب المنزَل عليه من عند الله، الذي لا يقدر أحد من الإنس والجن أن يأتي بمثله، وكفى به دليلاً على دعوته وأنه دعا إلى عبادة إلهٍ واحد فرد صمد؛ فدخلوا في دينه وصاروا تحت يده غير مُكرَهين ولا مُجبَرين، بل خاضعين معترفين مستنيرين بنور هدايته متطاولين باسمه على غيرهم ممن جحد نبوته وأنكر رسالته، وردّ أمره مقاوماً ومتعالياً، فمكن الله لهم البلاد وأذلّ لهم رقاب الأمم من العباد، إلاَّ من قال بقولهم ودان بدينهم وشهد بشهادتهم؛ فحقن بذلك دمه وماله وحرمته أن يؤدي الجزية[2] عن يدٍ وهو صاغر. وهذه الشهادة، امتعْ الله بك، هي الشهادة التي شهد الله بها قبل أن يخلق الخلائق، إذْ كان على العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله. وأدعوك إلى الصلوات الخمس التي مَنْ صلاّها لم يخبْ ولم يخسرْ بل يربح ويكون في الدنيا والآخرة من الفائزين، وهي الفرض فيها فرضان: فرضٌ من الله وفرضٌ من رسوله مثل الوتر وهي ثلاث ركعات بعد العشاء الأخيرة، وركعتان في الفجر، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، فمن ترك شيئاً من

---

[1] **سُورَةُ التَّوبَة:** ٩/ ٣٣.
[2] وهكذا بالأصل.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

هذه فليس بجائزٍ له، ويجب على من تركها أياماً الأدب، ويُستتاب منه. فأمَّا الفرض فهو سبع عشرة ركعة في اليوم والليل، ركعتا الفجر، وأربع ركعات الظهر، وأربع ركعات العصر، وثلاث ركعات المغرب وهي العِشاء الأولى، وأربع ركعات العِشاء الآخرة وهي العتمة، وقد نهى رسول الله أن يُقال العتمة، وقال هي عتمة الليل، وإنما سُميت عتمةً لتأخّرها في العِشاء وإبطائها. وأدعوك إلى صوم شهر رمضان الذي فرضه الدّيان ونزل فيه الفرقان؛ شهر يشهد فيه الله أنَّ فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، تصوم فيه نهارك كله عن جميع المطاعم والمشارب والمناكح إلى أنْ يسقط قرص الشمس ويدخل حدّ الليل، ثم تأكل وتشرب وتنكح في ليلك كله حتى يتبيّن لك الخيط الأسود من الخيط الأبيض حلالاً مطلقاً هنيئاً طيباً من الله؛ فإنْ أنت لحقت ليلة القدر بإخلاص نيَّتك كنت قد فُزْت في دنياك وآخرتك، قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ * أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا واشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَقْرَبُوهَا[1]﴾. وكان النبي، صلى الله عليه وسلم، يقدم الفطور ويؤخر السحور.

ثم أدعوك إلى الحج إلى بيت الله الحرام الذي بمكة؛ والنظر إلى حرم رسول الله وإلى آثاره ومواضعه ورمي الجمار والتلبية والإحرام وتقبيل الركن والمقام ومشاهدة تلك المواضع المباركة وتلك المشاعر العجيبة.

ثم أدعوك إلى الجهاد في سبيل الله بغزو المنافقين وقتال الكفرة والمشركين ضرباً بالسيف وسبياً وسلباً حتى يدخلوا في دين الله ويشهدوا أنْ الله لا إله إلاَّ هو، وأن محمداً عبده ورسوله أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

---

[1] **سُورَةُ البَقَرَةِ**: ٢/ ١٨٣ ــ ١٨٧.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وأدعوك إلى الإقرار بأن الله يبعث مَنْ في القبور، وأنّه ديّانهم بالعدل فيكافي الحسنى بالحسنى ويجزي المسيء بإساءته، وأنه يُدخل أولياءه وأهل طاعته الذين أقرّوا بوحدانيته وشهدوا أن محمداً عبده ورسوله وآمنوا بما نزل عليه من القرآن، الجنة التي أعدَّ لهم فيها الطيبات ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ[1]﴾. ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ[2]﴾. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ[3]﴾. ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللهِ لاَ يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ[4]﴾. ﴿يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[5]﴾. ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ[6]﴾. وقال عزّ وجل ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ[7]﴾. وقال عزّ وجلّ ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ[8]﴾. وقال عزَّ وجلَّ في وصف الجنة: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ *

---

[1] **سُورَةُ الحَجِّ:** ٢٢/ ٢٣.
[2] **سُورَةُ فاطر:** ٣٥/ ٣٤ ــ ٣٥.
[3] **سُورَةُ الصَّافات:** ٣٧/ ٤١ ــ ٤٩.
[4] **سُورَةُ الزُّمَر:** ٣٩/ ٢٠.
[5] **سُورَةُ الزّخرُف:** ٤٣/ ٦٨ ــ ٧١.
[6] **سُورَةُ الدّخان:** ٤٤/ ٥١ ــ ٥٧.
[7] **سُورَةُ مُحَمَّدٍ:** ٤٧/ ١٥.
[8] **سُورَةُ صٓ:** ٣٨/ ٤٩ ــ ٥٤.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ والْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَامَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلاَلِ والإِكْرَامِ[1]﴾. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ[2]﴾. وقال عزّ وجلّ ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً * وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً * عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً[3]﴾. وقال عز وجل ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً * وَكَأْساً دِهَاقاً * لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذَّاباً * جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً[4]﴾. وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ * وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لاَ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ* وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّه هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ[5]﴾. وقال تبارك وتعالى: ﴿والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمَ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً * إِلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً * وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ * وَظِلٍّ

---

[1] **سُورَةُ الرَّحمٰن:** ٥٥/ ٤٦ ــ ٧٨.
[2] **سُورَةُ الزُّمَر:** ٣٩/ ٧٣.
[3] **سُورَةُ الإنسَان:** ٧٦/ ١١ ــ ١٨.
[4] **سُورَةُ النَّبَإ:** ٧٨/ ٣١ ــ .
[5] **سُورَةُ الطُّور:** ٥٢/ ١٧ ــ ٢٨.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً * لأَصْحَابِ الْيَمِينِ * ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ[1]﴾.

فهذه صفة الجنة التي أعدها الله للمؤمنين به وبرسوله، وأعد لهم فيها الطيّبات من الطعام والشراب وأنواع الفواكه والرياحين ونكاح الحور العين اللاتي هن كأمثال اللؤلؤ المكنون بلا نهاية ولا انقطاع يأخذون كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين؛ ولهم فيها الكرامة والحياة والجلوس على الأسرَّة متكئين على الأرائك، عليهم ثياب الحرير اللّيِّن مسورين بالأسرة المكللة باللؤلؤ، تُعرف في وجوههم نضرة النعيم يدور عليهم الولدان والوصائف والوصفاء الذين هم في جنسهم كاللؤلؤ المكنون، يسقون من كأسات فيها الرحيق المختوم الذي ختامه مسك ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب منها المقرَّبون يُحيَّون بها بأحسن التحية وأطيبها، ويقولون لهم، كلوا واشربوا وتنعَّموا هنيئاً لكم بما كنتم تعملون، لا يسمعون فيها لغواً ولا يمسهم جوعٌ ولا لغوب فهم في هذا النعيم آمنون واثقون خالدون أبداً. وأمّا الكفار الذين أشركوا بالله واتخذوا معه الأنداد ولم يؤمنوا برسله وكذبوا بآياته وحرموا حدوده وحاربوه، فهم أهل الكفر يلقونها كفاحاً في جهنم لابثين في نار لا تنطفئ وزمهرير لا يُوصف وهم فيها خالدون، كلمّا احترقت جلودهم جُددت لهم جلود أخرى، مقامهم في الجحيم وشرابهم المهل، وطعامهم من شجرة الزقوم، رفقاء لإبليس وجنود له وبئس المصير.

وقال عزّ وجل: ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِنْ نَاصِرِينَ[2]﴾. وقال تبارك وتعالى ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً[3]﴾. وقال تبارك وتعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ[4]﴾. وقال أيضاً.. ﴿شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لاَلَى الْجَحِيمِ[5]﴾. ثم ﴿فويل للذين كفروا من النار.. وَإِنَّ

---

[1] **سُورَةُ الوَاقِعَةِ:** ٥٦/ ١٠ ــ ٤٠.
[2] **سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ:** ٣/ ٢١ ــ ٢٢.
[3] **سُورَةُ النِّساءِ:** ٤/ ١٥٠ ــ ١٥١.
[4] **سُورَةُ فَاطِرٍ:** ٣٥/ ٣٦.
[5] **سُورَةُ الصَّافات:** ٣٧/ ٦٢ ــ ٦٨.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ[1]﴾. وقال: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ[2]﴾. وقال: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ...وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ[3]﴾. وقال: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ[4]﴾. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ[5]﴾. وقال ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاَسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ[6]﴾. وقال ﴿الكافرون لهم عذاب شديد.. وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ[7]﴾. وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ[8]﴾. وقال ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ[9]﴾. وقال عز وجل: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ واللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ[10]﴾. وقال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ

---

[1] **سُورَةُ صٓ:** ٣٨/ ٢٧، ٥٥ ــ ٥٦.
[2] **سُورَةُ الزُّمَر:** ٣٩/ ١٦.
[3] **سُورَةُ الزُّمَر:** ٣٩/ ٦٠، ٦٣.
[4] **سُورَةُ الزُّمَر:** ٣٩/ ٧١ ــ ٧٢.
[5] **سُورَةُ غَافِر (المؤمن):** ٤٠/ ٤٩ ــ ٥٠.
[6] **سُورَةُ غَافِر (المؤمن):** ٤٠/ ٦٩ ــ ٧٢.
[7] **سُورَةُ الشُّورَى:** ٤٢/ ٢٦، ٤٤ ــ ٤٥.
[8] **سُورَةُ الزّخرُف:** ٤٣/ ٧٤ ــ ٧٧.
[9] **سُورَةُ الدّخان:** ٤٤/ ٤٣ ــ ٥٠.
[10] **سُورَةُ مُحَمَّدٍ:** ٤٧/ ١٥، ٢٦ ــ ٢٩.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بِهِ تُكَذِّبُونَ * انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ * لاَ ظَلِيلٍ وَلاَ يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا يَوْمُ لاَ يَنْطِقُونَ * وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَلِينَ[1]﴾.

فهل سمعت، عافاك الله، يا هذا بوصف أحسن وأعجب من هذا من ترغيب وترهيب وترشيف وتهويل وتحريض ووعد ووعيد لكل جبار عنيد ولكل مصدق ومكذب ولكل مؤمن وكافر ولكل مقر وجاحد فلو لم ترغب إلاَّ في ذلك الوصف لكان ذلك فيه الغنم والفوز العظيم، ولو لم ترهب إلاَّ من ذكر النار وأهوال جهنم لكان في تركك ذلك الخطب الجليل، وعليك فيه الخسران المبين. قال الله تبارك وتعالى ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ[2]﴾. فأما نحن فقد ذكّرناك، فإنْ أنت آمنت وقبلت ما يُتلى عليك من كتاب الله المنزل، انتفعت بما ذكّرناك وكتبنا به إليك وإنْ أبيت إلاَّ المقام على كفرك وضلالك وعنادك للحق، كنا نحن قد أُجرنا إذ عملنا بما أُمرنا به، وكان الحق هو المنتصف منك إن شاء الله.

فهذه، أنار الله قلبك، هيئة ديننا القيّم وهذه شرائعه وأعلامه وسننه. فإذا أنت دخلت فيه وأقررت به وشهدت على شهادته وأحببت الدخول في ما دعوناك إليه من شرائعنا النيِّرة وأعلامنا الواضحة وسُننِنا الحسنة، كنت مثلنا وكنا مثلك؛ فحسْبك بنا شرفاً في الدنيا والآخرة، وإن نبينا، عليه السلام، يقول يوم القيامة: «كل أحد مشغول بنفسه من مَلَك مقرب ونبي مرسل سواه وهو يقول: "أهل بيتي أمتي أمتي"، فيُجاب أولاً في أهل بيته ثم في أمته. ويقول الرَّحمٰن للملائكة: "إني أستحيي أن أردّ شفاعة صفيي وحبيبي محمد"». ثم تكون ممن يجب لك ما يجب، وتصلي إلى قبلتنا التي ارتضاها الله لنا، وتقيم الصلوات الخمس بعد إسباغ الوضوء، إذا كنت صحيحاً وقائماً على رجليك، وإذا كنت مريضاً أو ضعيفاً فجالس؛ فإنْ كنت على سفرٍ فنصف ما تصليه وأنت بالحضر. قال الله عزّ وجلّ ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾. وأما الزكاة فهي رُبع العُشر إذا أتى على المال وهو في ملك صاحبه حولٌ كامل. فتصرف ذلك على المساكين من ملّتك والفقراء من أهلك. وتنكح من النساء ما أحببت لا جُناح عليك في ذلك ولا لوم ولا إثم ولا عيب، إذا أنت تزوَّجتها بولي وشاهديْن وآتيتها من المهر ما طابت به نفسك ونفسها مما تيسَّر. ولك أن تجمع بين أربع نساء، وتطلّق مَنْ شئت إذا كرهتها أو مللتها أو شبعت منها، ولك أنْ تراجع بعد الاستحلال من أحببت منهن أيتهن تبعتها نفسك. قال الله عز وجل: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا[3]﴾، وتتمتع من الإماء بما ملكت يداك. وتختتن لتقيم سُنّة إبراهيم أبينا خليل

---

[1] **سُورَةُ المُرسَلات:** ٧٧/ ٢٤ ــ ٣٨.
[2] **سُوْرَةُ الذَّاريَات:** ٥١/ ٥٥.
[3] **سُورَةُ البَقَرَةِ:** ٢/ ٢٣٠.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الرَّحمٰن، وسُنَّة إسمٰعيل أبينا وأبيك، صلوات الله عليهما. وتغتسل من الجنابة. ثم إنْ قدرت تصوم شهر رمضان، وإلاَّ إنْ فطرت من علة أو مرض أو سفر، بعد أن تنوي قضاء ذلك فإن الله يريد لعباده اليُسْر ولا يريد لهم العسر.[1] وإنْ حنثْتَ في قسمك عملت بما أمر الله به في ذلك، إذ يقول تبارك وتعالى ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ واللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ[2]﴾. وكفارة الحنث عندنا معاشر المسلمين قوله تعالى ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ واحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ[3]﴾.

والحج واجب عليك لأنه جلّ جلاله يقول ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً[4]﴾ وذلك إذا لم يكن عليك دَيْن وكانت لك راحلة وكان عندك ثمن الزاد.

والغزو في سبيل الله فمعه الغنيمة في الدنيا عاجلاً والأجر العظيم في الآخرة آجلاً، فقد سهل الله وله الحمد، على المؤمنين. وإن الله تبارك وتعالى ليحب أن يؤخذ بعزائمه وتشديداته. ولو لم يكن في دين الإسلام شيء، إلاَّ الطمأنينة والأمن وتسليم القلب لله والراحة والثقة بما ضمن الله لنا عن نفسه أنه هو يثيبنا على ذلك في الآخرة الأجر العظيم ويدخلنا جنات النعيم فنكون فيها خالدين، وينصرنا فيها على القوم الظالمين، لكان في دون هذا لنا الفوز العظيم.

فقد تلوتُ عليك من قول الله تبارك وتعالى، وهو قول الحق، لا خلف لوعده، ولا تكذيب لقوله فيما سلف من كتابي هذا ما في أقله كفاية. فدعْ ما أنت عليه من الكفر والضلال والشقاوة والبلاء؛ وقولك بذلك التخليط الذي تعرفه ولا تنكره، وهو قولكم بالآب والابن والروح القدس، وعبادة الصليب التي تضر ولا تنفع؛ فإني أرتابك عنه وأجلُّ فيه علمك وشرف حسبك عن خساسته، فإني وجدت الله تبارك وتعالى يقول ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ[5]﴾. وقال ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ

---

[1] [الإشارة هنا إلى **سُورَةُ البَقَرَةِ**: ٢/ ١٨٥.]
[2] **سُورَةُ البَقَرَةِ**: ٢/ ٢٢٥.
[3] **سُورَةُ المَائدةِ**: ٥/ ٨٩.
[4] **سُورَةُ آلِ عِمْرَان**: ٣/ ٩٧.
[5] **سُورَةُ النِّساءِ**: ٤/ ١١٦.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وَيَسْتَغْفِرُونَهُ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّـهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ[1]﴾.

فدعْ ما أنت منه من تلك الضلالة، وتلك الحمية الشديدة الطويلة المتعبة، وجهد ذلك الصوم الآرم الصعب والشقاء الدائم والبلاء الطويل الذي أنت منغمس فيه، الذي لا ينفع ولا يجدي عليك نفعاً إلاّ إتعابك بدنك وتعذيبك نفسك؛ وأقْبِلْ داخلاً في هذا الدين القيّم السّهل المنهج، الصحيح الاعتقاد، الحسن الشرائع، الواسع السبيل، الذي ارتضاه الله لأوليائه من عباده، ودعا جميع خلقه إليه من بين الأديان كلها تفضّلاً منه عليهم به، وإحساناً إليهم بهدايته إياهم، ليُتمّ بذلك نعماه عندهم. فقد نصحت لك يا هذا وأدَّيت إليك حق المودّة وخالص المحبة، إذْ أحببتُ أن أخلطك بنفسي، وأنْ أكون أنا وأنت على رأي واحد وديانة واحدة. فإنّي وجدت ربّي يقول في محكم كتابه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ والْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ[2]﴾. وقالَ الله في محكم كتابه في موضع آخر ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ[3]﴾. وأشفقت عليك، أبقاك الله، أنْ تكون من أهل النار الذين هم شر البرية، ورجوت أن تكون بتوفيق الله إياك من المؤمنين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وهم خير البرية، ورجوت أنْ تكون من هذه الأمة التي هي خير أمة أُخرجت للناس فإنْ أبيت إلاَّ إلظاظاً ولجاجاً جهلاً وتمادياً في كفرك وطغيانك الذي أنت فيه، وردَدْت علينا قولنا ولم تقبلْ ما بذلناه لك من نصيحتنا، حيث لم نُردْ منك على ذلك جزاءً ولا شكراً، فاكتبْ بما عندك من أمر دينك، والذي صحَّ في يدك منه وما قامت به الحجة عندك، آمناً مطمئناً غير مقصِّر في حجتك ولا مُكاتم لما أنت معتقده، ولا فَرَق ولا وجَل، فليس عندي إلاَّ الاستماع للحُجّة منك، والصبر والإذعان والإقرار بما يلزمني منه طائعاً غير منكر ولا جاحد ولا هائب، حتى نقيس ما تأتينا به وتتلوه علينا ونجمعه إلى ما في أيدينا، ثم نخبرك بعد ذلك على أن تشرح لنا عليه، وتدع الاعتلال علينا بقولك إن الفزع حجبك وقطعك عن بلوغ الحجّة؛ واحتجت أن تقبض لسانك ولا تبسطه لنا ببيان الحجة، فقد أطلقناك وحجتك لئلا تنسبنا إلى الكبرياء، وتدَّعي علينا الجور والحيف، فإنَّ ذلك غير شبيهٍ بنا. فاحتجَّ عافاك الله بما شئت، وقل كيف شئت، وتكلم بما أحببت، وانبسط في كل ما تظن أنه يؤديك إلى وثيق حجتك؛ فإنك في أوسع الأمان، ولنا عليك، أصلحك الله، إذْ قد أطلقناك هذا الإطلاق وبسطنا لسانك هذا البَسْط، أنْ تجعل بيننا

---

[1] **سُورَةُ المَائدةِ:** ٥/ ٧٢ ــ ٧٥.
[2] **سُورَةُ البَيّنَة:** ٩٨/ ٦ ــ ٨.
[3] **سُورَةُ آلِ عِمْرَان:** ٣/ ١١٠.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وبينك حكماً عادلاً لا يجور ولا يحيف في حكمه وقضائه، ولا يميل إلى غير الحق إذا ما تجنَّب دولة الهواء؛ وهو العقل الذي يأخذ به الله عزّ وجل ويعطيّ، فإننا قد أنصفناك في القول، وأوسعناك في الأمان، ونحن راضون بما حكم به العقل لنا وعلينا. إذْ كان لا إكراه في الدين. وما دعوناك إلاَّ طوعاً وترغيباً في ما عندنا؛ وعرَّفناك شناعة ما أنت عليه. والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فأجابه النّصراني

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

ربّ يسّر ولا تعسّر! ربِّ تمم بالخير!

إلى فلانٍ بن فلانٍ، من فلان بن فلان، أصغر عبيد المسيح، سلامة ورحمة ورأفة وتحيات تحلّ عليك خاصةً؛ وعلى جميع أهل العالم عامةً بجوده وكرمه آمين.

أما بعد، قد قرأت رسالتك وحمدت الله على ما وهب لي من رأي سيدي أمير المؤمنين، ودعوت الله الذي لا يخيب داعيه إذا دعاه بنيَّةٍ صادقةٍ، أنْ يطيل بقاء سيدنا أمير المؤمنين في أسبغ النعم وأدوم الكرامة وأشمل العافية بمنه ورحمته، وشكرتُ، أكرمك الله، ما ظهر لي من فضلك بالعناية، وما كشفتَه من لطيف محبتك، وخصصتني به من المودة. فقد كان العهد قبلاً عندي على هذا قديماً، وقد زاده تأكيداً ما تبيَّن لي من شفقتك مستأنفاً، وشكري يقصر عمّا فعلته ولم تتعدَّ ما يشبه كرم طباعك وشرف سلفك. وأنا أرغب إلى الله جلّ اسمه الذي بيده الخير كله أنْ يتولى مكافأتك عني بما هو واسع له، فإنه لا يعجز عن شيءٍ ويحسن جزاؤك عن نيتك فقد لعمري أفرغت مجهودك والنصيحة عند نفسك ولم تبقِ غايةً ووجب شكرك عليّ إذْ لم تأتِ بما أتيت به إلاّ على الإخلاص من المودّة؛ وكان الذي حملك على ذلك فرط المحبة والألفة. وفهمتُ، أفهمك الله كل خير وهداك إلى سبيل الرّشاد، ما اقتصَصْتَه في كتابك وتعمَّقت فيه من الدعوة، وشرحتَه من أمر ديانتك هذه التي أنت عليها، وما دعوتني إلى الدخول إليه ورغَّبتني فيه منها. وقد علمتُ، أصلحك الله، علماً حقيقياً أنّ الذي دعاك إلى ذلك ما يوجبه لنا تفضلك من حق حرمتنا بك لما يظهر من رأي سيدنا وسيدك وابن عمك أمير المؤمنين فينا؛ فهذا ما لا قوة لنا على شكرك عليه، ولا عون لنا على ذلك إلاَّ الله تبارك وتعالى، فإننا نستعينه ونسأله مبتهلين طالبين إليه أن يشكرك عنّا، فإنه أهلٌ لذلك والقادر عليه،

فأمّا ما دعوتني إليه من أمر دينك، الذي تنتحله ومقالتك التي تعتقدها وهي الحنيفية وأنك على ملة أبينا إبراهيم، وما قلت فيه إنه كان حنيفاً مسلماً، فنحن نسأل المسيح سيدنا مخلِّص العالمين، الذي وعدنا الوعد الصادق وضمن لنا الضمان الصحيح في إنجيله المقدس، حيث يقول: «وَمَتَى قَدَّمُوكُمْ إِلَى الْمَجَامِعِ والرُّؤَسَاءِ والسَّلاطِينِ فَلا تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَحْتَجُّونَ

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أَوْ بِمَا تَقُولُونَ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يُعَلِّمُكُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا يَجِبُ أَنْ تَقُولُوهُ [1]». وأنا واثق بما وعدني به سيدي المسيح في إنجيله المقدس من إنجازه وعده لي.

[الثالوث]

وأدخل معك إلى المعركة مستعيناً بالله متكلاً عليه إذْ كنت أنا العاجز عن كل شيءٍ لا أتأخر عن دعوته المنيرة وعن دينه الأفضل وافتتح كلامي بما يلقنني به من صلاح القول ويعلمني من وثيق الحجة كعادته عند أوليائه وأرجو منه الظفر. وأقول مجيباً لك: قد علمتُ أبقاك الله إذاْ زعمت أنك قرأتَ كتب الله المنزلة ونظرت في ديوان أسراره المقدسة التي هي الكتب العتيقة والحديثة، أن التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى النبي وناجاه بجميع ما فيها وخبَّره أسراره مكتوب في السفر الأول من أسفارها الخمسة، وهو المعروف بسفر الخليقة،[2] أنَّ إبراهيم كان نازلاً مع آبائه بحران، وأنَّها كانت مسكناً لهم، وأن الله تبارك وتعالى تجلّى عليه بعد تسعين سنة، وآمن به وحُسب له ذلك براً. فقد علمنا، يرحمك الله، أنَّ إبراهيم إنَّما كان نازلاً بحران مع آبائه تسعين سنةً، لم يعبد إلاَّ الصنم المسمَّى العزَّى، وهو المعروف بحران، المتَّخذ على اسم القمر؛ لأن أهل حران إنما كانوا يعبدون هذا الصنم وتلك البقية قائمة فيهم إلى هذه الغاية لا يكاتمون بها ولا يسترون منها شيئاً غير القرابين التي يتخذونها من الناس فإن ذبح الناس لا يتهيأ لهم اليوم جهراً بل يحتالون فيه فيفعلونه سراً فكان إبراهيم يعبد الصنم حنيفاً مع آبائه وأجداده وأهل بلده، كما أقررت أنت أيها الحنيف وشهدت بذلك عليه، إلى أن تجلّى الله عليه «فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرّاً[3]». زال عن الحنيفية التي هي عبادة الأصنام وصار موحداً مؤمناً لأننا نجد الحنيفية في كتب الله المنزلة اسماً لعبادة الأصنام فورث ذلك التوحيد إسحٰق، الذي هو ابن الموعد، وهو الذي قرَّبه لله ففداه الله بالكبش من الفدية، لأنه هكذا أمره الله وقال: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ إِسْحٰقَ واذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ».[4] ومن نسل إسحٰق من سارة الحرة خرج المسيح مخلِّص العالم. فلهذه الأسباب وغيرها ورَّثه إبراهيم أبوه التوحيد. ثم ورَّثه إسحٰق يعقوب ابنه، الذي سماه الله إسرائيل ثم ورَّثه يعقوب الاثني عشر سِبطاً، فلم يزل ذلك التراث في بني إسرائيل حتى دخلوا أرض مصرَ أيام الفراعنة بسبب يوسف. ثم لم يزل ذلك التراث

---

[1] **لوقا:** ١٢/١١ و١٣.
[2] **التكوين.**
[3] **التَّكْوين:** ١٥/ ٦.
[4] **التَّكْوين** ٢٢/ ٢.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ينقص ويضعف قرناً بعد قرن حتى اضمحل كاضمحلاله الذي كان في عصر نوح؛ إذْ كان التوحيد أوّل من عرفه أبونا آدم، ثم ورثه شيث، ثم ورّثه أنوشَ ابنه؛ فكان أنوش أوّل من أعلن ذكر التوحيد ودعا إليه. ثم ورثه ولده، وولد ولده، ثم اضمحلّ إلى زمن إبراهيم؛ فتجدد ذلك التراث لإبراهيم، ولم يزل يتجدد إلى أنْ وُلد يعقوب الذي هو إسرائيل. ثم اضمحل حتى تجدد عندما بعث الله موسى، فإن الله تجلى عليه بالنار في العوسجة، وقال[1] في مناجاته إياه ومخاطبته له ما معناه: «إنك ترسلني إلى قوم غُلْف القلوب إنْ هم سألوني وقالوا ما اسم الذي وجَّهك علينا، وبماذا وجَّهك حتى نصدقك فماذا أقول لهم فقال الله: هكذا تقول لبني إسرائيل الذين أنا مُرسلك إليهم، وبهذا القول تخاطب فرعون إذا دخلت إليه: «أهيه أشِراهيه أرسلني إليكم». وتفسيره ذلك الأزلي الذي لم يزل إله آبائكم، إله إبراهيم وإله إسحٰق وإله يعقوب، أرسلني إليكم»[2] فجدَّد في هذا الموضع في الظاهر ذكر التوحيد واللغز عن سرّ الثالوث، حيث قال إله إبراهيم وإله إسحٰق وإله يعقوب؛ فيكون بذلك القول ذكر الثلاثة الأقانيم بعد ذكر التوحيد كما كان قديماً. فهو واحد ذو ثلاثة أقانيم لا محالة، لأنه أجمل في قوله: «إله آبائكم»، ثم قال مكرراً اسم الجلالة ثلاث مرات، فتقول إنها ثلاثة آلهة أم إله واحد مكرراً ثلاث مرات؟ فإنْ قلنا إنها ثلاثة آلهة أشركنا، وجئنا بأشنع القول وأمحله؛ وإنْ قلنا إله واحد مكرراً ثلاث مرات فنكون قد نخعنا الكتاب حقه؛ لأنه قد يمكنه أنْ يقول: إله آبائكم إبراهيم وإسحٰق ويعقوب. وإنما كرر ذلك للإشارة بأن في هذا الموضع سراً؛ وهو أن الله واحد ذو ثلاثة أقانيم، فثلاثة أقانيم إله واحد، وإله واحد ثلاثة أقانيم. فأيّ دليل أوضح وأي نور أضوى من هذا؟ إلاَّ لمن عاند الحقّ وأرد أنْ يغشَّ نفسه، ويعمي عين تمييزه، ويصمّ سمع عقله عن استماع سرَّ الله، الذي أودعه في كتبه التي أنزلها على أنبيائه. وهي، أكرمك الله، في أيدي أصحاب التوراة إلى هذه الغاية لم يكونوا يفهمونه، حتى جاء صاحب السرّ الذي هو المسيح سيدنا وكشفه لنا وأفهمناه فقد علمنا الآن أن إبراهيم كان منذ وُلد إلى أن أتت عليه تسعون سنة حنيفاً عابد صنم. ثم آمن بالله إلى أنْ قُبضَ، فأنت، أصلحك الله، تدعوني إلى دين إبراهيم وملّته؛ فليت شعري إلى أي مذهبيْه ودينيْه تدعوني، وفي أيّ حالتيْه تُرغّبني؟ أَحَيث كان حنيفاً يعبد الصنم المعروف بالعُزَّى مع آبائه وأهل بيته وهو بِحران؟ أم حيث خرج عن الحنيفية ووحَّد الله وعبده وآمن به وانتهى إلى أمره عندما أمره أن ينتقل عن بلده فانتقل طائعاً عن حران دار الكفر ومدينة الضلالة؟ فلا أظنك تستجيز في عقلك، وحسن تمييزك، وجودة معرفتك التي زعمت بالكتب المنزلة ودراستك إياها أنْ تدعوني إلى مثل حال إبراهيم في كفره وضلاله من عبادة الأصنام التي هي الحنيفية. وإنْ كنت تدعوني إلى حاله وقت إيمانه وما حُسب له من

---

[1] موسى.

[2] قابل **الْخُرُوج**: ٣/ ١٥.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

البرّ وقت توحيده؛ فاليهودي ابن إبراهيم أَوْلى بهذه الدعوة منك، لأنه صاحب تراث إسحٰق الذي ورث هذا التوحيد عن إبراهيم أبيه، وهو أولى منك وأحقّ بهذا الأمر فما لك والظلم والحيف والجنف، وطلب ما لم يجعله الله لك حقاً؟ فأنت دائماً تنسب ذاتك إلى العدل، وتصفها بهذه الصفة؛ وصاحبك[1] يقرّ في كتابه، ويقول طائعاً أنه قِيل له ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[2]﴾. أفلا ترى أنه أوّل من أظهر الإسلام، وأنَّ قبله إبراهيم وغيره لم يكونوا مسلمين؛ لأن صاحبك قد أقرَّ بأنه هو أوّل من أسلم وفي هذا الجواب لهذا الباب كفاية وأمر مقنعٌ لذوي الألباب.[3]

فإن أبيْت، أصلحك الله، إلاَّ الوكالة بالخصومة والاحتجاج عن اليهود؛ فأنت تعلم ما يجب لنا عليك في الحكم إذا نحن طالبناك بإقرار اليهودي بتوكيله إياك، فإنْ ثبتت وكالتك له فبتملهنا عليك ومسامحتنا لكَ في هذا الموضع أنْ نأخذ منك إقرارك أنك أقمت نفسك ونصَّبتها منصب الخصم عن اليهود، وأنا لا أرى لشرفك وحسَبك أن أحلّك هذا المحل وأقيمك هذا المقام. وإنْ كنت أنت أحللته نفسك وإنّي أسألك عن هذا الواحد الذي دعوتنا إلى الإقرار بوحدانيته، كيف تفهمنا أنه واحد، وعلى كم نحوٍ يُقال للواحد واحداً؟ فإذا أنبأتنا بذلك علمنا أنك صادق فيما ادَّعيت من عبادة هذا الواحد، وإنْ ألفيت غير عالمٍ به فأين تبصرك؟ ألا تعلم أنّ الواحد لا يُقال له واحداً إلا على ثلاثة أوجه؛ إمّا في الجنس، وإمّا في النوع، وإمّا في العَدَد، ولستُ أرى أحداً يدَّعي غير هذا، أو يقدر أنْ يجد غير هذه الأوجه الثلاثة إنْ كان ذا لبٍّ وإدراكٍ لما يقول. وإنّما أناجيك بهذه المناجاة وأخاطبك بما يخاطَب به ذو العقل والرأي الرّاسخ في العالم الداخل في الأمور بدارية فهمٍ لأنك، أيدك الله، لست عندي من الجّهال الذين إذا أوردت عليهم مسألةً غامضة تلطف عن غلظ طباعهم وجفاء أذهانهم عجزوا عن فهمها وانقطعوا عن الإجابة عنها لقلة علمهم، فلم يكن لهم ولا عندهم من الجواب فيها غير سبحان الله. نعم سبحان الله أبداً حتى تنصرم الدنيا ما دامت الآخرة من كلِّ لسانٍ ناطق وشفةٍ متحركةٍ فعلى أي وجه تصف الله عزَّ وجلّ واحداً من هذه الوجوه، التي ذكرتها لكّ، أفي الجنس أم في النوع أم في العَدَد؟ فإن قلت إنه واحد في الجنس صار واحداً عاماً لأنواع شتى، لأن حكم

[1] [لا يذكر مؤلفنا النبي بالاسم قط، بل غالباً بلفظ «**صاحبك**».ـــ **موير**.]

[2] **سُورَةُ الأنعَام**: ٦/ ١٤.

[3] [إن الحجة بخصوص الأقانيم الثلاثة التي تستند إلى القول بـ«إله إبراهيم وإله إسحٰق وإله يعقوب» لافتة للنظر. من بين المقاطع ذات صيغة الجمع تلك المأخوذة من **سِفْرِ دَانِيآل**، «وَقَعَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ: "**لَكَ يَقُولُونَ** [وليس **أقول**] **يَا نَبُوخَذْنَصَّرُ** الْمَلِكُ"». ـــ وهو تعبير لم أتقصاه. إن العديد من حجج الكندي غير مقنعة، لا سيما الميتافيزيقية، رغم أنها صِيغت على الأرجح في قالب جدلي جذّاب في ذلك العصر. بيد أن الحجة الوحيدة في هذا المقطع التي لدي شكوك حولها هي تلك التي يؤكد أن الديانة **الحنيفية** لإبراهيم، ليست الإيمان القويم في واحدانية اللّه (كما عُبر عنها بوضوح في القرآن)، بل الوثنية الصابيئة. والمؤلف يلوي نصوص القرآن من أجل دعم هذه النظرة، مثل ما يُؤمر به محمد ﴿أَنْ أَكُونَ **أَوَلَ** مَنْ أَسْلَمَ﴾. إن القرّاء المحمديين سيعترضون بمبرر على ذلك التشويه لكتابهم المقدس.ـــ **موير**.]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الواحد في الجنس هو الذي يضمّ أنواعاً كثيرة مختلفة وذلك مما لا يجوز في الله تعالى. وإنْ قلت إنه واحد في النوع، صار ذلك نوعاً عاماً لأقانيم شتى، لأن حكم النوع يضم أقانيم كثيرة في العَدَد. وإنْ قلت إنه واحد في العَدَد، كان ذلك نقضاً لكلامك أنه واحد فرد صمد؛ لأني لا أشكّ في أنّه لو سألك سائل عن نفسك «كم أنت؟» لا تقدر أن تجيبه بأنك واحد فرد، فكيف يقبل عقلك هذه الصفة التي لا تُفضّل إلهك عن سائر خلقه. وليتك مع وصفك إياه بالعدد كنت وصفته أيضاً بالتبعيض والنقصان. أتراك لا تعلم، أنت الرّجل الذي فتشت الكتبَ وقرأتها وناظرت أهل الملل المختلفة وفهمت اعتقاداتهم، أنّ الواحد الفرد بعض العَدَد؟ لأن كمال العَدَد ما عمَّ جميع أنواع العَدَد؛ فالواحد بعض العَدَد، وهذا نقضٌ لكلامك. فإنْ أنتَ قلت إنه واحد في النوع فالنوع ذوات شتى لا واحد فرد. وإنْ قلت واحد في الجوهر وجب أنْ نسألك: هل تخالف صفة الواحد في النوع عندك صفة الواحد في العَدَد؟ أو إنّما تعني واحداً في النوع واحداً في العَدَد لأنه عام. فإنْ قلت: «قد تخالف هذه تلك»، قلنا لك: حدّ الواحد في النوع عند أهل الحكمة العارفين بحدود الكلام والعالمين بقوانين المنطق اسمٌ يعمّ أفراداً شتى، وواحد الواحد ما لا يعمّ غير نفسه المقرّ أنت أنّ الله واحد في الجوهر يعمّ أشخاصاً شتى إنّما تصفه شخصاً واحداً. وإنْ كان معنى قولك إنّه واحد في النوع واحد في العَدَد، فإنّك لم تعرِّف الواحد في النوع ما هو وكيف هو، ورجعت إلى كلامك الأول أنه واحد في العَدَد، وهذه صفة المخلوقين كما قدمنا أنفاً وإنْ قلتَ هل تقدر أنت أن تصف الله واحداً في العَدَد إذا كان كزعمك الواحد في العَدَد بعضاً وليس بكامل، قلنا لك: «إننا نصفه واحداً كاملاً في الجوهر مثلّثاً في العَدَد»، أي في الأقانيم الثلاثة، فقد كملت صفته من الوجهيْن جميعاً. أمّا وصفنا إياه واحداً في الجوهر فلاعتلائه، جلّ وعزّ، عن جميع خَلْقه وبريته محسوسةً كانت، أو غير محسوسة، لا يشبهه شيء منها ولا يختلط في غيره، بسيط غير كثيف، وروحاني غير جسماني، أب على كل شيء بقوة جوهره من غير امتزاج ولا اختلاط ولا تركيب. وأمّا في العَدَد فلأنه عام لجميع أنواع العَدَد لأن العَدَد لا يُعد وإنْ تكن أنواعه نوعيْن زوجاً وفرداً، فقد دخل هذان النوعان في هذه الثلاثة، فبأي الأنحاء وصفناه لم نعدل عن صفة الكمال شيئاً كما يليق به ذلك لتعلم أنّ وَصْفنا الله واحداً ليس على ما وصفته أنت، أكرمك الله، وأرجو أن يكون هذا الجواب مقنعاً لك وللناظر في كتابنا هذا، إذا نظر بعين الإنصاف إنْ شاء الله. واعلمْ، أصلحك، الله أنّه يمكننا أن نعقّد الكلام في هذا الفصل من كتابنا وكان ذلك مما يحتمله الموضوع لكننا أحببنا أنْ يكون كلامنا سهلاً يفهمه كلّ مَنْ قرأه واستملى منه وكي لا تستثقله الأسماع وينفر منه الذهن وينبغي لكَ أصلحك الله أنْ تعلم أنّ مناضلتنا في هذا الأمر كمناضلة الأخوة المشتركين في بضاعة واحدةٍ ورثوها عن أبيهم فكلّ فيها مشترك ليس بعض فيها دون بعض؛ فأنت ونحن في الكلام سواء. فما جاء من الجواب، وكان فيه بعض مرارة توجب الحقّ فينبغي لكَ أنْ تعترفَ به ولا

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تنكره، فإنّا لا ندعْ الاستقصاء وبلوغ الغاية القصوى في اللبس عن حقنا ودحض حجة من أراد إبطال حجتنا وأمرنا وحاول ظلمنا. وأما قولك: إنه لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكن له كفــؤاً أحد. فإنْ أنت، أبقاك الله، أنصفتنا، والإنصاف أشبه بك وأولى، كما ضمنت عن نفسك وعدلت في القول وألزمتنا قانون الحق أقررتَ لي بهذا، أنَّ الذي ألزمه أن له خليلاً، وله حبيبــاً، ولــه صفياً، هو الذي شنع عليه وألزمه أن له صاحبةً، وأنّه اتّخذ ولداً وكان له أكفاء. وأمــا نحــن، أصلحك الله، فلا نقول إنَّ الله تبارك وتعالى كانت له صاحبة، ولا إنه اتخذ ولداً، ولا إنه كــان له كفؤاً أحد؛ ولا نصف الله عزّ وجلّ بمثل هذه الرذائل والخسائس من صفات التشبيه. وإنمــا هذه الشُبهات لكم من قِبل اليهود حيث أرادوا كيدكم بذلك، فلفَّقوا هذه القصص، التي يقصّــونها على ظهر الطريق وفي الشوّارع فيتكلمون بالعظائم وبكلّ شنيع من الكلام وإلاّ فأنت تعلــم إذْ كنتَ ذا علمٍ بالكتب أنْ ليس في كتبنا المنزلة لهذا ذكرٌ فتقبله عقولنا أو نتكلم بــه، وإنمــا هــو كتابك الذي أكثر التشنيع علينا وادَّعى على المسيح سيدنا ومحيي البشر الدعاوي التي لم يقلهــا قطّ، مما أكره تطويل كتابي به وتعريف القصة في تناقضه والإخبار بأسبابه وكيف كان ذلــك من حيلة وهَب بن منبه وعبد الله بن سلاّم وكعب المعروف بالأحبار، أولاد اليهــود، وكيــدهم ونعتهم وكيف احتالوا في إدخال ذلك وغيره من التشنيعات علينا، بل وعليكم. وإنْ فحصت عن ذلك في كتابك عرفت حقيقته. فأمّا نحن فلم نقلْ قطّ ولا نقول أبداً إنّ الله تبارك وتعــالى اتّخــذ صاحبةً، وولد ولداً، وليس قولنا إنَّ لله ابناً، وهو الكلمة الخالقة، قول من قال إنه اتّخــذ ولــداً. وأنت، حرسك الله، تعلم ما في هذا الكلام من الشّناعة والتناقض والفرية على الله وعلى كلمتــه وعلى روحه. ونحن نقول إن الله الأزلي بكلمته لم يزل حليماً رؤوفاً؛ وإنما وصــفناه تبــارك وتعالى بالرحمة والرأفة والملك والعزّ والسّلطان والجبروت والتدبير، وما أشبه هذه الصــفات، لما يظهر لنا من أفعاله. وقد أخبَرتْ عنها عقول الناس واشتقّوها له اشتقاقاً لأجل فعله إياهــا، فاستوجبها عزّ وجلّ بالكمال والحقيقة، كما استوجب جميع ما سُمّي به من أجل فعله له.

فأمّا صفات ذاته، تبارك وتعالى، فجوهر ذو كلمة وروح أزلي لم يزل متعالياً مرتفعــاً عن جميع النعوت والأوصاف. ولننظرْ الآن في هذه الصفات من حيٍّ وعــالم، أَهــي أســماءٌ مفردة مرسَلة؟ أم أسماء مضافةً تدلّ على إضافة شيء إلى شيء؟ ويجب علينــا أنْ نعلــم مــا الأسماء المضافة وما الأسماء المفرَدة المرسَلة؛ فأمّا الأسماء المرسَلة، فهي كقول القائل أرض أو سماء أو نار أو ماء أو كل ما كان قيل شبيهاً مما لا يُضاف إلى غيرهــا؛ وأمــا الأســماء المضافة إلى غيرها، كالعالم والعلم، والحكمة والحكيم، وما أشبه ذلك. فالعالم عالمٌ بعلمه والعلم عِلمُ عَالمٍ. والحكمة حكمة حكيم. وهذا القول نظير لِما وصفنا ونقتصر عليه لئلا يخــرج بنــا اتّساع الكلام إلى الكثرة. فإذا قد بيّنا ما الأسماء المفردة وما الأسماء المضافة المنســوبة إلــى

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

غيرها وجب أنْ نسألك عن الموصوف بهذه الصفة: ألازِمَةٌ هي لجوهره في أزليته أم اكتسبها له اكتساباً واستوجب الوصف بها من بَعْدُ كما استوجب أنْ يوصف أنَّ له خليقةً حيث خُلق؟ وسائر ذلك مع ما لم أذكر من أسماء يُسمَّى بها، وصفات تجلّى بها لفِعْله إياها. فإذا قيل كما يُوصف تعالى إنّه كان ولا خَلْق حتّى أتى على ذلك بالفعل، كذلك يجوز أنْ يُقال إنه كان ولا حياة له ولا علم ولا حكمة حتى صارت الحياة والعلم والحكمة لديه موجودة، وهذا محال من الكلام أنْ يكون الله عزّ وجل طرفة عينٍ خلواً من حياةٍ وعلم. وإنْ قلتَ إنَّ الأمرَ غير ما ظننت ووصفت لما يلزمك من الشنعة لأنه قد يُوصف أنّ لله خليقة قبل أنْ يقارن شيئاً منها بالفعل قلنا إنّما هما وجهان إمّا أنْ يكون الله وحده أزلياً وما سواه محدَثاً أو أنْ تزعم أنَّ البرية والخلائق أزلية أيضاً غير محدَثة فلا أحسبك إلاّ ناقضاً على مَنْ يصف الخلق بشيء من ذلك فإذَنْ لا محالة يُقال إنَّ الله وله الحمد قد كان من غير أن يكون شيء من الخلائق موجوداً. فكيف جاز أنْ يوصف بأن له خليقةً إذْ لم يخلق بعد حتّى أتى الوقت الذي فيه شاء أنْ يخلق ما خلق فخلق؟ فإنْ قلتَ من أجل أنه قادرٌ على أنْ يخلق إذا أراد وجب أن يُوصف بأن له خلقاً منذ الأزل قلنا يلزم على هذا أنه قد أقام القيامة وأحيى الموتى وبعث مَنْ في القبور. وقد أدخل الجنة جميع الأبرار وملأ جهنّم بمَن كان مستوجباً لذلك منذ الأزل لأنه قادر على ذلك مع أنّي لا أظنّ أنَّ أحداً من العقلاء يقول بهذه الصّفة فينبغي أنْ نرجعَ، أصلحك الله، إلى ما يوجبه العقل في المناظرة ونعلم أن الصّفات في الله تبارك اسمه وتعالى صفتان مختلفتان: صفة طبيعية ذاتية لم يزل متَّصفاً بها؛ وصفة اكتسبها له اكتساباً، وهي صفة فعله. فأمّا الصّفات التي اكتسبها اكتساباً من أجل فعله فمثل رحيم وغفور ورؤوف وأمّا الصفات المنزلة التي هي الصّفات الطبيعية الذاتيّة التي لم يزل، جلّ وعزّ، متَّصفاً بها فهي الحياة والعلم؛ فإن الله لم يزل حياً عالماً، فالحياة والعلم إذن أزليان لا محالة. فقد صحَّت نتيجة هذه المقدمات أنّ الله واحد ذو حكمةٍ وروح في ثلاثة أقانيم قائمة بذاتها يعمّها جوهر اللاّهوت الواحد؛ فهذه هي صفة الواحد المثلث الأقانيم الذي نعبده، وهذه الصّفة التي ارتضاها لنفسه ودلّنا على سرِّها في كتب ديوانه المنزلة على ألسن أنبيائه ورسله. فأوّل ذلك ما ناجى به موسى كليمه، حيث أعْلمه كيف خلق آدم فقال في السفر الأول من كتاب التوراة: «في البدء الآلهة[1] بَرَاَ السّموات والأرض[2]»، فبهذا يشير الكتاب المقدس إلى تثليث الأقانيم، ووحدة الطبيعة، لأنه بقوله الآلهة بصيغة الجمع يشير إلى الأقانيم الثلاثة وبقوله «بَرَاَ» بضمير المفرد يشير إلى وحدة الطبيعة والجوهر الذي هو الأقانيم الإلهية الثلاثة. وقال أيضاً في هذا السفر إن الله قال عند خلقه آدم «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى

[1] لأنَّ الأصل العبراني (ألوهيم) وهي تفيد الجمع وحيث أنَّ الجمع العبراني لا ينطبق على الجمع العربي قد تُرجم في ترجمة سنة ١٨٨٦ بصيغة المفرد هكذا «في البدء خلق الله السّموات والأرض».
[2] **التّكْوين**: ١/ ١.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا»،[1] ولم يقل، عزَّ وجلّ، أعمل على صورتي وشبهي. وقال تبارك وتعالى في الإصحاح الثاني من هذا السفر عندما أراد أنْ يخلق حواء: «لا يحب أن يكون آدم وحده فلنجعل[2] له معيناً مثله»، ولم يقلْ «اجعل». وقال جلّ وعزّ أن آدم «قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا»[3] توبيخاً له من أجل خطيته ومعصيته الوصية في أكله من ثمر الشجرة التي أمره الله ألاَّ يأكل منها، فعصاه وأكل؛ فورث بذلك موت الخطية، ولم يقلْ تبارك وتعالى «مثلي». وقال عزَّ وجلَّ في موضع آخر أيضاً من هذه السّفر: «هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ»،[4] وذلك أنّهم اجتمعوا ليَبْنوا صرحاً يكون رأسه في السماء؛ ففرَّق الله ضعف رأيهم وقلة عقولهم في ما فكروا فيه من بناء صرحٍ شامخٍ يصير لهم ملجأً ومهرباً من الطوفان إذا جاءهم مرّة أخرى والله تبارك وتعالى عالمٌ أنَّه قد كان عاهد نوحاً أنَّه لا يأتي الطوفان مرةً أخرى على وجه الأرض وكان بناء هؤلاء والفكر فيه سخفاً وسفهاً فغير ألسنتهم ليتعطلوا عن إنفاذ فكرهم الذي لا معنى له ولم يقلْ أنزل فأبلبل. فهذا ما ناجى الله به موسى، فخبَّرنا بهذا السرّ في الأقانيم الثلاثة عن الله، تبارك وتعالى، أفترى لنا أصلحك الله أنْ ندع كلام الله، عزّ وجلّ، والسرَّ الذي أودعه موسى نجيّه وتصحيح موسى ذلك بالعلامات العجيبة والآيات الباهرة التي لا يمكّن أحداً من الآدميين أنْ يأتي بمثلها وتصريحه لنا هذا التصريح عن تعليم الله له ونقبل قول صاحبك بلا حجةٍ ولا آيةٍ ولا أعجوبةٍ ولا دليل واضح ولا برهان ساطع حيث يقول إن الله فردٌ صمد، ثم يرجع فيناقض قوله، ويقول إنَّ له روحاً وكلمة؟ فهو قد وحَّد وثلَّث من حيث لم يعلم. وما أظنك ترى ذلك صواباً إذا أنت أنصفتنا. ودانيال النبي يخبرنا في كتابه أنّ الله قال لبختنصر لك يقولون يا لوخذ نصر ولم يقل لكَ أقول. وفي كتابك أيضاً شبيه بما ذكرنا من قول موسى ودانيال عن الله تعالى فعلنا وخلقنا وأمرنا وأوحينا وأهلكنا ودمرنا مع نظائر لهذه كثيرة. أفيشكّ أحدٌ في أن هذا القول قول شتى لا قول فرد؛ فإنْ ادَّعيت أن العرب قد أجازت هذا القول واستعملته في كلامها ومخاطبتها تريد به التفخُّم، قلنا لك: أيها الملفق للكلام أنه لو كانت العرب وحدها هي التي ابتدعته كان لك في كلامك تعلّق، فأما إذْ قد سبق العرب العبرانيون والسريانيون واليونانيون وغيرهم من ذوي الألسنة المختلفة على غير تواطؤ، فليس ما وصفت من إجازة العرب ذلك حجّة مع أنه من أين أجازت العرب هذا. فإن قلتَ: بلى قد أجازته، حيث يقول الرجل الواحد منهم أمرنا وأرسلنا وقلنا ولقينا وما أشبه ذلك؛ نقول لك: إن ذلك صحيح جائز في المؤلَّف من أشياء مختلفة والمركَّب من أعضاء غير متشابهة لأن الإنسان

---

[1] **التَّكْوين**: ٢٦/ ١.

[2] هكذا بالعبراني معناه وفي الترجمة الحالية فاصنع بصيغة المفرد على ما علمت.

[3] **سِفْرُ التَّكْوين**.

[4] **التَّكْوين**: ٧/ ١١.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

واحد كثيرة أجزاؤه، فأول أجزاءٍ من الإنسان النفس والجسد، والجسد مبني من أجزاء كثيرة وأعضاء شتى، فلذلك جاز له أنْ ينطق بما وصفتَ من قلنا وأمرنا وأوحينا إذْ هو عدد واحد كما ذكرت. فإن قلت إن ذلك تعظيمٌ لله جل وعزّ وإجلال له وتفخيم أنْ يقول أرسلنا وأمرنا وأوحينا. قلنا لك، لعمري، لو لم يقلْ ذلك من ليس بمستحقٍّ للتعظيم لجاز قولك؛ ولكن الله سبحانه وتعالى ليعلّمنا أنه واحد ذو ثلاثة أقانيم، قد نطق بكلتا الصيغتيْن من أمرتُ وأمرنا وخلقتُ وخلقنا وأوحيتُ وأوحينا؛ فإنَّ الأولى دليل على الوحدانية، والثانية على تعدد الأقانيم، وبيان ذلك قول موسى النبي عن الله تعالى في التوراة التي أنزلها ما معناه، أن الله تراءى لإبراهيم وهو في موضع بلوطات ممراً جالساً على باب خبائه في وقت استحرار النهار، فرفع إبراهيم عينيْه فرأى ثلاثة رجالٍ وقوفاً بإزائه فبادر إليهم واستقبلهم قائلاً: «يَا سَيِّدُ إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلا تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ [1]». ألا ترى أن المنظور إليه من إبراهيم ثلاثة، وأن المخاطبة مخاطبة شخصٍ واحدٍ، فسمّاهم رباً واحداً، وتضرع إليه سائلاً طالباً أن ينزل عنده؟ فعدّه الثلاثة سرّ الأقانيم الثلاثة، وتسميته إياهم ربّاً واحداً لا أرباباً سرّ لجوهرٍ واحدٍ؛ فهي ثلاثة بحق وواحد بحق كما وصفنا.

ثم إنَّ موسى أخبر أن الله قاله له: «اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد». معنى ذلك أن الله الموصوف بثلاثة أقانيم هو رب واحد. وداود النبي يقول في المزمور الثالث والثلاثين عن الله تعالى «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَوَاتُ وَبِنَسَمَةِ فَمِهِ كُلُّ جُنُودِهَا»، فأفصح داود وصرح بالثلاثة الأقانيم حيث قال الله وكلمته وبنسَمة. فهل زدنا في وصفنا على ما قال داود؟ ثم إنَّه قال في موضع آخر في كتابه تحقيقاً بأن كلمة الله إله حقٌّ «لكلمة الله أسبّح»؛ فإنْ كان داود عندك يسبّح لغير الله ما أظنك تقول هذا. ثم إنَّه يقول في موضع آخر من كتابه «مبارك الربّ يوماً فيوماً يحملنا إله خلاصنا». أفداود كان يطلب أنْ يبارك عليه إله واحدٌ أم آلهة ثلاثة ولكنه رمز في كتابه إلى ذكر الثلاثة أقانيم أنها إله واحد.

وقال إِشَعْيَاء، النبي المحمود من الله تعالى، في الإصحاح الثامن والأربعين: «لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنَ الْبَدْءِ فِي الْخَفَاءِ مُنْذُ وُجُودِهِ أَنَا هُنَاكَ، والآنَ السَّيِّدُ الرَّبُّ أَرْسَلَنِي وَرُوحُهُ». وهذا هو قولنا ثلاثة أقانيم إله واحد ورب واحد، لم نخرج عن حدود كتب الله المنزلة، ولم نزدْ فيها ولم نُنقص منها شيئاً ولا بدّلناها ولا حرّفناها كادعائك علينا بالتحريف والتبديل ولسنا ندعْ مناظرتك في التبديل والتحريف بما يعلم به العاقل إذا نظر في كتابنا هذا إنك ظلمتنا فيه بل ظلمت الحقّ وادّعيت علينا فعلاً ولم نكن نفعله ولا ندع تقرير ذلك عندك فيما بعد إنْ شاء الله تعالى.

---

[1] **التَّكْوين**: ١٨/ ٣.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ولنرجع الآن إلى كلامنا ولا نخرج منه حتى نستوفيه ونوفيك الشّهادات من كتب الله المنزلة ومن ديوان أسراره المقدّسة على صحة قولنا وحقنا الذي بأيدينا وصدق منهاجنا ونستعين بالله على ذلك.

ثم وصف إِشَعْيَاء النبي أن الله عزّ وجلّ تراءى له والملائكة حافّون به مقدِّسون له قائلين «قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ[1]» فتقديس الملائكة ثلاث مرات واقتصارهم على ذلك بلا زيادة ولا نقصان سرٌّ لتقديسهم الأقانيم الثلاثة إلهاً واحداً وربّاً واحداً وهذا شأنهم منذ خُلقوا إلى أبد الآبدين بلا انقطاع لذلك ولا غاية ولا منتهى، ولو شئتُ أنْ أسطّرَ عليك الشّهادات من الكتب المقدسة المنزَلة بالتصريح والاجتهاد في القول في أنَّ الله، جلّ وتعالى، واحدٌ ذو ثلاثة أقانيم، لفعلتُ ذلك، لكنني أكره التطويل، فاقتصرت على ما كتبتُ، ولما ذكرتَه من أنك درستَ كتبَ الله المنزلة حقّ دراستها؛ فإنْ كنت قد درستها كما ذكرتَ، فقد استدللْتَ بيسيرٍ ما كتبتُ به إليك على كثير ما في كتب الله المُنْزَلة من أسرار أقانيمه وتوحيده. فأنا، أبقاك الله، أدعوك بعد هذا الشرح والبيان الذي أوضحته لكَ وكشفته بين يديك وصح عندك وفي ذكرك ورضي به عقلك إلى عبادة هذا الواحد الذي قد شرحت لكَ كيف هو واحد ثلاثة وثلاثة واحد وليس كدعائك إياي إلى أمرٍ مدغمٍ مبهمٍ مجهولٍ غير معقولٍ. فاستعمل، أنار الله عقلك وقلبك، ما ضمنته عن نفسك فإنَّ الوفاء من الله بمكان أو ينبغي لك أصلحك الله أنْ تميّز الكلام وتعالم كيف مخارجه ولا تعسف معانيه. وليس دعائي إياك إلاَّ إلى الله الواحد الذي هو ثلاثة أقانيم، كامل بكلمته وروحه، واحد ثلاثة وثلاثة واحد. ومن هذه الجهة ليس هو ثالث ثلاثة كما شنَّع في القول علينا صاحبك، إذْ قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ[2]﴾، فهذا قول صاحبك. ولقد كنتُ أحب، أكرمك الله، أنْ أعرفَ مَنْ هؤلاء الذين يقولون إنَّ الله ثالث ثلاثة؟ أمِنْ فرق النصرانيّة هم أم لا؟ وأنت قد ادّعيت معرفة الفِرق الثلاث، وهي لعمري الفِرق الظاهرة، فهل تعلم أن أحداً منهم يقول إن الله ثالث ثلاثة؟ فما أظنك تعرفه ولا نحن نعرفه أيضاً. اللَّهم إلاَّ أنْ يكون أراد صفاً يُسمَّون المركيونية فإنهم يقولون بثلاثة أكوان يسمّونها آلهة متفرقة: فواحد عادل، وآخر رحيم، وآخر شرير؛ وليس أولئك نصارى ولا يُسمّون بهذا الاسم. فأمّا أهل النصرانية فكل منْ ينتحل هذا الاسم فهو بريء من هذه المقالة، جاحد لها، كافر بها. وإنّما قولهم إنّ الله واحد ذو كلمة وروح من غير افتراق وقد أقرَّ صاحبك بهذا إذ حثَّكم على الإيمان

---

[1] **إِشَعْيَاء:** ٦/ ٣.
[2] **سُورَةُ المَائدةِ:** ٥/ ٧٣ ــ ٧٤.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بالمسيح سيد العالم ومخلّص البشر وأمركم بذلك ودعاكم إليه بقوله ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ[1]﴾.

فافهمْ كيف أوجب أنَّ الله تباركَ وتعالى ذو كلمة وروحٍ، وصرّح بأن المسيح كلمة الله تجسدت وصارت إنساناً. فهل يكون من البيان والشرح أو من الإيضاح والتصريح أكثر من هذا. ثم ختم بقوله: وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ آلهة، أو يتوهم ذلك عن الله، جلّ وعزّ، بل انتهوا عنه فإنّه لعمري خير لكم ألاَّ تقولوا بمقالة مركيون، الكلب الجاهل، إنهم ثلاثة آلهة. فقد شرحتُ لك، أكرمك الله، كيف مذهبنا ومعنى قولنا إن الله واحد ذو كلمة وروح، واحد ذو ثلاثة أقانيم وقد أوضحته إيضاحاً يكون فيه ذلك ولكل من نظر في جوابنا كفايةً ونفعٍ إذا لطف النظر ودقق الفكر ونصح لنفسه إنْ شاءَ الله تعالى.

[حياة محمد]

فلنرجع الآن إلى الباب الآخر من كتابك ونجيبك عنه فأقول قد فهمتُ ما دعوتَني إليه من الشهادة لصاحبك والإقرار بنبوّته ورسالته، وما عظَّمتَ من أمره، فأمّا تعظيمك إياه وتفخيمك أمره فلسنا نجادلك فيه ولا نرده عليك وليس عندنا فيه إلاّ تسليمه لك، والسّكوت عنك إذْ كنت أَوْلى الناس بقرابتك، وقرابتك أَوْلى الناس بك. وإنّما نحن مناظروك فيما دَعوْتنا إليه من الإقرار بنبوّته بأنّ ذلك حقٌ واجبٌ. فإنْ كان ذلك حقاً واجباً فليس ينبغي لنا ولا لأحدٍ ذي عقل أن يمتنع أو يمتعض من قبوله، فإنّه لا يمتنع من الإقرار بالحقّ إلاّ ظالم معتدٍ، أو جاهل بمعرفة قدْر الحق، وإنْ كان ذلك غير الحقَّ فلا ينبغي لك أنْ تقيم على غير الحق؛ فكيف تدعونا إليه، فإنك إذا فعلت هذا كنت ظالماً لنفسك أولاً، ثم متعدّياً على من تدعوه إلى غير الحّق. فلنطرح الآن من بيننا العصبيّة، ولنفحص عن أول قصة صاحبك هذا الذي تدعونا إلى الإقرار له بالنبوة، ونشرحها من أولها إلى آخرها، ونختبرها اختباراً شافياً، أو نتناظر فيها مناظرة إنصافٍ، كي لا نميل إلى الهوى الذي يرى بعينِ الغرض والجور. فإنَّ هذا أمرٌ جليل الخطب، عظيم القدر، شريف المنزلة، وعلى حسب ذلك يجب أن يكون النظر فيه والبحث عنه بتَأنٍّ وتَرَوٍّ.

ألستَ تعلم، أكرمك الله، ونحن معك أنَّ هذا الرجل كان يتيماً في حِجْر عمّه عبد مناف المعروف بأبي طالب الذي كفله عند موت أبيه وكان يعوله ويمنع عنه. وكان يعبد أصنام

[1] **سُورَةُ النِّساءِ:** ٤/ ١٧١.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

اللاّت والعُزّى مع عمومته وأهل بيته بمكة على ما حكى هو في كتابه وأقرَّ بـه على نفسه حيث قال ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى[1]﴾ أفلا ترى أنَّه أوجب بهذا القول الإقرار بأنَّه كان يتيماً فآواه وضالاً فهداه وعائلاً فأغناه. ثم نشأ في ذلك الأمر حتى صار في خدمة عِيرٍ لخديجة بنت خويلد، يعمل فيها بأجرة ويتردّد بها إلى الشّام وغيرها، إلى أنْ كان ما كان من أمره وأمر خديجة وتزوُّجه إياها للسبب الذي تعرفه. فلمّا قوَّته بمالها نازعته نفسه إلى أنْ يدَّعي المُلك والترؤُّس على عشيرته وأهل بلده فرأى ذلك غير منتظم له ولم يتبعه عليه إلاّ قليلٌ من الناس بعد الموارية المجحفة وأنت، أكرمك الله، عالم بمرارة أنفس قريشٍ وشدّة إبائها لمثل هذا وشبهه من الضيم، فعندما أيس مما سوَّلت له نفسه ادَّعى النبوَّة وأنه رسولٌ مبعوثٌ من رب العالمين؛ فدخل عليهم من بابٍ لطيف لا يعرفون عاقبته، ولا يفهمون كيف امتحان مثله ولا ما يعود عليهم من ضرر منه. وإنمّا هم قوم عرب أصحاب بدوٍ لم يفهموا شروط الرسالة ولم يعرفوا علامات النبوة، لأنه لم يُبعَث فيهم نبي قطّ؛ وكان ذلك من تعليم الرجل الملقِّن له، الذي سنذكر اسمه وقصته في غير هذا الموضع من كتابنا وكيف كان سببه. ثم إنّه استصحب قوماً فراغاً أصحاب غاراتٍ ممن يصيب الطريق على سُنَّة البلد وعادة أهله الجارية عندهم إلى هذه الغاية، فانضمَّ إليه هذا الضرب، وأقبل يبثث الطلائع ويدسس العيون ويبعث إلى المواضع التي ترِد القوافل إليها من الشام بالتجارات فيصيبونها قبل وصولها؛ فيُغيرون عليها ويأخذون العِير والتجارات ويقتلون الرجال. والدليل على ذلك أنّه خرج في بعض أيامه فرأى جِمالاً مقبلةً من المدينة إلى مكة، وكانت الجمال لأبي جهل بن هشام. ويُسمِّي ذلك غزواً على سبيل ما تُسمّيه أعراب البادية إذا أخرجت للغارة على السابلة وإصابة الطريق؛ وكان أوّل خروجه من مكة إلى المدينة بهذا السبب، وهو حينئذٍ ابن ثلاث وخمسين، بعد أن ادّعى ما ادّعاه من النبوّة بمكة ثلاث عشرة سنة، ومعه من أصحابه الذين قد ألفوا معه ولصقوا به أربعون رجلاً، وقد لقي كل جهدٍ كل أذى من أهل مكة لأنّهم كانوا به عارفين؛ فأظهروا له طرده لادّعائه النبوة وعقد باطنهم لما صح عندهم من إصابته الطريق. فصار مع أصحابه إلى المدينة وهي يومئذٍ خراب يباب ليس فيها إلاّ قوم ضعفاء أكثرهم يهودٌ لا حِراك بهم، فكان أول ما افتتح به أمره فيها من العدل وإظهار صفة النبوة وعلامتها أنه أخذ المربد الذي للغلاميْن اليتيميْن من بني النجار وجعله مسجداً.[2] ثم أنه بعث أول بعثة حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين راكباً إلى العيص من بلد جهينة يعترض عِير

---

[1] **سُورَةُ الضُّحَىٰ**: ٩٣/ ٦ ــ ٨.

[2] [ليس هذا الاستعراض السريع مرتبكاً فحسب، بل غير دقيق في بعض النقاط، مثل الافتراء المتصل بقصة أرض الغلاميْن اليتيميْن. انظر **حياة محمد**، ص ١٨١.ــ **موير**.]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

قريش وقد جاءت من الشام؛ فلقي أبا جهل بن هشام في ثلاثمئة رجلٍ من أهل مكة، فـافترقوا لأن حمزة كان في ثلاثين، فخاف لقاء أبي جهل وفزع منه، فلم يكن بينهم قتال.

فأين شروط النبوّة، أصلحك الله، في هذا الموضع من قول الله، تبارك وتعـالى، فـي التوراة المنزلة من عنده لموسى، حيث وعده أنْ يدخل بني إسرائيل الذين أخرجهم من مصـر إلى أرض الجبابرة المُسمّاة أرض الميعاد، وهي أرض فلسطين والشّام، أنَّ الواحد يهزم ألفـاً، والاثنين يهزمان جيشاً لما ألقيت في قلوبهم من الفزع والرعب وكذلك فعل جلّ وعزّ بهم على يدي يَشُوع بن نون المتولّي إدخال بني إسرائيل أرض الميعاد ومحاربة أهل فلسـطين. فهـذا، أكرمك الله، حدُّ ما يُطالَب به في هذا الموضع من علامات النبوّة والرسالة لصاحبك.

فلنرجعْ الآن إذْ ليس عندك في هذا جواب وكنت من ذلك صفراً مفلجاً أنت وجميع من يعتقد مثلك مقالتك؛ فنقول إمّا أنْ يكون حمزة هذا رسول نبيٍ مبعوث، وهو عمّه وعـن أمـره خرج ومعه ثلاثون راكباً، وهو على حقٍ عند نفسه، فانحاز فرَقاً من أبي جهـل وهـو كـافر مشرك، وإنّما معه ثلاثمئة رجل كفار مشركين عبّاد أوثان، ولم يحاربه بل سـالمه؛ أو يكـون هذا خلاف ما تدّعيه أنت أنه نبيّ مرسَل وأنّ الملائكة تؤيده وتقاتل دونه كما كانت تقاتـل مـع يَشُوع بن نون، فإنه رأى ملكاً[1] في زيّ فارس، فلم يعرفه يَشُوع فقال له: «أَمِنْ أصحابنا أنـت أم من أعدائنا»، فقال له الملك: «أنا عظيم جيوش الرّبِ والساعة أقبلت»، فخرَّ يَشُوع بوجهـه على الأرض ساجداً، وقـال: «بماذا يأمر السيدُ عبدَه»، فقال رئيس جيوش الرب «انْزع خفيك مِنْ قدميك، لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي أَنْتَ فيه مَكانٌ مُقَدَّسٌ» فَفَعَلَ يَشُوع ذلِكَ. وفي هذا القول من الملك ليشوع سرٌّ ليس هذا موضعه، وكان يَشُوع وقتها محاصراً أريحا، فلمّا أتى على ذلك سبعة أيام فتح يَشُوع أريحا على غير عقد ولا عهد؛ فقتل كل من كان فيها من ذكرٍ وأنثى كما أمره ملك الربّ فما أظنك، أيدك الله، أنك تجد في ذلك جواباً لأنك خلو من ذلك. ولنذكر أيضـاً غـزوة صاحبك الثانية لعله يكون لك فيها أدنى جواب. ثم بعث في الثانية كمـا علمـت عُبيـدة بـن الحارث بن المطلب في ستين راكباً ليكون ضعف العدة الأولى، فيقوّي قلوبهم إلى بطن رابـغ بين الأبواء والجحفة، فلقي أبا سفيان بن حرب، وأبو سفيان في مايتي راكب، فكان بينهم مـن الدماء ما قد علمت؛ ثم رجعوا فما رأيت أحداً من الملائكة أعانهم على أمرهم بشـيء، وقـد شهدت أنت أنَّ جبرائيل كان في صورة رجل راكب رمكة شهباء عليه ثياب خضر، وقد ركب فرعون بجنوده على أربعمائة ألف حصان في طلب بني إسرائيل فلمّا توسـط بنـو إسـرائيل البحر قحم جبرائيل في أثرهم قائلاً: قدم خير، فتبعته الخيل التي كان عليها فرعون وأصحابه،

[1] قابل **يَشُوع**: ١٣/ ٥ ــ ١٥.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فنجا بنو إسرائيل وغرق فرعون وأصحابه. هذه شهادتك وإقرارك ببعض علامات موسى النبي التي أتى بني إسرائيل، وأنت صاحبك خلو من هذا كله.

ولا بدّ لنا أنْ نأتيك بالثالثة، فاصبر لها طائعاً أو مكرهاً. ثمَّ بعث سعد بن أبي وقاص إلى الخرار، خارج الجحفة في عشرين رجلاً؛ فورد الموضع وقد سبقته العِير قبل ذلك بيوم، ففاته أمله ورجع خائباً من رجائه. فهذه أكرمك الله خلاف آيات النبوة وعكس ما فعله نبي الله صَمُوئِيل بشاول، ولست شاكاً في معرفتك بالقصة على ما حكيت أنك عارفٌ بالكتب المنزلة دارسٌ لها حقَّ دراستها، وذلك أن قيساً أبا شاول غارت له أتن، فوجَّه ابنه شاول في طلبها وصار شاول إلى صَمُوئِيل النبي فقال له في بعض قوله ما معناه وهو يخاطبه قبل أنْ يعلمه ما جاء لأجله، أمّا الأُتُن فرجعت إلى بيت أبيك، وأمّا أبوك فقد شغله الاهتمام بغيبتك عن الأتن. فهكذا تكون شروط النبوة، أصلحك الله، التي هي علم الغيب الماضي وعلم الغيب المستقبل، فتخبر الأنبياء عنه وتذكر كونه قبل وقوعه وتعلم حدوثه قبل مجيئه بما يُظهر لهم الروح القدس معطي علم الغيب الذي هو نهاية الدّلالات على النبوات. وقد قال المسيح الربّ في إنجيله النّير الطّاهر المقّدس ما معناه إنّ الشهادة العادلة الصّادقة هي الكائنة من قِبَل رجلَيْن عَدْلين صادقيْن أو ثلاثة عدُول؛ فتلك واجب قبولها. وقد أنبأناك في فصل كتابنا هذا بثلاث شهادات عدل، لك فيهن مُقنع.

[الاغتيالات]

فلننظر الآن بعد الغزوات الثلاث التي خرج فيها هؤلاء النفر ومن خرج معهم بأمر صاحبك فانصرفوا فزعاً. وخرج بنفسه مع أصحابه يريد عِيراً لقريش، فانتهى إلى ودان، فوافاه مَجْشيّ بن عمرو الضمري فلم يطقه ورجع صفراً. ثم خرج ثانياً إلى بواط وهي طريق الشام في طلب عيرٍ لقريش فيها أمية بن خلف الجمحي، ورجع ولم يصنع شيئاً. ثم خرج ثالثاً إلى أنْ وصل إلى يَنْبُع في طلب عيرٍ لقريش أيضاً يريد الشام، وهي العير التي كان القتال ببدْرٍ بسببها في رجعتها، فرجع صفراً ولم يصنع شيئاً. فأنْصِف، أصلحك الله، في هذه المواضع وأنت أهل لذلك، إنْ كان صاحبك نبياً كما تدّعي، فما للأنبياء وشنّ الغارات والخروج لإصابة الطرق والتعرُّض لأخذ أمتعة الناس. وما الذي ترك صاحبك هذا للّصوص وقطاع الطريق. وما الفرق بينه وبين بابك الخرّمي[1] هذا الذي تناهى إلى سيدنا أمير المؤمنين

[1] [بابك **الخرمي** (البهيج أو المرح) رفع راية الثورة في فارس حوالي سنة ٢٠٢هـ. وفي سنة ٢١٢ تقدم بفتوحاته صوب بلاد الرافدين، وفي سنة ٢١٤ (تقريباً لدى وقت كتابة الرسالة أو قبيلها بقليل) أباد كامل الجيش الإمبراطوري. واستمر بالثورة، وبسفك الدماء والأعمال الوحشية، على مدى عشرين سنة؛ ولم يُهزم

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وإلينا خبره بما عمل وارتكب من ظلم الناس. فأحببنا أنْ يكون عندك في هذا جواب واضحٍ. وإنّي لأعلم أنّه لا جواب عندك ولا عند غيرك ممن اعتقد مثل اعتقادك كما لم يكن عندك في غيره مما سلف. ثم لم يزل كذلك إلى أنْ وجد القوم الذين خرج في طلبهم في ضعف، فاسْتاق عِيرهم، وأخذ تجارتهم، وقتل من أمكنه قتله من رجالهم، وإنْ وافاهم وهم في منعة وقوة انحاز عنهم وولى هارباً إلى أن مات. فكانت مغازيه بنفسه ستاً وعشرين غزوة سوى السّرايا التي كانت تخرج في الليل، والسواري الخارجة نهاراً، والبعوث قاتل منها في تسع غزوات، والباقية كان يبعث فيها أصحابه. ثم أعجب من هذا في قُبْح الأحدوثة والشّناعة في الفعل، والفظاظة توجيهه إلى واحدٍ واحداً يقتله بالغِيلة كتوجيهه عبد الله بن رُواحة لقتل أسير بن دارم اليهودي بخيبر فقتله غيلةً وكبعثه سالم بن عمير العمري وحده إلى أبي عفك اليهودي، وهو شيخ كبير ما به حراك، فقتله بالغيلة ليلاً وهو نائم على فراشه آمناً مطمئناً؛ واحتجَّ بأنه كان يعيبه. فأعلمنا، أكرمك الله، في أيّ كتابٍ قرأت هذا، وأي وحيٍ نزل عليه به، ومِن أي حُكم حَكم على مَن أعاب أنْ يُقتل؟ فقد كان في تأديب هذا الشيخ على ذنبه شيء دون القتل وخاصة ليلاً وهو نائم مطمئن آمن على فراشه؛ فإنْ كان أعابه بما كان فيه، فقد صَدَق ولا يجب على من صدق قَتْل؛ وإنْ كان كذب عليه في قوله، فليس يجب على من كذب القتل، بل يُؤدَّب لئلا يعود. وأنت تعلم، أصلحك الله، أنه ما ساغ لأحدٍ أنْ يؤذي الطير في وكرها ليلاً وهي آمنة مطمئنة فكيف إنسان يبعث إليه مَنْ يقتله وهو على فراشه لأنّه كان يعيبه ألَم يكن دون القتل شيء آخر. أمّا في أحكام الله فلا نجد هذا مطلقاً لأحدٍ ولا في أحكام العقل والطبيعة بل هذا لعمري فعل من الشيطان قديماً بآدم وذريته منذ نزل به ما نزل فأين قولك، أصلحك الله، إنه بُعث بالرحمة والرأفة للناس كافةً.[1]

[الغزوات]

وأما بَعْثه لعبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة، وهو بستان ابن عامر في اثني عشر رجلاً من أصحابه ليأتيه بأخبار قريش، فلقوا بها عمرو بن الحضرمي، في عير قريش وتجارة قد أقبل بها من اليمن، فقتلوا عمراً واستاقوا العير إلى المدينة؛ ولما وردوا أخرج عبد الله بن جحش مما أغار عليه هو وأصحابه الخُمس فدفعه إليه فهذا لا أقول إنّه حلال أو حرام، حتى

إلاّ سنة ٢٢٢هـ حيث قُتل. ورُوي أنه في سياق تمرده قتل ٢٥٠,٠٠٠ رجل وستة قادة. انظر كتاب ڤايل "Geschichte der Chalifen"، المجلد الثالث، ص ٣٠١؛ وعمل سِل "Koran"، المقالة التمهيدية، المجلد الأول، ص ٢١٣. إن الرعب الذي رافق اسمه في زمن الرسالة يجعل من التصوير ملائماً بشكل كبير.ـــ **موير.]**

[1] [حول هذه الاغتيالات، انظر **حياة محمد**، ص ٢٤٩ وص ٣٦٢.ـــ **موير.]**

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إذا ما نظر فيه العادل يقول ما يوجبه العدل والإنصاف.[1] وكذلك فعل في قينقاع، حيث صار إليهم بغير ذنب ولا علّة إلاّ الرغبة في أموالهم؛ فحاصرهم حتى نزلوا على حكمه واستوهبهم منه عبد الله بن أبيّ بن سلول فوهبهم له، وأخرجهم إلى أذرعات بعد أنْ أخذَ أموالهم فقسمها بين أصحابه، وأخذ هو الخُمس قائلاً: «هذا ما أفاء الله على نبيّه»،[2] فليت شعري كيف طاب له هذا، وبماذا استحلّ أنْ يأخذَ أموال قومٍ لم يؤذوه ولم يكن بينه وبينهم غلٍ. وإنّما استضعفهم وكانوا كثيري الأموال، فما هكذا تفعل الأنبياء ولا مَنْ يُؤمن بالله واليوم الآخر. وغير هؤلاء ممّن لا أحب تطويل كتابي بذكرهم فيملّ القارئ ويسأمه. وفي ما وصفنا كفاية ليستدل به على غير من مناقبه.

فأما غزوة أحُد وما أُصيب فيها من كسر رباعيته السّفلى اليمنى وشقّ شفته وثلم وجنته وجبهته، الذي ناله من عتبة بن أبي وقّاص، وما علاه به ابن قميئة اللّيثيّ بالسيف على شقه الأيمن حتّى وقاه طلحة بن عبيد الله التّيمي بيده فقطعت إصبعه؛[3] فهذا خلاف الفعل الذي فعله الربّ مخلّص العالم وقد سلَّ رجل بحضرته على رجل سيفاً فضربه على أذنه فاقتلعها فلمّا نظر المسيح مخلصنا إلى ذلك من فضله عمد إلى الأذن فَرَدَّها إلى موضعها فعادت صحيحة كالأخرى، وإلاَّ حيث أصاب يد طلحة ما أصابها، وقد وقاه بنفسه فلو دعا ربّه فردّ يده على ما كانت من صحتها لكانت هذه من إحدى علامات النّبوّة. وأين كانت الملائكة عن معونته ووقايته من كسر ثنيته وشق شفته ودمي وجهه؛ وهو نبي من الأنبياء وصفيٌّ من الأصفياء ورسول الله كما كانت الأنبياء تُوقى من قبله، كتوقية إيليا النبي من أصحاب أخآب الملك، ودانيال من أُسد داريوس وحنانيا وإخوته الفتية البررة من نار بختنصر، وغيرهم من الأنبياء وأولياء الله؛ سيّما ولم يخلقْ اللهُ جلّ اسمه آدم إلاّ لأجله، ومكتوب اسمه على سرادق العرش كما تدّعون.

ولكننا ندع ذكر هذا الآن ونأخذ في قولٍ ثانٍ؛ فنقول إنَّ صاحبك هذا وأفعاله خلاف قولك إنه بُعث بالرّحمة والرأفة إلى الناس كافةً، لأنه كان الرجل الذي لم يكنْ له فكر واهتمام إلاّ في امرأة حسنة يتزوجها، وقوم يُغير عليهم فيسفك دماءَهم ويأخذ أموالهم وينكح نساءَهم، ويشهد على نفسه أنه حُبِّب إليه الطيب، والنساء؛ وأنّه من علامات نبوته أنه جعل في ظهره من القوة على النكاح مقدار قوة أربعين رجلاً فلعمري أنَّ هذا بعض آيات الأنبياء التي لا تكون إلاَّ في مثله.

---

[1] [**حياة محمد**، ص ٢١٦.ـــ **موير**.]
[2] **نفسه**، ص ٢٥٠.
[3] [**حياة محمد**، ص ٢٧٠.ـــ **موير**.]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[زوجات محمد]

فأمّا تلك الهنّات التي كانت بينه وبين زينب بنت جحش امرأة زيد فإني أكره ذكر شيء منها إجلالاً لقدر كتابي هذا عن ذكرها، غير أني آتي بشيء مما حكاه في كتابه الذي يزعم أنَّه نزل عليه من السّماء إذ يقول: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ واللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهُ مَفْعُولاً * مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً[1]﴾.[2] ويكتفي كلُّ ذي عقلٍ من القصة بنموذجها إذْ لا يخيل[3] ذلك على المميزين. وكذلك هنّاته مع عائشة وما كان من أمرها مع صفوان بن المعطل السلمي، في رجوعهم من غزوة المصطلق، بتخلُّفها عن العسكر معه وقدومه بها من الغد نحو الظهيرة راكبة على راحلته يقودها؛ وما قذفها به عبد الله بين أبيّ بن سلول، وحسان بن ثابت، ومسْطَح بن أثاثة ابن خالة أبي بكر، وزيد بن رفاعة، وحمنة بنت جحش أخت زينب، وتبليغ علي بن أبي طالب إليه كلام المتكلمين وعيب العائبين، وأنَّ فيه مساغاً للقول والظنة وختم كلامه بعد التقريض والتعريض وهو كناية عن التصريح بالشيء قائلاً: «يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثيرة»، فلم يلتفت إلى ذلك كله لشدة إعجابه بها لأنه لم يكن في من نكح من نسائه بِكْرٌ غيرها ولا أحدث سناً منها، فكان لها من قلبه مكان وكانت خلابة،[4] فرضي بما كان من ذلك الأمر كله. وهذا كان سبب انعقاد تلك العداوة بين عائشة وبين علي إلى آخر حياتهما. ثم ادّعى نزول براءتها في السورة المعروفة بسُورَةِ النُّورِ من قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ[5]﴾[6] الخ، فهذه القصة نعرفها كمعرفتك والخبر بها مستافضَ وعندنا مشروح مفسّر لا يجب كشفه وكانت نساؤه فيما يظهر كما قد علمت خمس عشرة حرّة، وأَمَتيْن. أولهن خديجة بنت خويلد؛ ثم عائشة بنت أبي بكر وهو عبد الله المعروف بعتيق بن أبي قحافة؛ وسودة بنت زمعة؛ وحفصة بنت عمر، وهي التي كان بينها وبين عائشة تلك الهنّات العجيبة؛ وأم سلَمة، واسمها هند بنت أبي أمية، وهي

---

[1] **سُورَةُ الأحزَابِ: ٣٣/ ٣٧ ــ ٣٨.**
[2] **[حياة محمد،** ص ٣٠٢.ــ **موير.]**
[3] يشتبه.
[4] خداعة بلسانها.
[5] **سُورَةُ النُّور: ٢٤/ ١١.**
[6] **[حياة محمد،** ص ٣١٣.ــ **موير.]**

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المخدوعة أم الأطفال، التي زعم أنه يُذهب عنها الغيرة عندما امتنعت عليه واحتجَّت بأنّها امرأة غَيْرَى، وأنه يعول صبيتها لما اعتذرت أنها ذات صبية، وأنها تخاف ألا يرضاه أهلها فضمن لها أن يكفيها ذلك، حتى أجابت إليه ثم لم يفِ لها من ذلك الضمان بحرف واحد،[1] وهي التي نحلها جرَّتيْن ورحى ووسادة من أدم حَشْوها ليف، فحصلت منه على الدنيا والآخرة؛ وزينب بنت جحش، امرأة زيد التي بعث إليها نصيبها من اللحم ثلاث مرات، فردَّته في وجهه فهجرها وهجر نساءَه بسببها وحلف أنّه لا يدخل عليهنّ شهراً، فلم يصبر فدخل لتسعة وعشرين؛[2] وزينب بنت خُزيمة الهلالية؛ وأم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان أخت معاوية؛ وميمونة بنت الحارث الهلالية؛ وجويرية بنت الحارث المصطلقية؛ وصفية اليهودية بنت حيي بن أخطب التي علّمها أن تفخر على نسائه عند تعييرهن إياها وتقول: «أنا التي هارون أبي وموسى عمي ومحمد زوجي»؛ والكلابيّة، وهي فاطمة بنت الضحّاك، وقيل إنّها بنت يزيد عمرة الكلابية؛ وحنة بنت ذي اللحية؛ وبنت النعمان الكِنْدية التي أنفت منه حين قال لها: «هبي لي نفسك»، فقالت: «وهل تهب المليكة نفسها للسوقة»؛[3] ومليكة بنت كعب الليثية ذات الأقاصيص؛ ومارية أم إبراهيم ابنه؛ وريحانة بنت شمعون، القريظية اليهودية. فهؤلاء نساؤه اللواتي كنَّ له، وأمَتَان.

قال بولس رسول الحقّ، رسول المسيح مخلِّص العالم ما معناه أنَّ الذي له زوجةً إنّما غايته أنْ يصرف عنايته إلى رضا زوجته، والذي لا امرأة له فعنايته مصروفة إلى رضا ربّه.[4] وقد صدق وقوله الحق لأنه لا يحتاج أنْ يتشاغل بما يرضى امرأته وكما قال الربّ المسيح ما ترجمته لا يقدر العبد أنْ يخدم ربيْن في وقتٍ واحدٍ ولا بدّ له من أنْ يلازم الواحد ويحتقر الآخر[5] فإذا كان لا يمكن للرجل أنْ يخدمَ امرأةً واحدةً ويرضيها ولا يُسخِط خالقه؛ فكم حريّ من يريد أنْ يصرف عنايته كلها إلى رضا خمس عشرة امرأة وأمَتين، مع ما أنت عارف من شغله بغيرهنّ الذي كان منغمساً فيه من تدبير الحروب والتقدير على قتل الرِّجال وسبي الحريم وسلب الأموال وتوجيه الطّلائع وتعبئة الكراديس لإصابة الطرقات وشنّ الغارات. فمتى كان يقع له مع الشغل الدائم المتصل بهذه الأمور الفراغ للصوم والصّلاة

---

[1] [إنَّ الكندي يسميها «المخدوعة». إن اعتذاراها ووعد النبي لها مذكورين بشكل قاطع في الأحاديث؛ وليس هنا وارد تبيان أنه ليس هو من ربّى الأولاد، أو تبناهم كأبنائه، محمد «خدع» المرأة. انظر: **حياة محمد**، ص ٣٠٠.ـــ **موير**.]

[2] [ينسب سبب قسَم مُحمدٍ عادةً إلى فضيحة أخطر. ـــ **حياة محمد**، ص ٤٤٢.ـــ **موير**.]

[3] [موقف مؤلفنا المؤمن بتفوق سلالة كندة الملكية على قريش، التي كانت قبيلة تشتغل بالتجارة. وسنرى بأنه يشير مجدداً إلى هذه المسألة.ـــ **موير**.]

[4] **١كورنثوس**: ٣٣/٧.

[5] مَتَّى: ٦/ ٢٤.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والعبادة وجمع الفكر وصرفه إلى أمور الآخرة، وما شاكل ذلك من أعمال الأنبيـــاء؟ ولســـت أشك في أنه لا نبي قبله ابتدع مثل هذا.

[أعلام النبوة]

ولكن فلندعْ الآن ذكر هذا ونأخذ في ذكر أعلام النبوة التي يجب معها الإقرار لمن أتى بها بأن يُسمَّى نبياً ورسولاً؛ وننظر في ما أتى به صاحبك، وهل يوافق أو يشـــبه شـــيئاً ممـــا جاءت به الأنبياء ويشاكله؟ وهل يجب علينا قبول ذلك منه أو ردّه عليه.

فنقول إنّ النبي معناه المنبئ أي المخبر بالأمر الذي لم يكن أتى به مخبرٌ قبله، فيخبـــر به قبل وقوعه، أو بالأمر الذي كان ولم يُعرف كيف حدوثه؛ وإنما يوثق بأخباره عن صحة ما يخبر به بالآيات التي تصدِّق حكايته وتشهد على صحة أخباره، وذلك مثل موسى نبي الله الذي أخبرنا في السّفر الأول من التوراة المدعو سفر الخليقة كيف كان خَلْق السموات والأرض وما فيهما، وكيف كان خلق آدم وحواء وما كان من قصتهما، وقصة قابيل وهابيـــل، وقـــوم نـــوح والطّوفان، وقصة إبراهيم وولده. ولم يزل ينسق تلك الأخبار خبراً بعد خبر حتى انتهـــى إلـــى خبره وكيف تجلى الله له في العوسجة، ثم خبره مع بني إسرائيل وفرعون ومصـــر، إلـــى أن توفاه الله، ويخلط إنبائه ما وعد الله من إدخال بني إسرائيل أرض الميعـــاد، وأنـــه مزمـــع أن يورّثهم أرض الجبابرة التي هي بلاد الشام، وكان ذلك على ما ما أنبأ به، وحقق ما أخبرنا بـــه من الخبر الماضي بالآيات والأعاجيب التي فعلها؛ فعلمنا أنه كان صادقاً بكل حكاياته وما جاء به عن الله عزَّ وجلَّ. فهذه شريطة المنبئ بما كان وما يكون من الأمور، وعرفنا صـــدق مـــا قاله من الخبر المستقبل بصحة رأينا من وقوع الأمر وتمامه عند دخول بنـــي إســـرائيل أرض الجبابرة بالأيدي القوية فحصلت له بذلك شريطة المنبئ المخبر الذي لم يكن قبل حدوثـــه فقـــد وجب من هاتيْن الشريطتيْن أنَّ موسى نبي بالحقيقة. فأمّا المنبئ بالخبر الذي لـــم يكـــن قبـــل وقوعه فيكون ذلك على وجهيْن. إمَّا مع قرب الزمان وحضور الوقت وإمَّا على بعـــد الزمـــان وطول الأيام والدليل على ذلك تصحيحه الآيات والمعجزات والعجائب والجـــرائح التـــي هـــي أعلام النبوة إلى أنْ يصّحَ القول والإنباء مثل الذي تنبأ به إِشَعْيَاء النبي لحزقيا الملك حيث ورد عليه سنحاريب ملكُ الموصل بجيشه فحاصره، وكاتبه بما كاتبه به من البغي عليـــه والوعيـــد والاستطالة، فشكا حزقيا ما دهمه به إلى الرب فأوحى الله إلى إِشَعْيَاء النبي: «أني قد ســـمعتُ دعاء حزقيا، فامضِ إليه وقلْ له: "يقول لك الربّ إله إسرائيل الليلة تكفي مؤونة سنحاريب"»، فلمَّا كان تلك الليلة بعث الله ملكه فقتل من عسكر سنحاريب مئة ألفٍ وخمسة وثمـــانين ألـــفِ

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

رجل مدجج. فلمّا أصبح سنحاريب ورأى ما نزل بأصحابه ولّى هارباً. ومثل قول إِشَعْيَاء أيضاً لحزقيا حين كان مريضاً وقد أشفى، إنَّ الله قد أقالك من هذه المرضة وقد زاد في أجلك خمس عشرة سنةً، ودليلك على ذلك أن الشمسَ راجعةٌ في مسيرها عشر درجات، وكان ذلك كما قال النبي ورجعت الشمس وبرأ حزقيا من مرضه ذلك وما تُوفي إلاّ لتتمة خمس عشرة سنة، فهذا إنباء مع آية ودليل في وقت واحد.[1] ومثله ما أنبأ به عن أمر الرّبِ المسيح السيد، جلّ وعزّ، أنّه يُولد من العذراء، ويُدعى اسمه عمانوئيل، تفسير ذلك إلهنا معنا.[2] وأنبأ أيضاً بأشياء كثيرة وأخبر بها على بُعد العهد وطول الأيام من خراب بيت المقدس وسبي بني إسرائيل إلى بابل، وكان ذلك على بُعد العهد وتأخّره، وصحّ كله وتم كما قال. ومثل ذلك ما أخبر به إِرْمِيَا النبي عن خراب بيت المقدس أيضاً ودخول بختنصر إليه وهدمه إياه، وسبيه بني إسرائيل ونقله إياهم إلى بابل، وأنهم ماكثون ببابل في ذلك السبي سبعين سنة ثم يرجعون فيبنون بيت المقدس ويقيمون في مساكنهم؛ فكان بعض ذلك وهو حاضر ثم تمت نبوته وظهر صدق قوله وصحة ما حكاه عن الله عزَّ وجلّ في ذلك الوقت عند تمام السبعين سنة التي حددها لمقامهم ببابل.[3] ومثلما تنبأ دَانِيآل النبي عن رجوع بني إسرائيل إلى بيت المقدس، وكان ذلك على ما حكاه وتنبأ لبيلشاصر الملك عن الرؤيا التي رآها بيلشاصر، فخبَّره بالوحي عمّا كان مزمعاً أنْ يحل به، فحل به ودانيال حاضر،[4] ومثلما تنبأ أيضاً على قتل المسيح وأنه لا تقوم لليهود بعد قتله قائمة، وأنّهم يمزقون في البلاد كلَّ ممزقٍ ويبطل ملكهم وتضمحل رئاستهم وكان ذلك كما قال.[5] وكذلك فعل جميع الأنبياء ومن استحق اسم النبوة بالحقيقة. وكذلك كانت الْمُلُوك والأمم يفعلون بمن ادّعى عندهم شيئاً من النبوّة لا يُقبل منه ذلك إلاّ بعد المحنة الشديدة والمناظرة الطويلة والمطالبة بالدليل والبراهين؛ فمن جاء بدليل صحيح وبرهان واضح وحجة مقنعة قبلوا ذلك منه، ومن لم يأتِ بشيء من هذا كذَّبوه ونكلوا به، وإلاّ كان كلَّ من أتى بهذيانٍ أو بكلامٍ منثورٍ أو كهانة أو زجر أو قال كان داخلاً في جملة من تنبأ. وكانت الْمُلُوك تفعل ذلك بتوفيق الله.

فأمّا المسيح الرب مخلِّص العالم، فإنَّ قدْره يجلّ على النبوة، لأن مرتبته أعلى وأشرف وأرفع من مرتبة الأنبياء فإنَّ الأنبياء عبيد الله، تبارك وتعالى، والمسيح هو الابن الحبيب كلمة الله الخالقة، وهو الباعث الأنبياء والموحي إليهم والموجه الرّسل والمؤيد لهم بالكلمة المتجسدة

---

[1] قابل **إِشَعْيَاء**، الأَصْحَاح ٧، **وأَخْبَار الأَيَّام الثَّانِي**.
[2] قابل **إِشَعْيَاء**، الأَصْحَاح ٧.
[3] قابل **إِرْمِيَا**، الأَصْحَاح ٣٥.
[4] قابل الأَصْحَاحات الخمسة من **سِفْر دَانِيآل**.
[5] قابل **دَانِيآل**: ٩/ ٢٦ ــ ٢٧.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فيه؛ وقد تنبأ لليهود وللحواريين بما يدلّ دلاً قاطعاً على أنّه يعلم الغيب ويكتنه الضمائر، وأنّه لا تخفي عليه خافيةً وأنّه خبير بالسرائر وبما هو مزمع أنْ يكونَ قبل كونه في الوقت الذي كان مقيماً معهم متردداً بينهم مثل قوله لهم وقد اجتمعوا حوله يرون بناء هيكل بيت المقدس ويعجبون من جودة بنائه وصحته وحسنه وتمامه: «اَلْحَقَّ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لا يبقى من هذا البناء حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ إلاَّ يُنْقَضُ[1]». ومثل إخبارهم بما هو مصيبهم من البوار ونازل بهم من القتل والسبي فكان ذلك كقوله بعد صعوده ممجداً إلى السماء بأربعين سنة. ومثلما كان يخبرهم أيضاً بما في ضمائرهم وما يكتمونه في أنفسهم من تدبيرهم في قتله. ومثل قوله لتلاميذه وهم مقيمون في بيت المقدس إنَّ لِعَازَر صديقنا قد رقد. وكان لَعازَرُ هذا نازلاً في موضع يُعرف ببيت عنيا على فراسخٍ من بين المقدس، فامضوا بنا نوقظه فقال له تلاميذه وقد كان اتصل بهم عظم مرض لِعَازَر أيّها السيد إنْ كان قد رقد فقد بَرأ على عادة المرضى أنهم إذا ناموا بعد السَّهر المقلق من شدة المرض فذلك دليل على عافيتهم؛ فلمَّا لم يفهموا كلامه صرّح لهم القول معلناً أنَّ لِعَازَر صديقنا قد توفي فأنا ماضٍ لأبعثه حيّاً من بيت الأموات فمضى وهم معه فبعثه حياً، ودفعه إلى أختيْه مريم ومرثا، وذلك بعد أربعة أيام من موته.[2] وكقوله لسمعان الصفا وقد قال لتلاميذه ليلة آخر عهدهم به أنَّ جميعكم في هذه الليلة يخذلني، فقال له سمعان: «سيدي إنْ خذلك النّاس كلّهم فلا أخذلك أنا أبداً». فقال له السّيد المسيح: «الحق أقول لك ستجحد معرفتي الليلة ثلاث مرات قبل أن يصيح ديك»، فجزع سمعان لذلك جزعاً شديداً ونفر نفوراً عظيماً لقوله ذلك فلم يصحْ الديك في تلك الليلة حتى جحد سمعان معرفته ثلاث مرات في ثلاثة مواضع مختلفة حافظ بغليظ الإيمان على جحوده وإنكاره، ونظر المسيح السيد إليه ففكر سمعان كلامه فبكى وندم على ما كان منه في جحوده وإنكاره.[3]

فهذه أصلحك الله شروط النبوةّ ودلائلها وعلاماتها. فعرّفنا هذا الذي أقررت له بما تنبأ وما نبوته التي ظهرت وبماذا استحقّ عندك أو عند غيرك اسم النبوّة وما الدليل على دعواه. فإنْ قلت إنّه أخبرنا بأقاصيص الأنبياء الذين كانوا قبله في الزّمان السّالف كنوحٍ وإبراهيم وإسحٰق ويعقوب وموسى والمسيح وسائر الأولين الذين ذكرهم في كتابه، فجوابنا، أكرمك الله، الذي لا تقدر أنت ولا غيرك أنْ ينكره أو يدفعه هو أنّه إنّما أخبرنا بما سبقت معرفتنا به ودرسته صبياننا وأطفالنا في المكاتب، فإنْ ذكرت قصة عاد وثمود والناقة وأصحاب الفيل[4] ونظائر هذه القصص، قلنا لك: هذه أخبار باردة وخرافات عجائز الحي،

---

[1] قابل **مَتَّى**: ٢١/ ٢.
[2] راجع **يُوحَنَّا**، الأصْحَاح ١١.
[3] راجع **مَتَّى**، الأصْحَاح ٢٦.
[4] [أساطير وقصص الجزيرة العربية.ــ **موير**.]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

اللّواتي كنّ يدرسنها ليلهنّ ونهارهنّ وليس ذكرها دليلاً على نبوته، فقد سقطت عنه شريطة من الشريطتيْن اللتيْن توجبان النبوة.

فإنْ قلت إنّه أخبر بما يكون قبل كونه، ألزمناك توضيح ذلك، لأن هذه نيف ومائتا سنة قد مضت منذ ذلك الوقت، وكان يجب أن يصحَّ ويتحقق عندك شيء مما أخبرك أنه سيكون. وأنت تعلم ونعلم بالحقيقة أنّه لم يأتِ في هذا الباب بشيء ولا نطق فيه بكلمة ولا تفوَّه بحرفٍ واحدٍ، فسقطت عنه الشريطة الثانيّة من شريطتي النبوة، وإذ قد خلا من الشريطتيْن اللتيْن توجبان اسم النّبوّة وأصفرَ[1] منهما وهما متضمنتان للآيات والعجائب الممتنعة فلننظر في الآيات هل أتى من ذلك بشيءٍ فنقول إنّه زعم في كتابه أنَّه قيل له ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَلُونَ[2]﴾. أيْ لولا أنْ يكذبوا بآياتك كما كذبوا بالآيات التي جاءهم بها الأوّلون من قبلك لأعطيناك الآيات. فلعمري أنَّ هذا من الأجوبة الممتنعة عند منتقدي الكلام الناظرين في قوانين حدود المنطق، وأنت تعلم، أصلحك الله وكلُّ من يسمع هذا الجواب، أنّ صاحبك أبرأ نفسه به من آيات النبوة لأنّه لم يقدر عليها وليس لمن مثلك في الإنصاف أنْ يعدلَ عن الحقّ.

[فتح فارس]

فإنْ ادّعيت أنَّ من الدلائل على نبوته ظفره وظفر أصحابه على ما كانوا عليه من القلَّة والضعف بملك فارس على عظمته وجلالة قدره وجودة تدبير أصحابه وحسن سياسة ملوكه، مع كثرة العَدَد والسّلاح والرجال أجبناك بكلام اللهِ وقوله لبني إسرائيل[3] ليس لأنَّ الله أحبّكم أكثر من محبته لسائر الشعوب سلطكم على الأموريين والفرزانيين تقتلونهم وتخربون ديارهم وترثون بلادهم بل لآثام هؤلاء الشعوب وكثرة خطاياهم سلّطكم عليهم وأظفركم بهم.[4] وكفعله ببيت المقدس أيضاً وقد أختاره من بين سائر الأرض كلها وأحلّ فيه اسمّه وأيده بالآيات والعجائب والجرائح المعجزة وأسكنه أنبياءَه المصطفين وكان يرتل فيه اسمّه بالتهليل والتّسبيح ليلاً ونهاراً وتستجاب فيه الدّعوات لأنه محلّ البركات، فعندما طغى أهله وجعلوا لله أنداداً وغمطوا نعمه وجحدوا آياته وظنوا عند نفوسهم أنَّ الذي عمَّ فيه إنّما نالوه وصاروا إليه بأياديهم وقوتهم فقلَّ شكرهم لله جلّ اسمّه سلَّط عليهم شرّ خلقه وأرذلهم بختنصر عابد الصنم

---

[1] الصفر بالكسر الخالي.
[2] سُورَةُ **الإِسْرَاءِ**: ١٧/ ٥٩.
[3] انظرْ **التَّثْنِيَة**: ٩/ ٤ ــ ٧.
[4] [إعادة صياغة لنص **سفر دَانِيآل**: ٤/٩ ــ ٥.ــ **موير**.]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المشرك بالله عزَّ وجلَّ فقتل الرجال الذين كانوا أولاده وصفوته وخيرته من خلقه المعروفين بشعبه، وسبى ذراريهم، وأخرب البيت الذي كان معروفاً باسمه، ونقل الآنية التي كانت فيه إلى بابل النجسة بعبادة الأصنام. فهل تقول إنَّ بختنصر إنَّما ظفر ببيت المقدس وبلغ منه ومن أهله ما بلغ لأنه كان نبياً، أم للسبب الذي ذكرناه آنفاً. فكذلك أيضاً كانت قصة صاحبك وأصحابه مع ملك فارس، لأن أهل فارس كانوا مجوساً أنجاساً أرجاساً من أساقط الأمم وجهالهم يعبدون الشمس والنار وينكحون البنات والأخوات والأمهات وكانوا قد عتوا وعاندوا الحقَّ وتكبّروا فوق القدر بجهلهم وقلّة معرفتهم بأقدارهم وادّعوا الربوبية التي لم يجعلها الله لهم، وابتذلوا نعمه كفراً وعدواً وسعوا في الأرض فساداً وظلماً وارتكبوا العظائم، وتوهموا أنّ الذي هم فيه إنّما هو من صحة تدبيرهم وكثرة قوتهم وشدة نجدتهم وبطشهم، فسلبهم الله نعمته وسلّط عليهم من أخرب بلادهم وقتل رجالهم وأخلى مساكنهم منهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم فلمْ يبقَ لهم امرأة إلاّ نُكحت ولا ولد إلاّ اُستعبد وبادوا بسخط الله ورجزه؛ كذلك يفعل الله بالقوم الظالمين.

[المعجزات]

فلنرجع الآن إلى ذكر الآيات الموجبة لكل من أظهرها صحة ما يُدعى من نبوّة أو رسالة عن الله تبارك وتعالى وننظر في ذلك نظراً شافياً، فنقول أمّا كتاب صاحبك الذي ادّعى أنّه منزل عليه من عند الله فليس فيه شيء من ذكر الآيات، بل كما قلنا آنفاً زعم أنَّه لولا أنّهم كذبوا بآيات الأنبياء الأولين لأتاه الله الآيات ولكنّه كره أنْ يؤتيه بشيء منها فيكذّبون به. ولعمري أهذه حجة مقنعة وجواب صحيح يجوز عند ذوي العقل ويرضى به العلماء والفلاسفة والمنتقدون للكلام والباحثون عن الأصول والأخبار فهذا ما شهد به كتابه. نعم إنَّ الأولين من اليهود كذبوا بآيات الأنبياء وردُّوها؛ وأما الأعراب فبآيات من كذَّبوا، ولم يُبعث فيهم نبي قطّ، ولا وُجِّه إليهم رسولٌ لا بآية ولا بغير آية. ولعلّه لو كان جاءهم بشيء من الآيات لكانوا صدقوه ولم يكذبوه .ألم ترَ أنَّ كثيرين منهم أجابوا دعوته ولم يروا منه آيةً ولا سمعوا عنه أعجوبةً، ولكن أنت تعلم حفظك الله أنَّ هذه حجة مبهرجة تتلاشى عند المحن. فأمّا غير الكتاب فقد وجدنا لكم أخباراً وقصصاً هي كخرافات العجائز، منها زعمهم أنّه كان من آياته العجيبة أنّه وقف بين يديه ذئب فعوى وبكى، فالتفت إلى أصحابه قائلاً لهم: «هذا وافد السباع، فإنْ أحببتم أنْ تفرضوا له شيئاً لا يعدوه إلى غيره، وإنْ أحببتم تركتموه وتحرَّرتم منه»، قالوا: «ما نطيب له بشيء»، فأومأ إليه بأصابعه الثلاث أن خالسهم، فولَّى وهو غائل. فهذه لعمري آية عجيبة لم يسمع السّامعون بمثلها قطّ ولم يرَ الراؤون أعجب منها تضلّ عندها عقول الفلاسفة

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والحكماء وتتحير منها العلماء وذوو الحيل والفطن الدقيقة أنّه عرف عواء الذئب وأنّه وافد السباع فليت شعري لو كان قال لهم إنّ هذا الذئب رسول رب العالمين إليه، مَنْ كان يردُّ عليه قوله؟ فواضح أنَّ هذا الخبر يا أخي وضعه لقوم لا محنة لهم ولا منتقد باحث فيهم. ومنها زعمهم أنَّ الذئب كلم أهبان بن أوس الأسلمي فأسلم، ولو ادّعى أنَّ أهبان ذكر أنّ الأسد كلَّمه لكان عندي أعجب، على أنّه ساوى بينه وبين نفسه فيهما، بل فضَّله على نفسه إذْ الذئب معه عوى، فادَّعى معرفة ما قال في عوائه إنّه وافد السباع، فأمّا أهبان فزعم أنّ الذئب ناطقه بلسانٍ عربي والأعجب في ذلك أنَّ هاتيْن الآيتيْن لم تجريا إلاّ بواسطة الذئب الذي يُعرف بالخاطف من السّباع؛ وهذا لقبه في كتب الله المنزلة. فمثلك، أيدك الله، لا يحيل[1] عليه مثل هذا الكلام وليست لنا حاجة إلى الإطالة فيه. وكذلك قصة ثور دريخ وادّعاءهم مخاطبته دريخاً عندما ضربه إياه. وكتابه يشهد أنّ الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً.[2] وأمّا شاة أم معبد ومَسْحه يده على ضرعها وما يلي ذلك من الخرافات الأخرى كدعائه الشّجرة فأسرعت إليه مقبلةً مجيبةً تجهد في الأرض، فهذا أمر نؤخّره إذْ فيه نظر، مع أنَّ أكثر المسلمين الراسخين في العلم لا يقبلونه بل يردّونه لا يصححونه. وكذلك السمّ الذي سمَّته به زينب بنت الحارث اليهودية، زوجة سلاّم بن مشكم اليهودي، في شاة مصلية أيْ مشوية فكلَّمته الذراع، وأكل معه بِشرْ بن البراء بن معرور فمات، وإنّ السمّ الذي لم يزل يدب في بدنه كان سبب موته. فليت شعري هل هو سمع الكلام من الذراع وحده؟ أم سمعته الجماعة الذين كانوا بحضرته؟ فإنْ كان سمعه هو وحده، فلِمَ لم يمنع ابن البراء من أكل طعامٍ مسمومٍ حتى لا يموت؟ وابن البراء رجل من أصحابه اختصَّه بالأكل معه، وكيف استحلّ ذلك واستجاز كتمان قول الذراع له إنّها مسمومة؟ وإنْ كان سمع ذلك من الذراع جميع من حضر فكيف لم يمتنع ابن البراء من الأكل وهو يسمع الذراع تقول: «لا تأكل مني فإني مسمومة»، وكيف امتنع هو من الأكل وترك ذلك الشقيّ يأكل من طعامٍ مسموم فقتله. فليس يخلو هذا من أحد وجهيْن: إمّا أنْ يكون سمعه هو وحده وكتم ذلك غدراً؛ وإمّا أنْ تكون الجماعة سمعوه فلم يمتنع ابن البراء من ذلك الأكل حيث سمع ولا يموت وحيث مات ابن البراء من أكله السمَّ، ولعلّه إنّما أكله ثقةً منه بأنّه يأكل مع نبيّ مُستجاب الدعوة ورسول رب العالمين، مشفَّع عند ربه في جميع ما سأله. لِمَ لَمْ يَدْعُ[3] ربّه فيجيبه كعهدنا بالأنبياء المشفعين في إحياء الموتى؟ فإنّ إيليا النبي قد أحيا ابن الأرملة بصرفة[4]

---

[1] من الاحتيال.

[2] [﴿الأعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ــ (**سُورَةُ التَّوبَة:** ٩/٩٧).]

[3] أي محمد.

[4] **المُلُوكِ الأوَّل**، الأصْحَاح ١٧.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وهكذا أليشع تلميذ إيليا قد أقام ابن الشونمية من الموت حياً.[1] وقد فعلت الأنبياء مثل هذا مراراً كثيرة وهم أحياء. وفعلت أيضاً القوة الحالّة في عظامهم كفعل عظام أليشع النبي حيث وُضع الميت عليها فعاش.[2] وأنت تعلم أنَّ هذا خبر صحيح في كتب الله المنزلة قرأته في سفر كتب الْمُلُوك مفسراً ليس فيه اختلاف بين النصارى أصلاً ولا بين اليهود؛ وهما ملتان مختلفتان اجتمعنا نحن وهم على صحة ذلك. وكيف لم يأكل هو[3] منها أيضاً ولم يصبه شيء، فيكون ذلك آيةً له وشاهداً على صحة ما يدّعي من النبوة إنْ كان نبياً كما تقول؛ لأنَّ الأنبياء بأسرهم موقون معصومون بالوقاية الحالّة عليهم من الله جلّ ثناؤه من الآفات التي تحتال الكفرة بها عليهم وعلى أولياء الله؛ كقول الرّب المسيح لتلاميذه في إنجيله المقدّس ووعده لهم بما وفى لهم به إذْ يقول ما معناه إنْ أنتم شربتم السمَّ القاتل لم يضرّكم[4] يعنى إذا أردتم إظهار دعواكم وما يعرفه الناس منكم من بشارتي كان ذلك جائزاً مطلقاً فقد كانوا يُمتحنون بمثل هذا وشبهه فتظهر صحّة دعواهم على المحنة والتجربة، فانقادت لهم الْمُلُوك الجبابرة والعلماء الفلاسفة والحكماء أصحاب الحيل والقضاة، بلا سوطٍ، ولا عصا، ولا سيف، ولا رمح، ولا عشيرة، ولا ناصرة، ولا حكمة دنيوية، ولا فصاحة بدعة ألفاظ، ولا حذقٍ بحجة، ولا ترغيب في شيءٍ، ولا تسهيل في شريعة؛ بل لما كانوا يرون من إظهارهم الأفعال المعجبة التي يمتنع إمكانها في عقول الآدميين، فكانوا يرفضون ملكهم وعتوهم ويدعون فلسفتهم ويزهدون في علمهم وحكمتهم ويخرجون عن نعمهم وإيثارهم ويتعبون أناساً فقراء الظاهر صيادي سمك وعشّارين، لا حسب لهم ولا نسب، غير انتهائهم إلى طاعة المسيح الذي أعطاهم السّلطان والقدرة على أفعال تلك العجائب.[5] فهذه، أصلحك الله، دلائل النّبوّة وعلامات الرّسالة وصحة الدعوة إلى الله تعالى لا ما يدعيه صاحبك مما لا حقيقة له. وأمّا الميضأة وخبرها، وأنّه أدخل يده فيها ففاض منها الماء حتى شربوا وشربت دوابهم، فالخبر بذلك جاء عن محمد بن إسحٰق [و] الزّهري،[6] وأمرها ضعيف عند أصحاب الأخبار، ولم يجتمع أصحابك على صحته؛ فكيفما أردت فأخبار صاحبك، أصلحك الله، ليس ينساغ منها شيء ولا يستوي ولا تصحّ دعوة واحدة مما سواها على أنَّه قد سبق فقطع الدعاوي وحذف ذكر الآيات بتةً، فسقطت دعوى من ادّعى

---

[1] **الْمُلُوكِ الثّانِي**، الأَصْحَاح ٤.
[2] **الْمُلُوكِ الثّانِي**، الأَصْحَاح ١٣.
[3] أي محمد.
[4] **مَرْقس**: ١٨/١٦.
[5] [في كل ذلك مقابلات مباشرة لنشر الإسلام، بوسائل السيف، و«أنصار» المدينة، الخ.ــ **موير**.]
[6] [ورد في النص **الزهريّ** لقباً لابن إسحٰق وهو على الأرجح خطأ طباعيّ، لأن الزهريّ عاش قبل ذلك بخمسين سنة ــ **حياة محمد**، ص ٦٠٣. وحول الحادثة المشار إليها، انظر **المرجع نفسه**، ص ٣٦٩.ــ **موير**.]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

له آية وإنما بعث بالسيف زعم[1] تصليباً وأنَّ كلّ مَنْ لم يقرّ أنَّه نبيٌّ مرسلٌ قتله أو يؤدي الجزية ثمناً لكفره فيدعه، فهل تريد، أصلحك الله، دليلاً أوضح أو حجة أقنع أو برهاناً أصحّ على بطلان ما جاء به صاحبك أكثر من هذا؟ إنْ كنت أنصفت نفسك وصدقتها على أن صاحبك قد أقرَّ وقطع بإقراره كلَّ سبب بما نقلت عنه الثقاة الحاملون أخباره فإنّه قال قولاً مصرحاً غير مكاتم ولا مساتر أنّه «ليس من نبي إلاّ وقد كذبت أمته عليه، ولست آمَن أن تكذب عليَّ أمتي، فما جاءكم عني اعرضوه على الكتاب الذي خلفتُه بين أظهُركم، فإنْ كان له مشاكلاً وكان له فيه ذكر فهو عني، وإني قلتُه وفعلته، وإنْ لم يكن له ذكر في الكتاب فأنا بريء منه وهو كذب ممن رواه عني، وما قلته ولا فعلته». فانظرْ، أصلحك الله، في هذه الأخبار التي ذكرناها مما يقول أصحابك هل تجد لها أصلاً في الكتاب الذي في يدك؛ فإنْ كان لها فيه أصل أو ذكر فهي لعمري صحيحة قد فعلها وأتى بها، وإلاَّ فهو بريء منها، وهي أباطيل وأكاذيب تقوّلوا بها عليه. ثمّ أعظم من هذا وأشنع أنَّه كان يقول لهم في حياته ويوصي إليهم إذا مات ألاّ يدفنوه؛ فإنه سيُرفع إلى السماء كما ارتفع المسيح، سيد العالم، وإنّه أكرم على الله من أنْ يتركه على الأرض أكثر من ثلاثة أيام، ولم يزل ذلك عندهم متمكناً في قلوبهم، فلمَّا مات يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول من سنة ثلاث وستين لمولده، وقد مرض أربعة عشرة يوماً، تركوه ميتاً، يظنون أنه سيُرفع إلى السّماء كقوله؛ فلمَّا أتت عليه ثلاثة أيام وانقطع رجاؤهم من ذلك وأيسوا من تلك المواعيد الباطلة دفنوه يوم الأربعاء.[2] وحكى بعضهم أنه مرض سبعة أيام بذات الجنُب، وأنّه غرب عقله وخلط في كلامه تخليطاً شنيعاً، فغضب لذلك عليُّ بن أبي طالب وأنكره؛ فلما أفاق أخبره بما كان، فقال: «لا يبقينَّ في البيت أحدٌ إلاَّ العباس بن عبد المطلب»، فلما كان اليوم السَّابع من مرضه مات فربا[3] بطنه وانعكست إصبعه الشمال وهي الخنصر. وذكر ضمران أنه كان تحته في مرضه شملة حمراء وعليها مات وفيها أُدرج بعد موته ووُوري في التراب بغير غسل ولا أكفان، وروى عمران بن خضير الخزاعي أنه غُسل وأُدرج في ثلاثة أقواب سجولية أيْ أثواب بيض يمانيّة، وأنّ الذي تولى ذلك منه علي بن أبي طالب والفضل بن العباس بن عبد المطلب ابن عمّه.

[ردة العرب]

---

[1] هكذا بالأصل.

[2] [يتبع ذلك بعض المشاهد التي لا تتصل بالموضوع، مثل دور علي والعباس في الجنازة. إن أجزاءً من العمل هنا تتسم بالاضطراب.ــ **موير**.]

[3] ارتفع وزال.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فلم يبقَ أحدٌ ممن كان تبعه إلاَّ ارتدَّ ورجع عما كان عليه، غير نفرٍ يسير وشرذمة قليلة من أخصّ أهله وأقربهم نسباً إليه طمعاً بما كان فيه من تلك الرئاسة، فكان لأبي بكر، عتيق بن أبي قحافة في ذلك أعجب تدبير وألطف فعلٍ وأكثر رفقٍ، فتولى الأمر بعده بذلك السبب، فاغتاظ علي بن أبي طالب غاية الغيظ، ودخل عليه ما يدخل على مَنْ يشكّك أنَّ الأمر صائر إليه فانتزع من يده كلّ ذلك حرصاً الدنيا ورغبة في الرئاسة،[1] فلم يزل أبو بكر برفقه وحسن مداراته يلطف بالمرتدّين إلى أنْ رجعوا بضروبٍ من الحيل والرفق والعدات والتشويقات والأماني والخداع، وكان بعض ذلك بالخوف والفرق من السيف، وبعض بالترغيب في سلطان الدنيا وأموالها وإباحة شهواتها ولذاتها فرجع من رجع في ظاهره لا في باطنه، وما أشكّ، أكرمك الله، إلاّ أنك ذاكر ما جرى في مجلس أمير المؤمنين، وقد قيل له في رجلٍ من أجلّ أصحابه إنه إنما يُظهر الإسلام وباطنه المجوسية القذرة؛ فأجاب بما علمته من الجواب حيث قال:

«والله إنّي لأعلم أنّ فلاناً وفلاناً، حتى عدَّد جملة من خواص أصحابه ليُظهرون الإسلام وهم أبرياء منه، ويراءونني وأعلم أنّ باطنهم يخالف ما يظهرونه وذلك أنَّهم قومٌ دخلوا في الإسلام لا رغبة في ديانتنا هذه؛ بل أرادوا القرب منا والتعزيز بسلطان دولتنا لا بصيرة لهم ولا رغبة في صحة ما دخلوا فيه. وإنّي أعلم أنّ قصتهم كقصة ما يُضرب من مثل العامة أن اليهودي إنما تصحّ يهوديته ويحفظ شرائع توراته إذا أظهر الإسلام، وما قصة هؤلاء في مجوسيتهم وإسلامهم إلاّ كقصة اليهودي، وإنّي لأعلم أنَّ فلاناً وفلاناً، حتى عدَّد جماعة من أصحابه كانوا نصارى فأسلموا كرهاً، فما هم بمسلمين ولا نصارى، ولكنهم مخاتلون، فما حيلتي وكيف أصنع؟ فعليهم جميعاً لعنة الله. أما كان يجب عليهم إذْ خرجوا من المجوسية النجسة القذرة التي هي أشرّ الأديان وأخبث الاعتقادات أو عن النصرانية التي هي أذعن الأقاويل إلى نور الإسلام وضيائه وصحة عقده أنْ يكونوا أشد تمسّكاً بما دخلوا فيه منه بما تركوه ظاهراً وخرجوا عنه رياءً، ولكن لي قدوة برسول الله صلعم وأسوة به، لقد كان أكثر أصحابه وأخصّهم به وأقربهم إليه نسباً يُظهرون أنهم أتباعه وأنصاره. وكان صلعم يعلم أنّهم منافقون، وعلى خلاف ما كانوا يظهرون له وصحّ ذلك عنده؛ وأنّهم لم يزالوا يبتغون له الغوائل يريدون به السوء، ويتطلبون له العثرات، ويعينون المشركين

[1] [إنّ كل ذلك (الذي يتعارض كليّاً مع الواقع التاريخي) وفق التيار العلوي الذي كان قوياً في بلاط المأمون.ـــ **موير.**]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

عليه نظر العين، حتى أنَّ جماعة منهم كمنوا له تحت العقبة واحتالوا في تنفير بغلته لترمي به فتقتله، فوقاه الله كيدهم وشرّ ما كانوا يبغونه له ثمّ كان يداريهم دائماً إلى أنْ قبضَ روحه على غاية ما يداري به الأعداء المكاشفين حذراً منهم. أفما ينبغي لي أنا أن أشابهه صلعم، هذا وكان حياً ملء ثيابه، ثم ارتدّوا جميعاً بعد موته، فلم يبقَ منهم أحدٌ كان يظن به رشداً إلاَّ رجع وارتدّ وحرص على تشتيت هذا الأمر وإبطاله ظاهراً وباطناً وعلانيّةً وسراً، إلى أنْ أيَّده الله وجمع تفرُّقهم وألقى في قلوب بعضهم شهوة الخلافة ومحبة الدنيا فربط النظام وجمع الشّمل وألَّف التشتيت بالحيلة ولطف المداراة، وأتمّ الله ما أتمّه، وما المنّة في ذلك له ولا هو محمود عليه؛ بل المنّة لله والحمد والشكر له على ذلك بأسره، فلستُ أذكر ما أراه ويبلغني عن أصحابي هؤلاء، لا أبعد الله غيرهم وما لهم عندي إلاَّ المداراة والصبر عليهم، إلى أنْ يحكمَ الله بيني وبينهم، وهو خير الحاكمين».

ولولا أنَّ سيدي أمير المؤمنين تكلم جهاراً على رؤوس الملأ في مجلسه، أجلّه الله، فذاع الخبر بذلك ونقله الشاهد إلى الغائب، لما حكيتُه، وأنت تشهد لي أني لم أتزيد في شيءٍ من ذلك وإنّما ذكرتك بما جرى من الكلام في ذلك المجلس وليس له مدة طويلة وأردت إعادته لأذكرك أمر الردّ وأنَّ القوم لم يكن ردهم إلى هذا الأمر إلاَّ رغبة في الدنيا ولإتمام هذا الملك الذي هم فيه وفي ذلك لذوي الألباب ممن ينظر في كتابنا هذا مقنع إنْ شاء الله.

فلنرجعْ الآن إلى كلامنا الأوّل، ونقول إنه كان عمره ثلاثاً وستين سنة، منها أربعون سنة قبل ادّعائه النّبوّة، وثلاث عشرة بمكة وعشر في المدينة وهذا، أصلحك الله، ما لا تقدر أنتَ ولا غيرك ممن يدعي مثل ادّعائك أنْ ينكره أو يجحده، والذي نقل إليك دينك ووثقت به في جميع ما نقله عنه هو الذي نقل هذه الأخبار فهذه قصّته من أولها إلى آخرها.

فإنْ ادعيت أنَّ موسى النبي ويشوع بن نون ولي الله وخليفة موسى قد حاربا أهل فلسطين وضربا بالسيف وقتلا الرجال وسبيا وأحرقا القرى والمساكن بالنار ونهبا الأموال مما أنكرتُ على صاحبنا أمره وفعله قلنا لكَ إنّهما فعلا ما فعلاه عن أمر الله عزّ وجلّ لقوام ما أراده وقدّره وإنجاز مواعيده وفعله؛ فإنْ ذلك كان في قوم طغوا وبغوا وتجاوزا الحدَّ، فأحب الله تبارك وتعالى تأديبهم كتأديب الأب المشفق على ابنه. فإنْ قلت: وما الدليل على ذلك منهما كان عن أمر الله، سبحانه وتعالى، وأنّ الذي فعله صاحبك لم يكن عن أمر الله؟ قلنا: إنَّ نبي الله موسى حيث جاء بالآيات العجيبة المعجزة التي فعلها بمصر بحضرة فرعون وجميع أهل مصر، بعد ما فعل أهل مصر ببني إسرائيل ما فعلوه، وبعد ذلك أخرج بني إسرائيل بتلك اليد الرفيعة والقوة المنيعة، وفلق لهم البحر وأجازهم، وغرق فرعون وأصحابه عندما تبعهم،

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وضرب موسى الحجر الأصمّ فتفجَّر منه اثني عشر نهراً سقاهم منهـا، وأنـزل لهـم المـنّ والسلوى، وما أشبه ذلك مما أتى به مما هو ممتنع في قدرة المخلوقين، لا يقدر أحد أنْ يفعـل ذلك غير الخالق جلّ وعزّ ومن أعطاه الرب القدرة على فعل مثله، صارت هذه دلائل واضحة وشواهد له صادقة بأنَّ جميع ما حكاه وفعله هو عن أمر الله تبارك وتعالى وصحّ عندنا أيضـاً من وجه آخر أنَّه لم يجئ من بعده نبيٌّ ولا رسولٌ من عند الله إلاّ ثبتّ له مقالته وصحح قولـه وما جاء به. وعلّمنا أنَّ قتالَ الكّفارِ الذين قاتلهم وسبى ذراريهم وأحرق مساكنهم ونهب أموالهم حقّ من الله، وكذلك ما فعل يَشُوع بن نون من استيقافه الشّمس وسط الفلك عن مسيرها، إلـى أنْ انتقم الشعب من أعدائه؛ وكذلك توقيفه القمر بأمر الرب فوقف، وشهد له الكتاب بأنّـه لـم يكن مثل ذلك اليوم فيما مضى ولن يكون في المستأنف، لأنّها آيةٌ خصَّ بها يَشُوع بـن نـون، فتكون شهادة له وجلالاً عنده إلى آخر الأبد، وكذلك أفاعيل عجيبة غير هذه يطـول شـرحها. وإذْ قلت إنّك قرأت كتاب يَشُوع ودرسته حقَّ دراسته فلا وجـه لإعادتهـا ونحـن، واليهـود المخالفون لنا، متفقون على تصديقه عن غير تواطؤ؛ وإنه حق في ديوان الله، لا نشكّ فيـه ولا نرتاب.

فأعطنا أنتَ أصلحك الله أدنى حجة أو آيةً أو لمعة أعجوبةً تومئ بها إلى صاحبك أنَّـه فعلها أو يقرّ له كتابه بصحّتها حتى نصدّق نبوّته ونقرّ برسالته ونقبل دعوته، ونعلم أنَّ ما فعله من قتل النّاس وسبيهم وأخذ أموالهم وإخراجهم من ديارهم كان عن أمر الله عزّ وجـلّ كفعـل أولياء الله، ولكنّا نعلم حقيقة أنَّه لا جواب عندك في هذا وأنّك لا تقدر أنْ تأتي بشيء مما سُئلت عنه فلا ينبغي لكَ، أصلحك الله، أنْ تظلم وتذمم من ردّ عليك قولك وأنكر دعواك قائلاً: إنَّ الله لم يبعث صاحبك رسولاً ولا نبيّاً ولا أمره بمحاربة أحد ولا موادعته، وإنما هو رجل متغلّـب ادّعى لنفسه ما ادّعاه؛ فأعانه على ذلك قوم من عشيرته وأهل بيته وبلده فليس مَنْ جحد هـذا وردّه لوم ولا عيب ولا ذنب بل إنْ أنصفتَ عذرته وأحمدت رأيه وارتضيت بصحة عزيمتـه وقلت بجودة فكره لإحادته عن القول المتناقض الشّاهد على نفسه ببطلانه وأنت تعلم، علّمـك الله كلّ خير، أنَّ العقل والنَّصفة يوجبان ذلك، اللّهم إلاّ أنْ تستعمل المباهتة التـي ليسـت مـن مذهبك ولا من أخلاقك بل هي سلاح العمه،[1] اليهود والكفار والجّهال، فـإنَّ الكـذب والبهـت والمكابرة أصلُ قولهم ومتن كلامهم وعقد أمرهم لأنَّهم يشبهون الشّيطان أباهم الكاذب المخترع الكذب والبهتان كما شهد الرّب يسوع المسيح عليه في إنجيله المقدّس الطّاهر، فـإلام أرجـع، أصلحك الله، من أمرك؟ وكيف أقول وبما أحتجّ لكَ عند عقلي؟ وهل ترى أنْ أقبل قولكَ مـن غير حجةٍ ولا برهانٍ ولا دليل مقنع؟ أترى ذلك صواباً وما أظنّك، يرحمك الله، ترى لي ذلـك

[1] المتحرين.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

كيف وسيدي المسيح قد قال في محكم إنجيله المقدّس ما معناه أنّ جميع الأنبياء إنّما تنبأت إلى وقت مجيئي وعند ظهوري زالت النبوات بأجمعها فلا نبي بعدي فمن جاء بعدي مدعيّاً نبـوة فهو لصٌّ خاطفٌ لا تقبلوه؛[1] فأشرْ عليّ يا خليل هل ترى لي أنْ أعـدلْ عـن وصـيّة ربـي المسيح، مخلّص العالم، وأقبل غرورك وخدعك وأمانيك وتشويقاتك بالدنيويات الزّائلـة، بغيـر دليل ولا حجة. فما أظن مثلك من أخلّ التمييز العقل أشار بمثل هذا الخطأ العظـيم ولا مثلـي قبله وأصغى إليه. فارجعْ إلى عقلك، يرحمك الله، وأنصفه واستعمل القانون الحقّ ودعْ التّحامل للقرابة والعصبية للنّسب المضمحل فإنِّي لكَ ناصحٌ وعليك مشفق. واذكرْ ما قرأته في الإنجيل الطّاهر حيث يقول السّيد المسيح لحوارية «إنَّ أنبياءً كثيرين وملوكاً أرادوا أنْ ينظروا ما أنـتم تنظرون ولم ينظروا، وأنْ يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا»[2] فهل ينبغي لكَ، وأنت قـرأت مثل هذه، أنْ تميل عنه إلى غيره من أمور الدنيا مع معرفة سرعة زوالها وفنائها. وبعد هـذا كلّه، كان ينبغي لكَ أنْ تعلمَ أنّنا إنّما صدقنا الأنبياء وقبلنا أقوالهم عندما جاءونا بشروط النّبـوّة ودلائل الرّسالة وإعلام الوحي، لا بالغلبة والقهر ولا بالحمية والعصـبية ولا بالشـرف فـي الحسب والنّسب ولا بكثرة العشيرة وصولة المنعة ووفور المال لا بتسهيل السنّن والشرائع ولا بإعطاء الجسد شهواته ولا لأجل الفرق في السّلطان والخوف من السّيف والسّوط بل بالآيـات العجيبة التي لا يقدر الآدميون ولا يتهيأ في حيلِهم أنْ يأتوا بمثلها فهي دلائل واضحة إلهية مثل آيات الإنباء وعجائب ربنا المسيح وأفعال تلاميذه الحوراريين التي كانت تضلّ عنـدها عقـول الفلاسفة وحكمة الحكماء؛ فقبلنا أقاويل هؤلاء وجميع ما جاءونا به وصدقناهم وأقررنا لهم بـه وأنّه حقّ منزل من عند الله عزّ وجلّ لكون مثل هذه الشهادات الصّادقة معهم وبراءتهـا فـي أيدينا وعندنا آثارهم قائمةً وأعلامهم نيّرة لا يجحد ذلك أحدٌ ولا يمكن غيـرهم أنْ يدعيـه ولا ينكره إلاّ من عاند الحقّ واستعملّ المباهتة وسوء التمييز.

[الشرائع والأحكام ثلاثة أوجه]

وقد اقتضانا، أصلحك الله، هذا الفصل من كتابنا هذا أنْ نناظرك فيه بعض المنـاظرة في ما أتاك به صاحبك الذي تدّعي له النّبوّة من الشرائع والأحكام، فنقول إنَّ الشرائع والأحكام لن تخرج عن ثلاثة أوجه، ولا يقدر ذو نطقٍ أنْ يأتي بزيادة فيها ولا تنقيص منها، وذلك: إمّـا أنْ يكون الحكم حكماً إلهيّاً وهو حكم التفضّل الذي هو فوق العقل والطبيعة ويليق بـالله جـلّ اسمه لا بغيره، ولا يشبهه سواه؛ وإمّا أن يكون حكماً طبيعيّاً قائماً في العقل مولوداً في الفكـر

[1] [ربما يشير إلى **يُوحَنَّا**، اَلأَصْحَاح ١٠ أو **الأَعْمَال:** ٢٠/٢٩.ـــ **موير**.]
[2] **لُوقا:** ١/ ٢٤.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يقبله التمييز ولا ينكره وهو حكم العدل؛ وإمّا أنْ يكون حكماً شيطانيّاً أعني حكم الجور وهو ضد الحكم الإلهي وخلاف الحكم الطبيعي.

فأمّا الحكم الإلهي، الذي هو فوق الطبيعة وأشرف منها، فهو التفضُّل الذي جاء به المسيح مخلّص العالم سيد البشر الذي أقرَّ صاحبك وشهد له إذْ يقول: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ[1]﴾، وذلك أنّ المسيح قال في إنجيله الطاهر «غالبوا الشرّ بالخير وأحسنوا إلى مَنْ أساء إليكم وتفضّلوا على النَّاس جميعاً، وباركوا على مَنْ لعنكم، وادعوا لمن أذنب إليكم، وآتوا الجميل والمعروف من شتمكم لتشبهوا في ذلك فعل أبيكم الذي في السَّماء فإنَّه يجود بوابله على الأبرار والفجّار، ويشرق شمسه على الأخيار والأشرار»؛[2] فهذا هو الحكم الإلهي، وشرائعه فوق الطبيعة وأعلى من العقل الإنساني، وهو حكم التفضّل والرّحمة والعفو والتّشبُّه بفعل الله تبارك وتعالى الرؤوف الرحيم.

والنحو الثاني هو الحكم الطبيعي والشريعة القائمة في العقل الجاري مع الغريزة الملايم الإنسانية؛ وهو ما جاء به موسى النبي بقوله في حكمه ما معناه «العين بالعين والسنّ بالسنّ والنفس بالنفس والضربة بالضربة والجراح قصاص»، فهذا حكم الطبيعة الداخل في قانون العقل، وهو حكم العدل والنصفة، أنْ تأتي الناس بمثل ما أتوا به إليك وتفعل بهم كما فعلوا بك إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر وليس ذلك مضاهياً للحكم الإلهي ولا مما يسّنه الرّب الرحيم المتفضل الرؤوف بخلقه.

والنحو الثالث هو الحكم الشيطاني المحال، الذي هو الجور والشر بعينه. فلا تلمْ، أصلحك الله، على إيجابنا الحجّة عليك في ذلك، فإنَّك تعلم أننا معك في وسط المعركة لم نخرج عنها ولا ندع المجاهدة بما عندنا من السّلاح الرّوحاني ذباً عن دين الله القيم الذي نرجو به النصر والظفر على عدونا، فإنَّك، إنْ لمت في ذلك، ظلمت على أننا لا نلتفت إلى لومك ولا لوم غيرك في ذلك. وأنا أرجع إليك بالمسألة سائلاً الله جلّ وعزّ إلهامك الإنصاف وتلقينك القول بالعدل في إعلامي أيْ هذه الأحكام الثلاثة التي ذكرناها وأي شريعةٍ جاء بها صاحبك، فإنْ قلت: إنه جاء بالأحكام الإلهية، قلنا لك: قد سبقه المسيح سيدنا إليها بستمائة سنة وبها يعمل أصحابه وتابعون منذ ارتفاعه ممجداً إلى السَّماء إلى هذه الغاية وإلى أنْ تنقضي الدنيا ولم نرَ أحداً من أصحابك علم شيئاً منها ولا كانت تستعمل في عهد صاحبك. وإنْ قلت: وما أظنك قائلاً إنّه جاء بالأحكام الطبيعية وشرائع العقل وسنن العدل، قلنا قد سبقه إلى ذلك موسى

---

[1] **سُورَةُ المَائدةِ**: ٥/ ٤٦.
[2] قابل **متَّى**: ٥/ ٤٣ ــ ٤٨.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

النبي، وأوقفنا عليه وشرحه لنا شرحاً بيناً عن الله والتوراة وليس لأحد أنْ يدعيه لأنه ناطقٌ قائمٌ له وحده مشاهد في كتابه، اللّهم إلاَّ أنْ يكونَ المدّعي لذلك مكابراً للعيان ظالماً متعدياً بهاتاً يأتي إلى ما هو كضوء الشمس حقٌ قائمٌ في أيدي أهله وهو لهم وعندهم وفيهم فيروم أنْ يطمسه ويحاول بمباهتته إدعاءَه لنفسه. فهذان حكمان قد عرفنا أصحابهما وأقررنا لهم بهما. فقد بقي الحكم الثالث الذي هو حكم الشيطان وشريعة الجور. فانظرْ أصلحك الله نظراً شافياً بروية صحيحة وفكر لا يشوبه الميل والزيغ من القائم بهذا الحكم الناصر له المتمسك بشرائعه العامل به، وإلاّ فأعلمنا أيْ حكمٍ جاء به صاحبك وأي شريعة أتى بها غير الحكم الثالث الذي شرحناه لك لنقبله منك إنْ أوجب قبولاً وتنقاد لكَ فيه فإننا لا نعاند الحقّ ولا نرده من حيث أتى. فهل تقول، يرحمك الله، إنه جاء بالحكميْن معاً؛ يعني حكم المسيح وحكم موسى وشرحهما في كتابه قائلاً: «النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن الخ» كما قال موسى ثم أَتْبعه بقول المسيح وإنْ غفرتم فإنّه ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى[1]﴾؛ فأنت تعلم أنَّ هذا كلام متناقض، كقول القائل: «قائم قاعد، وأعمى بصير، وصحيح سقيم في حال واحدة». فما أظنك تستجيز إطلاق هذا الكلام على هذا من الإطلاق لأنَّه محال ثم لا ينكتم أيضاً ولا يختفي على متدبره ومتعقبه أنَّه كلام سرق من موضعيْن مختلفين أعنى التوراة والإنجيل ثم إنْ أنت أقررت كلَّ واحدٍ من هذين الحكميْن وادَّعيته، فلا يقرُّك أصحابهما، ولا يدعونك وذلك لأنَّه حقٌ لهم وهم أشدَّ تمسكاً به وصيانةً له من أنْ يسامحوك عليه لأنّهم ورثوه فصار في أيديهم إرثاً مقبوضاً وحقاً مسلماً لهم، ويقولون لك إنك متعدٍّ ظالم تروم أخذ إرثنا من أيدينا، مع إقرارك أنت أنه لنا غير جاحدٍ له، فإنْ حاولت أخْذه فأنت غاصبٌ لا حقَّ لك. بل آتنا أنت بما في يدك وعندك مما ليس في أيدينا ولا عندنا، لنعلم أنك صادق في ادّعائك. أليسَ إنّما تلجأ إلى القول الثّالث الذي يقيمون عليك فيه البينة العادلة أنَّك أنت جئت به وعملت به ونصرته وكيف تقدر على جحود ما أنت مقيم عليه مقرّ به وهو في يدك تناضل عنه وتخاصم فيه وهو شريعة لك أنت مستعملها ثم ترجع فتنكر وتجحد ما أنت فيه من حكمك وتتبرأ منه وبعد هذا وقبله فلا أظنك ترضى لصاحبك أنْ يكون تابعاً للمسيح وموسى، وأنت تزعم فيه ما تزعم وتدَّعي له ما تدعي من الحظوة والقدر والمنزلة عند رب العالمين، وتجترئ على الله وتقول: لولا صاحبك ما خُلق آدم ولا كانت الدنيا ولقد جئت يا هذا، أصلحك الله، بأمر ذي بهتٍ وكذبٍ بيّنٍ أدّعيت له من الآيات ما أدّعيت بقولك لولا أنْ يكذبوا بها كما كذب الأولون، ولم تدع له ذلك في الشّرائع وأنه ما كان عليه أنْ يأتي بها فيبين بها بعض أمره أوليس لأنَّه لم تكن شريعة رابعة بقيت، فلمّا لم يبقَ إلاّ الشريعة الثالثة وكان موسى والمسيح قد سبقاه إلى الشريعتيْن جاء هو بالشريعة الثالثة فلا

[1] **سُورَةُ المَائدةِ:** ٥/ ٨.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أدري بأي قوليك آخذ، ولا عن أيهما أجيب. فأصدق نفسك، يرحمك الله، ولا تغشّها لأن ذلك حرامٍ عليك وليس الدين من الأمور التي يجوز أنْ يتوانى ذو اللبّ والعقل عن الفحص والبحث عنها ويتغافل عن التفتيش عنه والوقوف على أصوله وأسبابه، وفقك الله إلى الحقّ وجنبك الباطل بحوله وقوته.

[القرآن: مواده وكيفية جمعه]

وكأني بك وقد ألجئت إلى أنْ تقول إنَّ الحجة البالغة عندك هذا الكتاب الذي في يدك، وإنّ الدليل على صحّة كونه مُنزلاً من عند الله ما فيه من الأخبار القديمة عن موسى والأنبياء وعن سيدنا المسيح، وصاحبك رجلٌ أمّيٌّ لم يكن له معرفة ولا علم بتلك الأخبار؛ فلولا أنه أُوحي إليه وأُنبئ به فمن أين عرف ذلك حتى نسقه وجاء به. ثم تقول لا يقدر إنسيّ ولا جنيّ أن يأتي بمثله، ثم تقول ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[1]﴾. و﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ[2]﴾؛ ونظائر هذه الأغلوطات فهذا أعظم الدليل وأصحّ البرهان وأوضح الحجة بزعمك على نبوّته؛ فكأنك جعلت هذا آيةً له وحجة، مثل فلق البحر لموسى؛ ووقوف الشمس ليشوع بن نون؛ وإحياء الموتى للمسيح؛ وأعاجيب الأنبياء السّالفين. ولعمري أنَّ هذا الكلام قد أضلّ قوماً كثيرين، وقد أويت من هذا الكلام إلى ركنٍ ضعيفٍ القواعد متداعي الدعائم وهي القوائم، وجوابك في هذا قريب غير بعيد وحاضر غير غائب ولا متخلف ولا بديل لنا عن كشف هذه القصّة، وإنْ كان في كشفها بعض المرارة عليك في بطّ[3] القروح النغلة،[4] لا بدّ أنْ ينالَ صاحبها منه أذى وألم فأصبر لألم الحديد قليلاً تجد الرّاحة وحلاوة العافية عندما يتضح لكَ الحقَّ وتظهره لكَ فائدة هذا القول وتدليسه عليك، تقول إنّه ينبغي لك أنْ تعلم أولاً كيف كان السبب في هذا الكتاب؛ ثمَّ تدعي حينئذٍ مثل هذه الدعاوي المتدلسة[5] التي لا بقاء لها على المحنة ولا ثبات على الفحص، وذلك أنَّه إنَّما كان رجل من رهبان النصارى يُعرف بسرجيوس أحدث حَدَثاً أنكره عليه أصحابه، فحرموه وأخرجوه وقطعوه عن الدخول إلى الكنيسة وامتنعوا من كلامه ومخاطبته، على ما جرت به العادة معهم في مثل هذا الضرب؛ فندم على ما كان منه، فأراد أنْ يفعلَ فعلاً يكون له بهِ تمحيص عن ذنبه وحجة عند

---

[1] **سُورَةُ البَقَرَةِ:** ٢/ ٢٣.
[2] **سُورَةُ الحَشر:** ٥٩/ ٢١.
[3] شق.
[4] الفاسدة الجلد.
[5] المستترة عيوبها.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أصحابه النصارى، فذهب إلى بلد تُهامة فجالها حتى أفضى إلى تربة مكة؛ فنظر البلد غالباً فيها صنفان من الديانة: فكان الأكثر دين اليهود؛[1] والآخر عبادة الأصنام، فلم يزل يتلطف ويحتال بصاحبك حتى استماله وتسمَّى عنده نسطوريوس. وذلك أنه أراد بتغيير اسمه إثبات رأي نسطوريوس الذي كان يعتقده ويتديَّن به، فلم يزل يخلو به ويكثر مجالسته ومحادثته ويلقي إليه الشيء بعد الشيء إلى أن أزاله عن عبادة الأصنام، ثم صيَّره داعياً وتلميذاً له يدعو إلى دين نسطوريوس. فلما أحسّت اليهود[2] بذلك، ناصبته العداوة، فطالبته بالسبب القديم الذي بينهم وبين النصارى. فلم يزل يتزايد به الأمر إلى أنْ بلغَ به ما بلغ، فهذا سبب ما في كتابه من ذكر المسيح والنصرانية والذبّ عنها وتزكية أهلها بالشهادة لهم أنّهم أقرب مودّة، وأنّ منهم قسيسين ورهباناً وأنّهم لا يستكبرون.[3] فلمّا قوي الأمر في النّصرانيّة وكاد يتمّ تُوفي نسطوريوس هذا فوثب عبد الله بن سلاّم وكعب،[4] المعروف بالأحبار، اليهوديان بخبثهما ومكرهما؛ فأظهرا له أنّهما قد تابعا على رأيه وقالا بقوله فلم يزالا على ذلك المكر والدّهاء والتدبير عليه بكتمان ما في أنفسهما إلى أنْ وجدا الفرصة بعد موته. فلمَّا تُوفي وارتدّ القوم وأفضى الأمر إلى أبي بكر، وجلس علي بن أبي طالب عن تسليم الأمر لأبي بكر علما أنهما قد ظفرا بما كانا يطلبان ويريدان في نفسيهما، فاندسَّا إلى علي بن أبي طالب فقالا له: «ألا تدَّعي أنت النبوّة ونحن نوافقك على مثل ما كان يؤدب به صاحبك نسطوريوس النصراني، فلست بأخسَّ منه». وكان عليّ بن أبي طالب قد أحسّ بما كان نسطوريوس الرّاهب عليه إلاّ أنّه كان صغيراً وقتما صحبه إلاّ أنه أوعزا إليه ألاَّ يعلم أحداً بموضعه ولا يبلغ أحداً من أهل عليه فقبل علي منهما ذلك لصغر سنه وقلّة تجربته ومال إلى قولهما بسلامة قلبه وحداثة سنّه وقلّة تجربته فلمْ يتمّ الله لهما ولم يبلغهما إياه لأنه اتصل بأبي بكر بعض خبرهما فبعث إلى علي، فلما صار إليه ذكره الحرمة ونظر إلى أبي بكر وإلى قوته فرجع عما كان عليه ووقع بقلبه.[5] وكانا قد عمدا إلى ما في يد علي بن أبي طالب من الكتاب الذي دفعه إليه صاحبه على معنى الإنجيل، فأدخلا فيه أخبار التوراة، وشيئاً من جلّ أحكامها، وأخبار من عندهما بدلها وشنَّعا فيه وزادا ونقصا ودسّا تلك الشناعات كقولهما ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ[6]﴾. ومثل الأعاجيب وذلك

---

[1] كذلك في الأصل.
[2] لعلّ ذلك بعد هجرته للمدينة.
[3] [الإشارة إلى **سُورَةُ المَائدة**: ٥/ ٨٢.]
[4] [لعلّ ذكره خطأ لأنَّه من التابعين ولم يرَ محمّداً وقد أسلم في خلافة عمر.ـــ **موير**.]
[5] [لا يمكن عده صغيراً وغير ذي تجربة وكان له من العمر ست وعشرون سنة.ـــ **موير**.]
[6] **سُورَةُ البَقَرَةِ**: ٢/ ١١٣.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

التناقض الذي لا يحيل على الناظر فيه أنَّ المتكلمين به قوماً شتى مختلفون، كلٌّ منهم ينقض قوله صاحبه، ومثل سورة النحل والنمل والعنكبوت ومثل هذا وشبهه؛ إلاَّ أن علياً حين أيس من الأمر أنْ يصير إليه صار إلى أبي بكر بعد أربعين يوماً، وقال قومٌ بعد ستة أشهر فبايعه ووضع يدَه في يدِه وقال له [أبو بكر] ما حبسك عنّا وعن مبايعتنا يا أبا الحسن، فقال: «كنت مشغولاً بجمع كتاب الله لأن النبي كان أوصاني بذلك». فانظرْ أيها العادل أنّ الحجاج بن يوسف أيضاً جمع المصاحف وأسقط منها أشياء كثيرة فكتاب الله أيها المغرور لا يُجمع ولا يُسقط منه شيء، وأنت وأهل مقالتك عارفون بذلك غير منكرين لأنَّ الثّقات من رواتكم نقلوا هذه الأخبار وصححوها فليس بينهم فيها خلف وأنت تعلم أيضاً، أنهم رووا أنّ النسخة الأولى هي التي كانت بين القرشيين، فأمر علي بن أبي طالب بأخذها لما اشتد عليه الأمر لئلا يقع فيها الزيادة والنقصان، وهي النسخة التي كانت محضة على معنى الإنجيل الذي دفعه إليه نسطوريوس، وكان يسميه عند أصحابه جبرائيل مرة والرّوح الأمين مرة، فلما قال علي بن أبي طالب لأبي بكر في البيعة الأولى: «إني شُغلت في جمع الكتاب»، قالوا: «فمعنا قول ومعك قول وهل يُجمع كتاب الله ؟» فاجتمع أمرهم وجمعوا ما كان حفظه الرجال من أجزائه كسورة براءة التي كتبوها عن الأعرابي الذي جاءهم من البادية وغيره من الشاذ والوافد، وما كان مكتوباً على اللِّخاف[1] والعُسُب، وهو جريد النخل وعلى عظم الكتف ونحو ذلك، ولم يُجمع في مصحف، وكانت لهم صحف وأدراج على منهاج أدراج اليهود وذلك من حيلة اليهوديين، وكان الناس يقرؤون مختلفين؛ فقوم يقرؤون ما مع علي بن أبي طالب وهم أتباعه إلى اليوم وقوم يقرؤون بهذا المجموع الذي ذكرنا أمره؛ وقوم يقرؤون بقراءة الأعرابي الذي جاء من البرية وقال إن معي حرفاً وآية وأقلّ وأكثر فكتب ولا يدري أحدٌ ما قصته ولا في ما أُنزل؛ وطائفة تقرأ بقراءة ابن مسعود لقول صاحبك: «من أراد أن يقرأ القرآن غضاً طرياً كما أُنزل فليقرأ بقراءة ابن أم عبد». وكان يُعرض عليه في كل سنة مرة، وفي السنة التي مات فيها عُرض عليه مرتيْن. وقوم يقرؤون قراءة أُبيّ بن كعب، لقوله: «أقرأكم أبيّ»؛ وقراءة أُبي وقراءة ابن مسعود متقاربتان، فلما صار الأمر إلى عثمان بن عفان واختلف الناس في القراءة أقبل علي بن أبي طالب يتطلَّب العلل على عثمان ويتتبع العثرات ويعيبه ويخالف عليه ذلك تدبراً على قتله.[2] فكان الرجل يقرأ الآية ويقرأها الآخر قراءة مختلفة، ويقول الرجل منهم لصاحبه: «قراءتي خيرٌ من قراءتك»، ويحتجّ كلٌّ منهما لصاحبه بالذي يقرأ بقراءته، ويقع في ذلك الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل، فقيل ذلك لعثمان إنّهم يختلفون في القراءة ويزيدون في الكتاب ويُنقصون ويتضاغنون في ذلك ويقع بينهم الشر والأخذ بالعصبية، ولا نأمن أنْ

[1] بالكسر حجارة بيض رقاق واحدتها لخْفة وهي في حيث زيد بن ثابت جامع القرآن.
[2] [العبارة ملفتة، وتعزو بشكل واضح إلى علي مخطط القضاء على حياة عثمان.ـــ **موير**.]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يتطاول الأمر ويتفاقم فيقع بينهم القتل ويفسد الكتاب وترجع الرّدة؛ فبعث عثمان فجمع كل ما أمكنه من تلك الأدراج والرِّقاع، وما كتب أولاً، ولم يتعرضوا لما في يد علي بن أبي طالب من مصحفه ولا لمن كان يقرأ بقراءته ولا دخل معهم في هذا التأليف. فأمّا أُبيّ بن كعب فمات قبل هذا التأليف؛ وأما ابن مسعود فطلبوا منه أنْ يدفع إليهم مصحفه، فأبى فصرفوه عن الكوفة، واستعملوا أبا موسى الأشعري[1]، وأمروا زيد بن ثابت الأنصاري وعبد الله بن عباس؛ وقيل محمد بن أبي بكر بتأليفه وإصلاحه وحذف الفاسد منه كانا حديثي السّن.[2] وقالوا لهما: «إذا اختلفتما في شيء أو لفظة أو اسم فاكتباه بلسان قريش»؛ فاختلفا في أشياء كثيرة، منها التابوت، قال زيد هو التابوه، وقال ابن عباس بل هو التابوت، فكتباه بلسان قريش. ونظائر هذه كثيرة. فلما جمعوا هذا التأليف على ما في هذه المصاحف كُتبت أربعة مصاحف بخط جليل، ووُجِّه أحدها إلى مكة، وخلف آخر في المدينة، ووجّه آخر إلى الشّام، وهو اليوم بملطية باقٍ؛ ولم يزل ذلك المصحف الذي كان بمكة إلى أيام أبي السرايا، فلمّا كان في تلك الأيام وهو آخر سلب سلبت الكعبة (سنة ٢٠٠ هجريّة) ليس أبي السرايا سلبها، بل في تلك الفتنة، فقد قيل، احترق في ما احترق وأمّا مصحف المدينة ففُقد في أيام الحيرة؛ وهي أيام يزيد بن معاوية. ووُجِّه المصحف الرّابع إلى العراق، وكان بالكوفة وهي يومئذٍ قبة الإسلام، ومجمع المهاجرين والصحابة. ويُقال إن ذلك المصحف باقٍ إلى اليوم بالكوفة وليس بصحيح بل فُقد في أيام المختار،[3] ثم أمر [عثمان] بجمع ما جُمع من تلك المصاحف والأدراج التي جُمعت من البلاد، وكتب إلى العمال أنْ يجمعوا ما أمكنهم منها وينقضوه حتى لا يعلم أن أحداً عنده منها شيء وتوّعد المخالف منهم فكلّ ما صار إليهم غلوا له الخل وسرحوه فيه وتركوه حتى تقطع واهترى ولم يبقَ شيء يعلم إلاَّ متفرقاً، مثلما قيل عن سُورَةِ النُّورِ إنّها كانت أطول من سُورَةِ البَقَرَةِ[4] وكما قيل إنَّ سُورَة الأَحزَابِ مبتورة ليست بتمامها. وكذلك قالوا في براءة إنها لم يوجد بينها وبين الأنفال فصل يُعرف، فلم يفصلوهما بسطر «بسم الله الرَّحمٰن الرحيم». ومثل قول ابن مسعود في المعوَّذتيْن[5] لما أثبتوهما في المصحف: «لا تزيدوا فيه ما ليس فيه»، ومثل قول عمر على المنبر: «لا يقولُنّ أحد إنَّ آية الرجم ليست في كتاب الله فإنّا كنا نقرأ "والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة" فلولا أنْ يُقال إنَّ عمرَ قد زاد القرآن ما ليس فيه لزدتُها فيه

---

[1] [إنَّ واقعة العزل صحيحة، لكنها ليست السبب المزعوم هنا.ـــ **موير.**]

[2] [إنَّ مؤلفنا ليس دقيقاً. فلدى الهجرة كان لزيد من العمر أحدى عشر سنة، وعبد الله بن العباس ست سنوات؛ وبالتالي ففي تاريخ تحرير عثمان فإن لهما من العمرعلى التعاقب ثلاثون وخمس وثلاثون.ـــ **موير.**]

[3] [لقد قتل المختار في الثورة المُشار إليها هنا، ٦٧هـ.ـــ **موير.**]

[4] [**سُورَةُ البَقَرَةُ** هي أطول سور القرآن.ـــ موير.]

[5] [**المعوّذتان:** السورتان الأخيرتان في القرآن.ـــ **(موير)** أي: **سُورةُ الفَلَق وسُوْرَةُ النَّاس.**]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بيدي»،[1] ومثل قوله في آخر خطبة خطبها: «إني لا أعلم أنّ أحداً قال إنَّ المتعة ليست في كتاب الله، بل قد كنا نقرأ آية المتعة، ولكنها سقطت فلا جزى الله من أسقطها خيراً؛ فإنه أؤتُمن فما أدَّى الأمانة، ولا نصح الله ولا رسوله»؛ فقد أسقط المموَّه عليه من القرآن شيئاً كثيراً. وقوله أيضاً، وما كان عليه أن يرخّص الله للناس، وإنما بعث محمداً بالدين الواسع. وقال أبيّ بن كعب: «سورتان كانوا يقرؤونهما فيه»، وإنما قال هذا في التأليف الأول، ولم يدرك هذا التأليف، وهما سورتا القنوت والوتر، وهما: «اللهم إنّا نستعينك ونستغفرك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك» إلى آخر الوتر.[2] وكذلك آية المتعة فإن علياً كان أسقطها بتةً. وقيلَ إنَّه سمع رجلاً يقرأها على عهده فدعاه وضربه بالسوط وأمر الناس ألاَّ يقرأها أحد؛ فكان هذا بعض ما شنَّعت به عليه عائشة يوم الجمل؛ وقد دخلت منزل عبد الله بن خلف الخزاعي، فقالت في بعض قولها: إنه يجلد على القرآن ويضرب عليه وينهى عنه وقد بدَّل وحرَّف. وبقي مصحف عبد الله بن مسعود عنده فهو يُتوارث إلى الساعة؛ وكذلك مصحف علي بن أبي طالب عند أهله. ثم كانَ من أمر الحجاج بن يوسف ما كان إنّه لم يدع مصحفاً إلاَّ جمعه وأسقط منه أشياء كثيرة ذكروا أنّها كانت نزلت في بني أمية بأسماء قومٍ، وفي بني العباس بأسماء قومٍ، وزاد أشياء، وكتبت نسخ بتأليف ما أراد الحجاج في ستة مصاحف، فوُجّه واحد إلى مصر وآخر إلى الشام وآخر إلى المدينة وآخر إلى مكة وآخر إلى الكوفة وآخر إلى البصرة، وعمد إلى المصاحف المتقدمة فغلى لها الزيت وسرَّجها فيه فتقطعت، واحتذى في ذلك بما فعله عثمان.[3] والدليل على ما كتبنا أنك الرجل الذي قرأت كتب الله المنزلة؛ وأنت تعلم كيف انتسقت الأخبار وكثر التخليط في كتابك الذي هو دليل على أنَّ الأيدي الكثيرة تداولته واختلفت فيه الآراء وزيد فيه ونقص منه، وكلٌّ قال ووضع ما أراد وهوى وأسقط ما كره وسخط. أفهذه عندك، أكرمك الله، شروط كتب الله المنزلة ؟ سيّما وصاحبك أعرابي

---

[1] [انظر **حياة محمد** (الطبعة الأولى)، المجلد الأول، ص xxv.ــ **موير.**]

[2] [تروي المصادر أن **سورة القنوت** مؤلفة من سورتَيْن: هما **سورة الخلع**، **وسورة الحفد**، وفيما يلي نصهما:

سُورة الخلع

بسمِ اللّهِ الرَّحمّن الرَّحيم

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ * وَنُثْنِي عَلَيْكَ وَلاَ نَكْفُرُكَ * وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكَ مَنْ يَفْجُرُكَ.

سُورة الحفد

بسمِ اللّهِ الرَّحمَّن الرَّحيم

اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ * وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ * وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ * نَرْجُو رَحْمَتَكَ * وَنَخْشَى عَذَابَكَ إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكُفَّارِ مُلْحَقٌ.

انظر كتاب نِلدكه: *Geschichte des Qorāns*, II]

[3] [إنَّ هذا الاستطراد عن القرآن مشوب بالموروث العباسي والعلوي. وأغلبه مجرد تلفيق، لا يستند إلى واقع تاريخي مهما كان. لكن لا شكّ أن هذه النمط من الحديث كان شائعاً في بلاط المأمون (وحيث سيُرحب بأي محاججة تفند أزلية القرآن)؛ وهذا ما يشير إليه مؤلفنا ضمناً هنا وهناك كثيراً.ــ **موير.**]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

جلف،[1] يأوي البادية فخطر خاطر في قلبه فسجَعه بلسانه، وصار به إلى قوم بَدْوٍ فتقـرَّب بـه إليهم وهم يشهدون في كتابهم أن الأعراب أشد كفراً ونفاقاً، ومن هو أشد كفراً، كيـف يُؤخـذ عنه سرّ الله ووحيه وتنزيله على نبيّه وأنت تعلم ما كان بين علي وأبي بكر وعمر وعثمان من الإحنة والعداوة، فقد زاد هؤلاء ونقصوا، وزاد هذا ونقص. وإنّما كان كل واحد مـنهم يريـد الخلاف على صاحبه ومناقضته قوله ومباراته. فمن أين نعلم أي الأقوال هو الصحيح؟ وكيف يمكن لك أنْ تميّزه من السقيم وقد زاد فيه الحجاج ونقص منه؟ وأنت عارفٌ بمذهب الحجـاج في جميع أموره. فكيف تستوثقه في كتاب الله وتعدله وتأمنه على ذلك؟ وقد كان الرجل الـذي يتقرب إلى بني أمية بكلِّ ما يجد إليه سبيلاً. هذا وقد كان اليهود البهت مخالطين لهـم، وكـان بعضهم قد أظهر لهم الدخول معهم في المقالة، وإنَّما كان ذلك مكراً منه وخديعةً وحيلة للفسـاد وتدبراً منه عليهم ليبطل الأمر ويضمحل. فهذا، أصلحك الله، أصحّ دليل وأوضـح برهـان لا يحيل إلاَّ على من قد أعمى الجّهل بصره وطمس على قلبه وإلاَّ فأية حجةٍ أو أي شـيء مـن الشّرح أكثر مما شرحنا، ولولا أنَّك الرجل الذي قرأت كتب سرائر الله ودرستها حق دراسـتها وأنّ الإنصاف أصل شيمتك لما شرحنا لكَ هذا الشرح والحقّ، رحمك الله فيه بعض المـرارة عاجلةً وحلاوةً كثيرةً آجلةً، فلهذا السبب قد اكتفينا بما ذكرناه، فاصبرْ للمـرارة اليسـيرة مـن الدواء تعقبك حلاوةً كثيرة في العاقبة، على أنَّك تعلم وكل من ينظر في كتابنا هذا إننا لم نكتب إليك بشيءٍ زيادة على ما في كتابك من ذات أنفسنا، بل ولم نثبت إلاّ الصحيح مما نقلته رواتكم العدول الثقات، عندكم المأخوذ بقولهم المعوّل في الدين على ما نقلوه من هذه الأخبار وغيرهـا في صحتها، وأنَّهم لم يتزيدوا فيها ولا مالوا إلى أحدِ الفريقيْن وقد ثبتنا صدقهم وعرفنا حقيقـة ما نقلوه بما شاهدنا من الكتاب، إنَّه إنَّما هو كلام منثور لا نظام له ولا تأليف ولا معنى يتسـق بل هو متناقض كلّه؛ ينقض بعضه بعضاً، فقد صحّ عندنا، وعند كلِّ ذي لبٍ أن الـذي نقلـوه إلينا من خبره هو على ما حكوه ولولا كراهيتنا للتطويل لشرحنا من تناقضه وتفـاوت معانيـه وأخبار أصل جمعه أكثر مما شرحنا؛ ولكن في ما أثبتنا كفاية لذوي الألباب والعقول ومن أراد نصح نفسه. فأيِ جهل أعظم من جهل من أدّعى أنَّ هذا الكتاب حجةٌ ودليل لمن جاء به وشاهد لنبوة نبي مبعوث مثل فلق البحر لموسى وإحياء الموتى وإبراء الكمه، وتطهير البرص لسـيدنا المسيح مخلّص العالم. إن هذا حقاً لجاهلٍ مائق، لأنه لم يعقل كيف يشبه ويقرن بين الإشـكال، على أني لا أظن أحداً به أدنى مسكة من عقل، أو له أدنى تمييز يجترئ أنْ يفكـرَ فـي هـذا فضلاً عن أنْ يتفوّه به؛ ولم يخطر مثل هذا قطّ إلاَّ على بال غبيٍ غارب العقل، مختلس اللـبّ ضعيف القلب. أفتراك أعزّك الله تحمل نفسك في صحة عقلك ودقة نظرك وكثرة فحصك على

[1] في الأصلية خلق.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أنْ تحتجَ بمثل هذا الكتاب مع ما قد عرفت من أخباره وأسباب أصوله، فهذه حجة منكسرة عند مثلي من ذوي التفتيش وباحث على أصول الأخبار. وأنت تعلم أني الرجل الذي قرأت الكتب، وعنيت بمعرفة الأصول وكيف كانت من أولها إلى أخرها، وأن المبهرج من الأخبار والمدلس من الأحاديث غير جائز على مثلي ولا نافع عندي.

[اللحن في القرآن، المادة والأسلوب]

فأخبرني أصلحك الله عن قول صاحبك ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والْجِنُّ عَلَى أَنْ يَـأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً[1]﴾. أفتقول أفصح ألفاظاً منه؟ فجوابنا لك في هذا، نعم أفصح منه كلام اليونانية عند الروم والزوبة عند أهل فارس والسريانيّة عند أهل الرّها والسريانيين، وعبرانيّة بيت المقدس عند العبرانيين؛ فإنْ كل لسان له كلام فصيح عند أهله من سائر الألسن، ولهم ألفاظ فصيحة يتخاطبون بها، وهي عندك كلها أعجمية، كما أن لسانك العربي الفصيح عندكَ أعجميٌّ عندهم. هذا إذا أطلقنا قولك إن كتابك أفصح ألفاظاً بالعربية؛ وذلك أن صاحب فصاحةِ الألفاظ بأي لسانٍ كان هو الذي لا يحتاج إلى استعارة ألفاظ غيره، ولا يستعين بها في خُطبه وكلامه؛ بل يكون مستغنياً بمعرفته وفصاحته عن لسان غيره ونحن نرى صاحبك قد افتقر في كتابه إلى استعمال كلمات غيره، وهو القائل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ[2]﴾ وقد خاطب به أعراباً، عاربة فصحاء بلغاء أصحاب خطاب كقوله: الإستبرق، وسندس، وأباريق، ونمارق، وأشباه هذه، التي إنّما هي ألفاظ فارسيَّة. ومثل المشكاة فإنها حبشيّة، وهي الكوة؛ ومثل هذا كثير قد استعمله في كتابه.[3] فنقول إنَّ العربية ضاقت عليه؟ فلم يكن فيها من الاتساع ما لا يلجأ معه إلى لسان غيره في هذه الأشياء، سيما وأنت ترى أنها مُنزلة من عند رب العالمين على يد جبرائيل الملك الأمين؟ فإمّا أنك توقع النقص بالمرسِل أو بالرسول؛ فإنْ كان من عند صاحبك، فوقع النقص به لأنه لم يكن يعرف هذه الأسماء بالعربية ولم يدرك علمها، فلذلك أعجزته، فهذه ألفاظ امرؤ القيس وغيره من الشعراء والفصحاء والمتقدمين والمتأخرين الذين لا يُحصى عددهم، وكلام الخطباء والبلغاء الذين كانوا قبل مجيء صاحبك أفصح ألفاظاً منه وأرق وأدق معانٍ بإقراره لأهلها

---

[1] **سُورَةُ الإِسْرَاءِ:** ١٧/ ٨٨.

[2] **[سُورَةُ يُوسف:** ٢/١٢؛ **سُورة الزُّخرُف:** ٣/٤٣. **[قارن** أيضاً: **سُـوْرَة الرَّعـد:** ٣٧/١٣؛ **سُـوْرَةُ طـه:** ١١٣/٢٠؛ **سُوْرَةُ الزُّمَر:** ٢٨/٣٩؛ **سُوْرَةُ فصلَّت:** ٣/٤١؛ **سُـوْرَةُ الشّـورَى:** ٧/٤٢؛ **وسُـوْرَةُ الأحقـافِ:** ١٢/٤٦.ــ **موير.]**

[3] [إن مفرادات: **نَمَارِقُ، مِشْكَاة، سُنْدُس، إِسْتَبْرَق، أَبَارِيق** التي أوردت على أنها كلمات أجنبية في القرآن. وربما تبدو هذه الحجة غريبة بالنسبة للقارئ الغربي، لكن بالنسبة للعرب، الذين يعتزون بكمال ونقاء لغتهم، فإن للحجة قوة خاصة بحد ذاتها؛ وبدون شك تلقاها البلاط بترحيب.ــ **موير.]**

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

حيث حاجّوه فقطعوه فقال: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ[1]﴾، لأنهم خصموه؛ فكانوا خصماً بأصحّ حجة، وأبلغ في الخطابة منه،[2] وهو القائل: «إن من البيان لسحراً». فلا يخلو إذن أمر هذا الكتاب وما وُضع فيه من الألفاظ الأعجمية من أن يكون قد ضاق على صاحبك اللسان العربي، مع علمنا، نحن وأنت، أنَّ لساننا العربي أوسع الألسن كلها؛ أو أنْ يكون قد أُدخلت فيه الزيادة من قوم آخرين، كما ذكرنا لك في أصل خبره، وأنَّ الأيادي الكثيرة قد تداولته. فأخبرني، أصلحك الله، أي القوليْن أحببت؛ فإنّه لا محيص لك من أن تقول بأحدهما، وأنت عارف بنتيجة ذلك إذا قلتَه؛ فإنْ قلتَ إنّهم لا يقدرون أنْ يأتوا بمثل تنضيده وترصيعه، قلنا لك إن تنضيد الشعراء لشعرهم ووزنهم له الوزن الصحيح الذي هو أصعب وأدق معنى لا يغادر بعضه فيه بعضاً واختيار الألفاظ النقية الصّافية العربيّة الخالصة مع انتساق المعنى الحسن، أكمل في الأحكام وأصح في الصنعة، لأنّ كتابك كله إنَّما هو سجعٌ منكسر وكلام مختلف، وتكبير معانٍ لا معنى لها. فإنْ قلتَ بل هو أصح معاني، سألناك: أي معنى غريب ظفرت به فيه أدللنا عليه وأعلمنا به حتّى نتعلمه منك؟ وأي معنى صحيح وجدته فيه وغريت بمعرفته أخبرنا به وأوقفنا عليه؟ وأي خبرٍ لم نسمعه على غاية التمام والكمال من الشرح والصّحة في شيءٍ من الكتب المتقدمة استفدته منه؟ أليس هو الذي قرأناه درسناه وعرفنا تفسيره ووقفنا على معانيه وبحثنا عن أصوله وأسبابه وفتشنا عن خبره فصرنا في العلم به أرسخ كثير من أهله، وأيْ شيءٍ هذا من الآيات العجيبة التي يعجز فعلها إمكان الآدميين حتّى تصير حجةً على بعثه نبياً يوجب الإقرار له بالرسالة والنبوّة والإيمان على الوحي والتبشير من عند الله حتى يقاس به أو يرى فيه آية مثل فلق البحر وإحياء الموتى وسائر آيات الأنبياء العجيبة. وإنَّما صار هذا كذلك وجاز عليك بالتدليس والبهرجة ووصفه بالفصاحة وحسن التنضيد وجودة الإعراب وأنَّ الإنس والجن لا يقدرون على أنْ يأتوا بمثله لأنّه وقع في قومٍ أميين أنباط سقاط عجم علوج، فعظم في أعينهم وكبر في صدورهم؛ وإلاَّ فأنت إذا أصدقت نفسك تيّقنت كيف كان أصل القصة في هذا وأنَّ مسيلمة الحنيفية والأسود العنسي وطليحة بن خويلد الأسدي وغيرهم قد عملوا عمل صاحبك. وأشهد أنّي قرأت مصحفاً لمسيلمة لو ظهر لأصحابك لردَّ أكثرهم؛ إلاَّ أنَّه لم يتهيأ لهؤلاء أنصارٌ مثلما تهيّأ لصاحبك.[3] وكأني بكَ قد لجأت فذكرت اللغة واعتددت بها وجعلتها خبئة لكَ تستتر تحت فيئها، فأنت تعلم أنَّ حجتنا في اللغة وحجّتك واحدة والأمر بيننا فيها مشاع غير مقسوم وأننا فيها شركاء فليس لكَ علينا فيها فضلٌ ولا في يدك منها ما ليس

---

[1] **سُوْرَة الزُّخرُف:** ٥٨/٤٣.

[2] [كان المكيون يوجهون غالباً الاتهام ضد مُحَمَّدٍ (**سُوْرَة سَبَإ:** ٤٣/٣٤ ؛ **سُوْرَة الزُّخرف:** ٢٩/٤٣؛ **سُوْرَة الأحقاف:** ٧/٤٦).ـــ **موير.**]

[3] [لست أدري ما هي خطب مسيلمة التي ربما كان يشير إليها مؤلّفنا، ذلك أن الأقوال المنسوبة إليه في المأثورات سقط متاع، ولا يمكن أن تكون تعبيراً بليغاً.ـــ **موير.**]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

في أيدينا ولا علمك بأنفذ فيها من علمنا. وأنك لتقرّ طائعاً أننا معشر العرب نرجع جميعاً في اللغة إلى يعرب بن يشجب بن ثابت بن إسمٰعيل أبينا، وإنَّما هذه الحجة المبهرجة هي دعوى مدلّسة تجوز على الأنباط والأسقاط والعجم والمغفلين والأغبياء الذين لا معرفة لهم باللسان العربي، وإنَّما هم فيه دخلاء، فلمَّا ورد عليهم منه ما لم يفهموه صدّقوه وتناولوه على قدر عجمتهم فإمَّا العرب العاربة كلها الذين هم البدويون فلسانهم واحدٌ ولغتهم واحدة، وكلّ منهم يفهم كلام صاحبه؛ وأمَّا أهل الحضر ومن نشأ بين الأبيات من الأسقاط والأنباط وخالط العجم والأعلاج، فلعمري لقد أفسدَ بعضهم كلامه لطول المعاشرة وغلبة العادة، فليست بك حاجة إلى ذكر اللغة ولا لكَ في ذلك بلغةً ولا ملجأ. فإنْ قلتَ: «إنَّ قريشاً أفصح العرب، وأنَّهم قومٍ خصمون بالحجة، وهم فرسان البلاغة والخطابة»، عارضناك بما لا تقدر أنْ تنكره ولا تجحد صدقه، وهو أن مليكة بنت النعمان الكنديّة حين اقتنصها صاحبك وصارت عنده قالت: «أمليكة تحت سوقة»، فأنت، ونحن، لا نشكّ أنَّ قريشاً كانت تجار العرب، وسوقتها وكندة كانوا الْمُلُوك والمسلّطين على سائر العرب. ولست أقول هذا افتخاراً عليك بشرف جنسي من الكنديّة، ولا لموضع نسبي في العربية، بل لكن تعلم أنَّ كندة كانوا أقوياء فصحاء بلغاء خطباء شعراء رجالاً للملك وقادة للجيش ذوو أنعامٍ وأفضالٍ حتّى لقد كانت العجم من الروم والفرس يرغبون في مصاهرتهم ويفتخرون بحمل بناتهم إليهم، هذا ما لا يدفعه إلاّ جاهل ولقريشٍ من الفضل والسؤدد والكرم وخاصّة لهاشم ما لا ينكره إلاّ مَنْ قد أعمى الحسد بصرَه وطمس نور عقله، وكذلك قولي في جميع العرب، وسائر قبائلهم؛ لأنَّ لهم الفخر والسبق بالفضل والكرم تخصيصاً من الله على سائر العجم. فإنْ أدّعيت أنَّ كلامَ العربِ مدونٌ في الشّعر وأنَّ أخبارها قد قيدت به فلا نماريك فيه ونسلّه لكَ ولا نلتفت إليه وذلك قلّة اكتراث لهذا القول وقلّة مبالاة به، لأنه قولٌ لا يخفي فساده على ذوي الألباب وتدحض الحجة فيه ولا تثبت عند أهل النظر، لأننا قد نجد كلّ مشغوفٍ مصروفٍ ودعي أعجمي قد قال الشَّعر؛ فإذا نحن قرأنا شعره بشعر غيره من العرب العاربة، أهلّ اللسان البدوي لم نجده مختلفاً عنهم ولا مجانباً لهم؛ بل وجدناه سالكاً سبلهم محتذياً منهجهم. وإذا كان هذا كذلك فليس تدوين العرب إذن أخبارها وتقييدها كلامها بالشّعر حجةً في كتب سرائر الله للقائل بها حجة ناطقة، لأنَّه لا يؤمن أنْ يكون قد قيل من الشعر ما قد أشبه به شعر القدماء من العرب، بما قد وقع فيه من الفساد والتغيير والزيادة والنقصان، فليس إذن الشعر حجةً عند أهل الفحص والنظر ولا دعوى صحيحة؛ بل هو عند الحكماء والفلاسفة هذيان الموسوسين؛ غير أننا معشر العرب نقدم الشعر ونؤثره، ونقول بمحاسنه ومفاخره، ونذكر فضائله، ونعلم أنّ ديوان العرب فيه آداب كثيرة، وعلوم ظريفة وأحاديث عجيبة. ولا نشك عند تحملنا الأمور، إنْ صدقنا أنفسنا، أنَّه قد أفسد وأدخل فيه ما ليس منه بالتشبيه والمقايسة، لأنَّه كلامٌ لا يخطر عليه، وإنَّما هو منصور من خواطر النفوس

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفارغة وشاع بين الناس جميعاً يتناوله من أحب وينالـه من طلبـه تقرّبـاً بـه إلـى الْمُلُـوك للاكتساب والمواصلة إليهم بأسبابه؛ فلهذا احتمل أنْ يدخل الفساد والتغيير والزيادة والنقصـان، فليس إذن الشعر حجة البتة في شيء من كتب سرائر الله إلاّ لغة فاسدة ناقصـة العقـل فاقـدة التركيب.[1]

[الحوافز الدينوية]

فلا تظلم، أصلحك الله، عقلك وتبخس تمييزك حقه بغلبـة سـلطان الهـوى الجـائر، والعصبية فإنّه إنّما يجوز مثل هذا على الأغمار والجّهال والآفنين، وأهل النقص فـي الـرأي، الذين لا عقل لهم ولا معرفة عندهم ولم يتخرجوا بمطالعة الكتب ومعرفـة أصـول الأخبـار المتقدمة؛ فهم همجٌ كأجلاف الأعراب المعتادين لأكل الضب والحرباء، قد ربّوا علـى الفقـر والمسكنة وشقاء العيش في البوادي والبراري تسفعهم سمائم الصّيف وزمهرير الشتاء وهم في غاية الجوع والعطش والعري؛ فحيث لوح لهم بذكر أنهار خمر ولبن وأنواع الفاكهـة واللحـم الكثير والأطعمة، والجلوس على الأسرة والإتكاء على فرش السندس والحريـر والإسـتبرق، ونكاح النَّساء اللواتي هنّ كاللؤلؤ المكنون، واستخدام الوصائف والوصـفاء والمـاء المعـين المسكوب، والظلّ الممدود التي هي صفات منازل الأكاسرة، وقع هذا فـي خلـدهم.[2] وكـان بعضهم فقد رأي ذلك في اجتيازهم ومسيرهم إلى أرض فارس استطاروا فرحاً وظنوا أنهم قـد نالوه فعلاً عند سماعهم إياه قولاً وظفرهم به فحملوا نفوسهم على محاربة أهل فارس لأخذ ذلك منهم وظفرهم به. وقد علمت أنَّ بعضهم قال لبعض في حربهم تلك وقد ظفروا بسـلال فيهـا حلوى من خزائن الفرس، فلمّا أكلوا وتطعموا حلاوة ما فيها قالوا: «والله لو لم يكن لنا ديانـة نحارب فيها لوجب أنْ نحارب على هذا»،[3] فحاربوا أمة نجسة قذرة قد كانت طغت علـى الله وتجبّرت، فسلّط جلّ وعزّ عليهم من لم يفكروا فيه قطّ، فقتلوهم وأخربوا بيـوتهم بمـا كـانوا يظلمون ويسفكون الدماء الزكية، وكذلك حكم الله وفعله بالقوم الظالمين ينـتقم ببعضـهم مـن بعضٍ ومثل الأنباط والأسقاط الذين لا خلاق لهم، قوم إنّما غذوا بالشقاء وربوا مع البقـر فـي

---

[1] [بشأن فساد اللغة هذه ومحاكة الشـعر القـديم، انظـر: "Bemerkungen über die Aechtheit der alter Arab. Gedichte"، للبرفسور آلوارد، گرايفسڤالد، ١٨٧٢؛ كـذلك: "Beitrage zur Kenntniss der Poesie der alten Araber" تأليف تيودر نِلدِكه، هـانوڤر، ١٨٦٤؛ وأيضـا مقـالي "Ancient Arabic Poetry, its Genuineness and Authenticity"، مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، ١٨٧٩.ـــ **موير.]**

[2] **[جاء ذكر كل هذه النعم والرفاهية في القرآن بشأن الجنة.ـــ موير.]**

[3] [هذا القول لخالد [بن الوليد] لدى إلقاء خطابٍ بعـد إحـدى انتصـارته فـي العـراق. "Annals of Early Caliphate".ـــ **موير.]**

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

السواد جورة[1] الحمير، الذين لا أدب لهم ولا حسنى ولا علم ولا معرفة، فحيث تكلّموا بالعربية تنطقوا ببسط ألسنتهم واستعربوا عند أنفسهم، واستطالوا على الناس، فأحدهم يدعي الإسلام قولاً بلسانه وفي قلبه بعض من مرض يهوديته ومجوسيته، فهو لا يعرف من خلقه، ولو قيل له ما الحدّ الذي تفرق به ما بين نفسك وخالقك والبهيمة لم يدرِ، ولم يحسن أنْ يميّز ولا يعلم ما هو ولا كيف هو الجواب فيه، وإنَّما هم كالأنعام، بل أضل سبيلاً وكالبهائم الهائمة على وجوهها يميلون مع كلِّ ريحٍ ولا يعلمون حقيقة ما دخلوا فيه مما كانوا عليه أولاً؛ مثل عبدة الأصنام والمجوسية وأوساخ اليهود وسفلتهم، الذين إنما طلبوا التعزّز بالدولة والتطاول على الناس بالسلطان، وبسط ألسنتهم على ذوي الأقدار وأولاد الأحرار وأهل الحسنى والمعرفة، وأهل الديانة والعلم والمروءة والصيانة والشرف والنسب، ومثل أهل الريب والخيانات أيضاً والجرائم الذين لم يكن يتهيأ لهم ارتكاب المحارم ونكاح الفروج التي حرمها الله عليهم مع بقائهم في الديانة النصرانية، إلاّ بانصباب ذلك لهم بالدخول في هذه المقالة ومثل من أباح لنفسه غاية الشره على الشهوات الجسدانية، فمال إلى الدنيا ولذاتها وزخرفتها طلباً للعزّ القليل الزائل الفاني، وشيكاً الذاهب سريعاً منها وطرحاً للكثير الدائم الباقي الذي لا انقطاع له ولا زوال، وهو في الآخرة؛ فانحاز إلى هذا القول وجعله سبباً له وسلماً أوصله إلى ما أرد، إذْ كان أقوى أسباب الدنيا يعبر منها ويعول عليها، التي جعل سلطانها باب المدخل إليها، والسبيل إلى ارتكاب الكبائر والمعاصي فيها ومال أيضاً إلى هذه المقالة من جعلها متجراً ومكتسباً لرزقه الذي قد كفاه، ولقوته الذي قد فرغ له من الاهتمام به، وألاَّ فهل رأيت، أكرمك الله، أو بلغك أنَّ من له بصيرة في الديانة أو علمٍ أو معرفة أو تحصيل للأمور أو قراءة الكتب وتفتيش لها واعتقاد صحيح أو نظر في حكمة أو مدعي فلسفة، صحيح العقل والفكر انقاد إلى غير الديانة النصرانية، وخرج منها جاحداً مقالته ناكراً معرفته من غير سبب دنيوي، دعاه الاضطرار إليه ليجري بدينك وسلطانك على ما يريد من ركوبه، وما تنازعه إليه نفسه من الأمور الخسيسة التي كانت الديانة النصرانية تحظرها عليه وتمنعه من الدخول فيها، وتقبح له فعلها بل من لم يكن يتهيأ له ذلك ولا يمكن فعله دخل في دين هو مطمئن فيه لما يريد من ذلك، آمناً غير خائفٍ تحت سلطان هذه الدولة مظهراً متابعة أهلها على قولهم. فهذه، أكرمك الله، أقوى أسباب هؤلاء الذين تراهم قد وافقوك على مقالتك واجتمعوا معك على اعتقادك وأكثرهم يعتقدون ويضمرون ويسّرون خلاف ما يظهرونه؛ فمنهم من يزري على صاحبك في حسبه ونسبه، ومنهم منْ يسبّه ويدّعي في ذلك الكذب والبهتان، ومنهم من يزعم أنْ غيره كان

[1] جمع جائر وهو الحائد عن طريق السواء.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أحق بالأمر منه؛ ولكنه وقع إليه ذلك بالغلط، وبعض يقول إنَّ الروح القدس انقسم ثلاثة أقسام: فقسم كان في عيسى؛ وقسم في موسى؛ وقسم في رجل آخر أكره ذكره.[1]

وإنَّ صاحبك خلو من ذلك، فهؤلاء عندي أجهل البرية وأشرّ من الزنادقة وأردأ مذهباً منهم وهم يظهرون الإسلام، ويفتخرون به في ظاهرهم وكل ذلك ليتعززوا بسلطان الدولة على النَّصارى السليمة قلوبهم، المشبهين الحملان بين الذئاب الخاطفة، كما سبق قول سيدهم ومسيحهم ومخلِّصهم الذي أعلمهم بما هو مزمع أنْ يكونَ من أمرهم. ولو أسهبت لأصف لكَ مقالات أصحابك، ومعاذ الله أنْ يكونَ لك أصحاباً بل هم أصحاب الشياطين وحزبه وشيعته وأولياؤه وما يروونه من الأحاديث الكاذبة الشنيعة، التي تكاد تخزي الجبال منها للفرية التي فيها على الله، جلّ ذكره، أولاً، ثم على صاحبك وما يقذفونه به من الأباطيل ويشنعون عليه به من الكذب الذي لم يخلق الله له أصلاً، وصاحبك برئ منه كلّه، لطال كتابي بذكره. فما قولك في من يروي عنهم أنَّهم يقولون لربما هوينا أمراً فوضعناً فيه حديثاً وما أظنك ممن يروي أنَّ الله، جلّ وعزَّ، عمّا يفترون بعث إلى أبي بكر يقول: «يا أبا بكر، أما أنا فراضٍ عنكَ فهل أنت راضٍ عني؟»[2] فحسبك بهذا دليلاً على فريتهم على الله جلّ وعزّ وكذبهم وشنيعتهم، وكم مثل هذه الأحاديث قد زوروها، وألّفوا عليها، فلعمري لقد صدق صاحبك حيث قال: «إنّه ما من نبي إلاّ وقد كذبت عليه أمته وأنَّ أمتي ستكذب علي أيضاً»؛ ولكني لا أعرف أمةً كذبت على نبيها كذب اليهود ما أدري ما أقول في هؤلاء وفي كذبهم.

وأمّا الخلاف في الأذان والتكبير في الجنائز، والتّشهّد وصلاة الأعياد، وتكبير التّشريق، ووجوه القراءات، ووجوه النسيء، والفتيا، وما أشبه ذلك؛ فإنَّه أمرٌ يطول خبره جداً، ولولا أنني أعلم أنّك الرجل الذي قد فتشت أحاديثهم وانتقدتها وعرفت جميع عوارها وانكشفت لكَ مجاريها، لكتب إليك في هذا الفنِّ أشياء يطول الخطب فيها، لكنّي أعرفك عالماً بجميعها غير شاكٍ في ذلك وقد سبرت الدولة وظاهر قول الديانة، واسم الإسلام والتّحلي به والأعاجيب من اعتقادهم وكذبهم على الله وأنبيائه ورسله وأوليائه وعباده الصّالحين وما يكتمون من النِّفاق ويظهرون أنَّهم النقية قلوبهم السليمة صدورهم وهم الدغلون الغاشّون لله، جلّ ذكره، ولأنبيائه ورسله إذْ كانوا يروون عن الله مثل هذه الأحاديث. فكيف لا تأخذهم الرّجفة، وكيف لا تطبق عليهم السّماء بالسخط والعذاب، وهم ينطقون بمثل هذه العظائم؟ ولكنه جلّ وعزّ لم يزلْ

---

[1] [لست أعلم من هو الشخص المشار إليه هنا ضمناً، وكذلك في الصفحة التالية.ـــ **موير.**]

[2] [حسب المعتاد، فإن التصوير يهدف إلى الانتقاص من أبي بكر، وهو الأمر السائد لدى العلويين في بلاط المأمون. بعد بضعة حكام، لم يعد أحد يجرؤ على إعادة الأحاديث التي تنال من شخصية الخليفة الأول.ـــ **موير.**]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مستعملاً طول الإناءة والإمهال لأنه، جلّ اسمه، لا يخاف الفوت، وهم إليه يرجعون فهو يمهلهم إلى يوم تتكشف فيه الستور، ونعوذ بالله أنْ نكون من القوم الظالمين.

[اسم محمد مكتوب على العرش]

وأما قولك، أصلحك الله، إنَّه مكتوب على العرش: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، فلقد كثُر تعجُّبي منك، كيف جاز هذا عليك في فطنتك ودقة عقلك وصحة فكرك، وكيف أمكن أنْ تتصور مثل هذا في عقلك أنه صحيح حتى ترويه وتكتب به إلى مثلي من أهل اليقين ومن تعرفه بصحة الانتقاد وشدة الاعتبار، وجوابك في هذا عندي مما يتمثل به العامة أنك تخدع نفسك وتضع من عقلك وذهنك، لأنّك في حكمتك لم تترك شيئاً للمشبهة اليهود الذين يحدّون الله ربَّهم أنه جالس على عرشٍ محدود، فلم ترضَ أنْ أجلسته على عرش محدود حتى تكتب على العرش اسمه واسم آخر من خَلْقه ليت شعري أهو كتب ذلك الكتاب أم كُتب له، ولك كتب ذلك لنفسه لئلا ينسى اسمه، أم لتعرفه الملائكة، فقد كانت عرفته الملائكة حين أراد خلق النور فقال: «ليكن النور فكان النور»؛ وعند ذلك مدحته وسبحته قائلةً: «سبحان خالق النور»، وعلمت أنها مخلوقة، وأنّ لها خالقاً؛ فتلك المعرفة في الملائكة قائمة غير زائلة، بأنه خالقها وليس لها حاجة إلى أنْ يكونَ لها كتاب نصب أعينها يذكرها لئلا تنسى اسم خالقها، وهي تسبّح اسمه وتقدسه من غير فتورٍ ولا انقطاعٍ وتنفّذ أمره، جلّ، وعزّ في كل لحظة. وإنْ كان إنَّما كتب ذلك للناس، فهم غير منتفعين به، لأنهم لم يروا ذلك العرش ولا قرأوا ما عليه من الكتابة، فإنْ قلت: إنَّ ذلك كُتب ليُقرأ يوم القيامة؛ فأقمْ لنا دليلاً وبرهاناً على ذلك صحيحاً مقنعاً على أنّك تعلم أنّ الناس كلهم يوم القيامة يُعطَون المعرفة الكاملة بخالقهم وتبطل في ذلك الوقت الشكّوك وتضمحل الظنون، ويحصلون على اليقين الصحيح في يومٍ لا ريب فيه تُجزَى كلُّ نفسٍ بما كسبت، فلها شغل بما هي فيه، فقد هدر قولك وتهافت دعواك أنَّ على العرش مكتوباً: «لا إله إلاَّ الله، محمدٌ رسول الله»، بعد فلم أرَ أحداً من أصحابك يوافقك على ذلك ولا يطابقك على رأيك، بل كلهم وأكثرهم الرّاسخون في العلم يبطلونه ويردونه أشدّ ردّ، ويكذبون به أعظم تكذيب، وأنّه محال لم يأتِ ذكره في الأثر، ولا له في كتابك الذي زعمت أنه منزل من عند الله، عزَّ وجلّ، ذكر البتةَ فليت شعري من أين جئتنا أنت به بل أخاف، يرحمك الله، أنْ تكون أخذته من سماجات اليهود فإنَّ لهم مثل هذا وشبهه من التّشنيعات التي قد وضعوها ودّسوها إليكم بلطيف حيلهم ورقة كيدهم في الإدغال طلباً للمعاتب والمكايدة وإلقاء الشرور بين الناس؛ فإنْ صدَقْت نفسك، أصلحك الله، علمت حقاً أنَّ هذا محال، لا معنى له، ولا منفعة، وإنَّ الله في حكمته لا يفعل المحال، وما ليس له معنى.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[تفضيل آل إبراهيم على العالمين]

وقد وجدنا إجماعكم على أنَّ الرجل إذا قام خطيباً فيكم يبالغ في دعائه ويظن في نفسه أنه قد بلغ الغاية القصوى في خطبته، فيفتتح كلامه قائلاً «اللَّهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم» فأراك، أبقاك الله، ظننت أنك قد بالغت له في الدعاء والصلاة عليه إذْ تمنيَّت له وطلبتَ متشفعاً أنْ يصير مثل إبراهيم وكأحد آل إبراهيم فهذا، أصلحك الله، نهاية الشناعة أنَّ رجلاً اسمه مع اسم الله جلَّ ذكره وتقدَّست أسماؤه مكتوب على العرش من نور، وإنَّ آدم بل الدنيا كلها إنما خُلقت بسببه كزعمكم، تتمنى له اللحاق برجل من آل إبراهيم ممن قد علمت وأكره ذكر اسمه في هذا الموضع.[1] وكتابك الذي تزعم أنَّه منزل من السماء يشهد ويكرر الشهادة في عدة مواضع قائلاً ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ[2]﴾، فقد وجب عليك في هذا القول إن بني إسرائيل أفضل منك وممن ذكرته بالفضائل؛ وإنَّما كان عهدي بمثل هذه الشناعات من عمهة اليهود، ولم أظنَّ عقلاء المسلمين يعتقدون بمثل هذا وشبهه. وجواباً لكَ، أرشدك الله في الماضي والمستأنف من كتابنا هذا على قدر ما يحتمل من الكلام، على إنَّا قد وضعنا النصفة بيننا وبينك أساساً لكلامنا وطرحنا التطاول بالسلطة والبذخ والتّفاخر والأنساب لأنّا إذا حصلنا على علم بأنفسنا وصدقناها عرفنا إنّه ليس لأحدٍ على صاحبه فضلٌ في النّسب؛ وأنّنا نرجع إلى أب واحدٍ وأم واحدة وجميعنا خلقنا من طينةٍ واحدةٍ؛ ليس لحم أطيب من لحمٍ ولا دم أطيب من دمٍ، وإنّما التّفاضل والتّقدم بالعقول والعلوم ولقد أحسن عندي القائل قيمة كلّ امرئ ما يُحسن من علمه وعمله. وإنّي كثيراً ما استصوب هذا الكلام من قائله وإنَّما أدخلت هذا القول في هذا الموضع وإنْ كان ليس من جنسٍ ما نحن بصدده حتى إذا نظر في كتابي ناظر متعنتٌ ينظر بعين العماهية والجهالة، التي ثمرتها الحسد، لا يسبق إلى قلبه لضعفه وركاكته أنّي لم أكن عارفاً من حقكم أهل البيت ما أعرفه وأوجب ما أوجبه، فكيف وأنا معتقد ذلك بجميع ذرية آدم ولكنّني استعملت ما قاله بعض الحكماء، إنَّ ترك الجواب في موضعه عيّ وظلم للعقل فكرهت أنْ أكونَ ظالماً لعقلي، ولم ألتفت إلى هذا الحاسد وهذيانه وجهله وطرحت كلامه وراء ظهري، بل لم أتّوهمه إلاّ عدواً فضلاً عن التفاني إليه.

---

[1] [مجدداً، لا أعلم مَنْ الرجل من آل إبراهيم المقصود هنا، من البغيض أن الكندي لم يذكر حتى اسمه.ــ **موير.**]

[2] **سُورَةُ البَقَرَةِ:** ٢/ ٤٧، وكذلك ١٢٢.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[طقوس الإسلام]

وأما ما دعوتني إليه من الصّلوات الخمس، وصيام شهر رمضان؛ فالجواب في ذلك إقرارك بلسانك في كتابك وما خططته بإصبعك من أمر صلواتنا وصومنا ومواظبتنا، فقد رأيت ذلك معاينةً، وسمعتَهُ وشاهدتَ تلك الأمور الإلهية المخالفة ما دعوتني إليه من الأمور المبهرجة المدلّسة فاكْتفِ، أكرمك الله، بما رأيت، وليكن لك دليلاً وجواباً؛ فلست أجيبك في هذا بأكثر مما عندك من المعرفة، وكفاك بذلك حجة عند نفسك.

وأمّا قولك أنْ نستعملَ الوضوء ونغتسل من الجنابة ونختتن لنقيم سُنَّة أبينا إبراهيم، فجوابك قول المسيح الرّب لليهود، وقد قالا له: «لِمَ لا يغتسل تلاميذك»، فأجابهم الرّوح المحيي مخلص العالم: «ومالذي يغني عن البيت المظلم أنْ يكون في ظاهره مصباحٌ يتّقد، وباطنه مظلمٌ. وإنّما يجب أن تغسل النيّات والقلوب من دنس الفكر وغلّ الخطايا الدنسة الرّجسة فأمّا ظاهر الأبدان فما معنى العناية في تنظيفها فيا أيها المراؤون الآخذون بالوجوه الذين يشبهون القبور المزخرفة من خارج وفي داخلها الجيف المنتنة؛ كذلك أنتم تغسلون ظاهر أبدانكم وقلوبكم دنسة نجسة بالآثام».[1] وما معنى غسل اليديْن والرجليْن، والقيام على الصلاة، وعقد القلوب، والنيّات والضمائر على قتل النّاس وسلْب أموالهم وسبي ذراريهم. فانظرْ، أصلحك الله، كيف أجابهم السيد المسيح: إنّما ينبغي للإنسان أولاً أنْ يغسل داخل قلبه ويطهره من الأفكار الرديئة المؤدية إلى الشّرور وإلى إدخال المكروه على النـاس. وإذا نظفَتْ نيّته وطهر ضميره من ذلك الاعتقاد الرديء؛ حينئذٍ يغسل ظاهر بدنه بالماء. فميِّزْ هذا القول أصلحك الله وانظرْ فيه بعقلك. أليس هو قول مقنع وجواب شافٍ؟

وأمّا الختان فينبغي لكَ أولاً أنْ تعلمَ قصته، ثم تحثّ النّاس على ذلك وأنْ يمتثلوا سُنَّة إبراهيم أبيهم. فأقول إنَّ الله، جلّ اسمه، لما كان مُزمعاً أنْ يُدخل بني إسرائيل، الذين هم ولد إبراهيم أرض مصر، ولم يزل عالماً أنَّ الشرَّ سوف يحملهم على ارتكاب الفواحش التي قد حرّمها عليهم، ونجس أهلها جعل هذا سبباً لمن أرد ارتكاب الفاحشة من امرأة مصرية نظرت إلى هذه العلامة التي في جسده وهي الختان؛ فامتنعت ولم تواتيه، فوسمهم الله بهذه السّمة لهذه العلة فكيف تحثّ النّاس على الختان وأنت تعلم أنَّ صاحبك لم يختتن كزعم أهل مقالتك على ما نقلت الرّواة عنه أنه لم يكن مختوناً بتةً، لأنهم شبّهوه كما ادّعوا له ذلك أنّه كآدم أبي البشر وشيث ونوح وحنظلة بن أبي صفوان، وهذا خبر ليس أحدٌ من أصحابك ممن يعتقد مثل اعتقادك يشكّ في صحته. فإنْ قلت إنَّ المسيح قد اختتن؛ قلنا لك قد اختتن لإقامة سُنَّة التوراة،

---

[1] قابل مع **مَرْقس**، الأصْحَاحُ ٧.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لئلا يُرى أنَّه استخفَّ أو نقص شيئاً من سُنتها، ثم أكّد ذلك بقوله «لم آتِ لأَنْقُضَ بَلْ لأتمم وأُكَمِّلَ».[1] وكذلك قال الرسول الحقّ بولس:[2] «إنْ كنتم إنّما تختتنون لأن المسيح اختتن؛ فإنَّ ذلك لا ينفعكم شيئاً، ولا الغُرْلة أيضاً تضرّ شيئاً مع الإيمان الصحيح والقلب السّليم النقي»؛ وإلاّ فيجب لكَ أيضاً أنْ تقرّب القرابين، وتحفظ السّبت، وتعمل الفصح، وتقيم شرائع التّوراة كلها كما أقامها المسيح سيدنا، فإنّه فعل ذلك ورفعه عنا وأكمله وأتّمه بفعله إياه، وكفانا مؤونة العمل بشيء منه وأغنانا بسننه الحسنة الإلهية وشرائعه الرّوحانية التي دفعها إلينا عن السنن التي شهد، جلّ وعزّ، على لسان نبيه قائلاً: «إنِّي أعطيتكم يعني بني إسرائيل سنناً ليست بحسنة وشرائع لن تقدروا أنْ تحيوا بها». فإنْ أنصفتنا علمت أنَّ الختان ليس هو عليك فريضة واجبة، لأنَّ كتابك الذي تدعي أنَّ فيه شرائع ديانتك يذكر أنَّ ليس الختان شريعة واجبة، وإنّما هو سنَّة؛ من شاءَ استشنعها وعمل بها، ومنْ شاء استشفها ولم يعمل بها. ومن اختتن من أصحابنا وأسبغ الوضوء واغتسل من الجنابة؛ فليس يفعل ذلك لأنه سنّة واجبة وفريضة لازمة عليه لا يحلّ له إلاّ القيام بها، بل يفعله على سبيل العادة الجارية عند أهل الزمان والتّشبه بأهل دهره الذي هو مقيم بين أظهرهم للنظافة الظاهرة لا غير، لعِلْمنا أنَّ من تغوَّط كان أحق أن يُفيض عليه الماء السّابغ بقدر ما يخرج منه نتن الرائحة قبيح المنظر، بخلاف من تصيبه الجنابة التي لا لون لها منكر ولا رائحة منتنة؛ بل يتولّد منها إنسان كامل المعرفة بالعقل والعلم، يكون منه النبي المرسَل، والملك المسلّط والحكيم الناقد، والعبد الصّالح المسبِّح لله ليلاً ونهاراً.

[تحريم لحم الخنزير]

وكذلك يفعل من اجتنب منّا أكل لحم الخنزير كاجتنابه أكل لحوم الحمير والجمال، لأن ذلك غير محرَّم عليه؛ لأنَّ الله لم يخلق شيئاً قبيحاً كقوله، جلّ اسمه في التوراة على لسان موسى نبيّه في سفر الخليفة «فنظر[3] الله إلى جميع ما خلق فرآه حسناً جداً» فالله تبارك وتعالى استحسن كلّ ما خلق. أفأجترئ أنا وأقول عن شيء خلقه إنه قبيح أو حرام؟ إذن أكون معانداً لله مقاوماً ما خلقه واستحسنه؛ ومعاذ الله أن أكون لربي معانداً، بل كلّ ما خلقه الله مما تقبله نفسي ويجوز لي في طبيعتي آكله، فهو مطلق لي ولجميع ولد آدم، غير أكل الدم والميتة وما ذُبح للأصنام؛ فإنه نزل في تحريمه أمر من الله [أعمال] نصّ والسبب في تحريم الخنزير

---

[1] قابل **مَتَّى:** ٥/ ١٧.
[2] قابل **رُومِيَة**، الأَصْحَاحُ ٢ و٣.
[3] قابل **التَّكْوِين:** ١/ ٣١.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والجمل وغيرها مما حرّم على بني إسرائيل أكله؛ فذلك إنّما حرّم عليهم لعلة معروفة مشهورة، لأنهم حيث كانوا مقيمين بمصر نظروا إلى أهل مصر يعبدون الأصنام التي كانت على خلق الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم، ألا ترى كيف أجاب موسى لفرعون قائلاً له: لن يجوز أن تقرب لله قرابين تُجاه المصريين، لأننا إنّما نريد أنْ نقرِّبَ القرابين التي يعبدونها وهي آلهتهم فإذا فعلنا ذلك بين أيديهم لم نؤمن أنّهم يرجموننا إذا قرّبنا آلهتهم وذبحناها فدلّ بهذا القول أنَّ أهل مصر كانوا يعبدون الثيران والبقر الكباش وسائر الغنم. ودليل آخر إنَّ موسى حيث أقام في طور سيناء وثب بنو إسرائيل على هارون أخيه قائلين له: اتّخذ لنا إلهاً نعبده فإنَّ موسى قد أبطأ علينا ولا نعلم حاله، وإنما اتّخذ لهم صنماً على صورة العجل على منهاج ما كانوا يرون من عبادة أهل مصر مثله؛ فكان المصريون يعبدون هذه الخليقة من البهائم ويقرّبون لها القرابين مما كان خلافها كالخنزير والحمار والجمل والفرس، وما أشبه ذلك من الأشياء التي هي عندهم أخسّ في الخلقة من خلقه آلهتهم،[1] فحيث أمرَ الله موسى بالقرابين، أمره أنْ يقرّب له من الثيران والبقر وسائر الغنم لا غير ذلك. وأمر أنْ ينجسَ الخنزير والجمل والحمار والفرس، ليعلموا أنّ هذه نجسة في أكلهم إياها، فضلاً عن تقريبها لي إذا كان المصريون يقربونها لآلهتهم، بل كل لحوم الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم التي كانت آلهة عند أولئك، وقرّبوا ليّ منها وتجنّبوا أكل الخنزير والجمل والحمار والفرس، وما أشبه ذلك. ولا تقرّبوا لي شيئاً منها أصلاً لأنّها نجسة غير زكية؛ لذلك السبب فزهدهم في عبادة الثيران والغنم الكباش والبقر بإطلاقه لهم أكل لحومها وتقريب القرابين منها وزهدهم في عبادة الخنزير والجمل والحمار والفرس، وما أشبه ذلك، ونفرهم منها بأنْ صيّرها نجسةً غير زكية ولم يطلق القربان منها؛ فحذرهم من عبادة الجميع بالقوانين جميعاً. فليس الحرام والنَّجاسة أنْ يُؤكلَ لحم الثيران والبقر وسائر الغنم والكباش والخنزير والجمل والحمار والفرس، بل الحرام والنجاسة أنْ نعبدَ هذه ونتخذها آلهةً من دونه، جلّ وعزّ؛ فأما مَنْ لم يعبدها ولم يكن اعتقاده أنها آلهة من دونه، جلّ وعزّ، أو قرب منها شيئاً للأصنام فليس ذلك بحرام عليه ولا بالنجس عنده، ومأكلة لحوم الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم والخنزير والجمل والحمار والفرس حلال ورزق من الله طيب، يأكله الإنسان مطلقاً ما لم تُعفْه نفسه أو ينفر منه طبعه، فإنْ ترك أكل الجميع أو بعضه فذلك إليه لا لوم عليه فيه، فأمَّا تحريم لحم الخنزير فقط من بين البهائم كلها وإطلاق أكل الجمل وتقريب القربان منه ولحم الحمار والفرس الذي أتى به صاحبك، فالسبب فيه من ذينك اليهوديْن: عبد الله بن سلاّم ووهب بن منبه اللذيْن أفسدا الدنيا وأهلكا الأمة؛ وصاحبك بريء من هذا كله.

---

[1] [قارن **سِفر الْخُرُوج**: ٢٦/٨]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[الحج]

وأمّا دعوتك لي إلى حجّ بيت الله الذي بمكة ورمي الجمار والتلبية وتقبيل الركن والمقام، فسبحان الله ما أعظم هذا الكلام؟ لقد جئت بأمرٍ فري، كأنك تكلم صبياً أو تخاطب غبياً، أو تجادل عيياً. فليت شعري أليس هو الموضع الذي عرفناه جميعاً حقّ معرفته، ووقفنا على أصول أسبابه، وكيف كانت القصة في ثباته، وكيف جرى أمره إلى هذه الغاية، أَوَلا تعلم أنَّ هذا فعل الشمسيّة والبراهمة الذي يسمّونه النُّسك لأصنامهم بالهند، فإنّهم يفعلون في بلدهم هذا الفعل بعينه الذي يفعله المسلمون اليوم، من الحَلْق والتّعري، الذي يسمونه الإحرام والطّواف ببيوت أصنامهم إلى هذا الوقت على هذه الحالة. فلم تزدْ عليه أنت شيئاً ولا نقصت منه ذرةً؛ فإنّك أخذته بذلك الفعل الذي سمَّيته النُّسك متمسكاً بتلك العادة محتذياً تلك السُّبل، إلاَّ أنك تفعله في السنة مرةً واحدةً في وقت مختلفٍ، وأولئك يفعلونه في السّنة مرتيْن في دفعتيْن معروفتيْن عند دخول الشمس أول دقيقة من الحمل، وهو الربيع، وفي دخولها أول دقيقة من الميزان، وهو الخريف؛ ففي الأول لدخول الصيف، وفي الثاني لدخول الشتاء.[1] فهم يضحّون كما تضحّي أنت، وينسكون كنسكك لأصنامهم وإنذارهم؛ فهذا سبب حجّك ونسكك ومقامك تلك المقامات وأفعالك تلك الأعجوبات.

وأنت وأصحابك عالمون أنَّ العرب كانت تنسك هذه المناسك، وتفعل هذه الأفعال منذ قديم الزمّن منذ بَنَتْ هذا البيت. فلمّا جاء صاحبك بالإسلام لم نره زاد في هذه الأفعال ولا نقص منها شيئاً، غير أنَّه لبُعد المشقة وطول المسافة وتخفيف المؤونة جعله حجةً واحدةً في السنة، وأسقط من التلبية ما كان فيه شناعة،[2] والقصة هي تلك القصة بعينها التي تفعلها الشّمسيّة والبراهمة ببلاد الهند إلى هذه الغاية وتنسك فيها لأصنامها. وإنّي أستصوب قولاً لعمر بن الخطاب، وقد وقف على الركن والمقام فقال: «والله لأعلم أنكما حجران لا تنفعان ولا تضرّان، ولكنّي رأيت رسولَ الله يقبّلكما؛ فأنا أقبّلكما كذلك»، فإنْ كان الرّواة الصادقون الذين رووا هذه الرّواية عنه كذبوا عليه أو لم يكذبوا، فقد صدقوا في ما حكوه عن هذيْن الحجريْن؛ وإنْ كانوا صدقوا عنه أنّه قال ذلك، فلقد قال قولاً حقاً. فكيفما أردت القول أيها الحبيب لم يخرج عن قانون الحق. فأمّا ما يريد العاتب أنْ يعيبَ به من يحلق شعر رأسه ويتعرّى ويعدو ويرمي بالجمرات فهذا فعل من قد غرب عقله وأنكر فهمه ومن يتّخبطه الشّيطان، فقد نجد

---

[1] [**الربيع والخريف** مصطلحان هنديان مألوفان ــ **موير.**]

[2] [إن مؤلفنا ليس صائباً هنا؛ ذلك أن التغيير الذي أدخله محمد على موسم الحج كان نسخ الشهر الكبيس، وبذلك صار الحجّ وفق التقويم القمري، بدلاً من الموسم الثابت وفق السنة القمرية ــ الشمسية. **حياة محمدٍ**، ص ٤٨٦.ــ **موير.**]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مساغاً للعيب وموضعاً للثلب، ولقد احتججنا لكم عند من ثلبكم بهذا، وقلنا إنَّما يفعلونه من جهة التَّعبد وليس من التّعبد عيب، فأجابنا إنَّ الله، عزَّ وجلّ، حكيم ولم يتعبد خلقه بالسنن الفاحشة الشّنعة التي تنفر الطِّباع منها ويستمسجها العقل، بل بالسنن التي يستحسنها العقل ويفضلها؛ أعني السنن الواضحة التي ارتضاها الله وفرضها على عباده أنْ يدينوا له بها ويتقربوا بإقامتها إليه؛ وإلاّ فما إنكاركم على المجوس الأنجاس حيث نكحت الأمهات والبنات والأخوات وتطهرنّ بالبول المعتق، وأوقفت النساء. أما الموابذة حتّى ينضحوا البول المعتق على... بعد الولادة؛ فإنْ كان هذا قبيحاً في التّعبد، فما أنت فاعلوه من الحق والتّعري والرمي بالحجاة والهرولة أقبح. وأقبح من هذا كلّه ما جاء في ذكر الطلاق ونكاح المرأة رجلاً آخر يُسمَّى الاستحلال، وأنْ يذوقَ من عسيلتها وتذوق من عسيلته، ثم مراجعة الرجل الأول بعد ذلك، وقد يكون لها أولاد رجال نبل، وبنات كبار ذوات بيوت، والزوج الذي له الشرّف النفيس والحسب الخطير، وتكون هي المرأة النبيلة في قومها المُشار إليها في عشيرتها البهية في أهلها، ذات المجد والبيت الرّفيع. فهذا أقبح وأشنع من فعل المجوس الأقذار الأنجاس، وإنْ كان ذلك في غاية القبح والقذارة والنجاسة. فهل ترى، أصلحك الله ورضي عنك، أنْ تدعوني إلى هذا الذي تستشنعه البهائم وتستقبح فعله؟ فأنّي أظن، بغير شكٍ، أنَّها لو سُئلت فأُذن لها في النطق، لأخبرتنا بقبح هذه الأفعال واستشناعها إياها، وأعلمتنا لو أجبنا إلى دعوتك أنّا قد ظلمنا تمييزنا وطباعنا،[1] وأعوذ أنْ أكونَ من القومِ الظالمين.

وأمّا قولك إنّك تنظر إلى حرم رسول الله وتشاهد تلك المواضع المباركة العجيبة، فقد صدقتَ، أكرمك الله، في قولك إنّها مواضع عجيبة، وأيّ عجبٍ أعجب من تلك المواضع عند ذوي العقول والتمييز التي يرتكب فيها ما يرتكب من ظلم العقل والتمييز، الذي فضّل اللهُ به الإنسان عن سائر البهائم وأنعم به عليه. وأمّا قولك إنّها مواضع مباركة، فخبِّرني ما الذي صحَّ عندك من بركتها، أيّ مريض مضى إليها فبرئ من مرضه، أو أيّ زَمِنٍ، قصدها فنهض من زمانته، أو أيّ أبرص زار ذلك المكان فذهب عنه برصه، أو أيّ أعمى صيّرته إلى تلك البقعة فانفتحت عيناه، أو أيّ مخبط من الشيطان حُمل إلى ذلك البلد فرجع صحيحاً سليماً؛ فما أظنك، أبقاك الله، بل كيف أظنك وحدك ولا أجد أحداً ممن يتقلّد مقالتك أو يرى رأيك يجترئ أنْ يفكر في مثل هذا ويقول إنَّ مثل ذلك الموضع فعل مثل ذلك فضلاً عن أنْ يدلنا على أحدٍ يومى إليه أنَّه كان عُوفي وانصرف عن مثل الحال التي طالبناك بها. وكيف أقول، وأنت وأهل ملّتك ونبيك الذي تفخر به وبحجكِ إليه، وليس أحد على وجه الأرض ممّن يضمه هذا الفلك المحيط يقدر أنْ يدَّعي شيئاً ممّا طالبناك به أو يصحّ في يديه إلاّ مَنْ انتحل الملّة النّصرانيّة

[1] [إنَّ كلام الكندي حماسيٌ، ولكنه ليس متطرفاً كثيراً. انظر: **حياة محمد**، ص ٣٥٠.ــ **موير**.]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فهذا أمر قاطع فيك وفي غيرك من جميع أهل الأديان والممل؛ فما معنى إضافتك ذكر البركة والتّشريف، وإلحاقك ذلك في هذه المواضع. وإنّما عرفنا البركات تحلّ في المواضع التي يُعبد الله فيها حقّ عبادته، ويأويها الأبرار الصّالحون الأتقياء الذين قد وهبوا أنفسهم لله، فهم في طاعته دائبون ليلهم ونهارهم لا يفترون، لا يشغلهم عن ذلك شاغل؛ قد رفضوا الدنيا وخلوّها ونزعوا عن قلوبهم الفكر منها والاهتمام بشيء من أمرها، فهم أحقّ بأنْ تنزل البركات من عند الله عليهم وعلى مساكنهم، وتنزل الأشفيّة والعوافي على أيديهم، وإذا سألوه أعطاهم، وإذا طلبوا أنجح طلبتهم، وإذا تشفَّعوا إليه شفعهم، وإذا دعوه أجابهم، لأن موعده لا يُخلَف فيه ولا يضيع عنده أجر المحسنين. وكذلك قال الله، تبارك وتعالى، على لسان داود النبي «يطلب الأبرار فيجدون». وقال في موضع آخر «الرَّبُّ قَرِيبٌ ممن يدعوه بِالْحَقِّ ويأتي مسرة أتقيائه ويسمع دعاءَهم فيخلصهم، والرب يحفظ جميع من يخشاه».[1] وأكّد هذا القول الرُّب المسيح في إنجيله المقدس بقوله «اِسْأَلُوا تُعْطَوْا، اُطْلُبُوا تَجِدُوا». ثم قال في موضع آخر «أيّما رجلان منكما يتفقان على مسألة أمرٍ ما من الأمور باسمي فإنّهما يعطياها من أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ»،[2] فقد أنجز موعده، وحقق قوله وصدق ما جاء به من النورِ والهدى في إنجيله، فليس من مكروب ولا ملهوف ولا محزون ولا مريض ولا مستغيث، يسأله بإيمانٍ صحيح ونيةٍ، صادقة وقلب سليم، من أولياء المسيح باسم المسيح المقدّس الطّاهر، إلاَّ فرج عنه همّه وغمّه وكربه وكُفي مؤونة حزنه، ونزلت له العافية والشّفاء من الله بوساطة أوليائه وبركة دعاء الصّالحين من عباده لأنّه طلب الأمر من جهته، وسأل حاجته من الناحية التي تُسال الحوائج منها، فهذه الديارات العامرة بالبِيَع، وجميع المواضع التي يُذكر فيها اسم المسيح مخلص العالم، ويأوي فيها الرهبان ممتلئة من هذه البركات تفيض إلى جميع من صار إليها وقصدها بإخلاص نيته وسلامة قلبه، واسترسال إلى مَنْ يسكنها، وتصديق لما في أيدي مَنْ يطلب منه ذلك فيضاً، لا يطلب من أحد ثمناً ولا مكافأة، ولا ينال على ذلك جزاءً ولا شكراً؛ لأنّ المسيح مخلّص العالم قال في إنجيله الطاهر «مَجَّاناً أَخَذْتُمْ مَجَّاناً أَعْطُوا! ولا تَقْتَنُوا ذَهَباً وَلا فِضَّةً!».[3] فهم حافظون لوصيته، تابعون أمره، مقتفون أثره، وهو جلّ، ذكره، يسمع دعاءهم ويؤتي البركات وينزل الرحمة والأشفية على أيديهم للناس كافة لا من عاند الحقّ وارتد خائباً وصدّ معرضاً عن التَّقوى فإنّه يخيب ويخسر على أنّه إنْ رجع قُبِلَ كما يقبل الآب الابنَ الحبيب، الذي نظير الضّالة يشرد عن بيت أبيه ثم يعاتب نفسه فيرجع نادماً تائباً عارفاً بما يجب عليه من الحقّ اللاّزم له، مقراً بخطيئته متنصلاً من ذنبه، منخذلاً ذليلاً لما جنى من

---

[1] **اَلْمَزَامِير** ٣٤ و١٤٥.
[2] قابل **مَتَّى**: ١٨/ ١٩.
[3] **مَتَّى**، الأَصْحَاحُ ١٠.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

نكوصه وشرّه فتتلقاه رحمة أبيه، فيقبله حقّ القبول ويسرّ بتوبته واعتذاره، ويفرح بموافاته وأوبته ولا يؤاخذه بما جناه على نفسه بقلّة معرفته وجهل صبائه، ثم يقول له إنّك أنت كنتَ ميتاً فعشت، ضالاً فاهتديت، ومستغوياً فرشدت.

فميّز، أصلحك الله، الأمريْن! ولا تتداخلنك الحمية لأنّها ثمرة كيد الشيطان؛ إنَّ الشيطان كان للإنسان عدواً. فهل ترى لي، يرحمك الله، أنْ أدع ما في يدي من هذه النعمة العظيم قدرها، الجليل خطرها، التي تغبطني الملائكة عليها فضلاً عن بني البشر من ذرية آدم، وما كانت الأنبياء والملوك والأبرار تترجاه وتتوق أنفسها إليه ويأخذ بما كتبت به إلى ما يأنف منه طبعي ويأباه تمييزي ويلومني عليه عقلي وينفر منه ما أظنني أكون إذا فعلت ذلك لنفسي من النّاصحين.

[حملات المسلمين]

ثم قلتَ أدعوك إلى سبيل الله، الذي هو غزو المخالفين، والكفرة المنافقين، وقتال المشركين ضرباً بالسيف وسلباً وسبياً، حتى يدخلوا في دين الله، ويشهدوا : «أنْ لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله»، أو يؤدوا الجزية عن عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ.[1] فهل أردت، أبقاك الله، أنْ تدعوني إلى فعل الشيطان المنزوعة منه الرحمة، الذي إنَّما أفرغ حسده لآدم وذريته في شرذمةٍ منهم استغواهم فأفرغ فيهم غيظه وملآهم حنقه وحدته، وجعلهم سلاحاً له وأولياءً ينقادون لإرادته، ويبلغون مشيئته، ويأتون مسرّته وينتهون إلى طاعته ومحبته في القتل والسلب والسبي.

[آيات متناقضة]

فعرّفني كيف أجمع بين قولَيْك وبين تباعدهما، وأنت القائل نقضاً لهذا في كتابك الذي تدعي أنه منزلٌ من عند الله ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[2]﴾. ثم تكتب ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ[3]﴾. ثم تزيد في هذا شيئاً ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى

[1] [الإشارة إلى **سُورَةُ التَّوبة:** ٩/ ٢٩.]
[2] **سُورَةُ آلِ عِمْرَان:** ٣/ ١٠٤.
[3] **سُورَةُ البَقَرَةِ:** ٢/ ٢٧٢.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ[1]﴾. أفلا ترى كيف يناقضك هذا القول. ثم تكتب ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * واتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ واصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ[2]﴾. ثم تكتب أيضاً في موضع آخر ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ[3]﴾. ثم تكتب تأكيداً لهذا القول عن صاحبك أنّه «بُعث بالرّحمة للنّاس كافة»،[4] فأيّ رحمة مع القتل والسبي والسلب؟ وإنني لكثيراً ما أتذكّر بعض اليهود إذْ يُسمي كتابك ناقض نفسه؛ فأنا لا أسمّي كتابك بهذا الاسم الشنيع، بل أسمّي كلامك حقاً مناقض نفسه. إلاّ فأنت مدعٍ ما أنت دائب تدعي ثم ترجع لنفسك وتنقض كلامك، لكنني أسألك أنْ تخبرني عن سبل الشيطان: هل هي إلاَّ القتل والسفك والسلب والسّبي والسّرقة؟ أتقدر أنت أو غيرك أنْ تقول في هذا إنّه ليس كما كتبت إليك؟ فإنْ احتججت علينا بموسى، نجي الله تبارك وتعالى، أنَّه قاتل الكفار وعبدة الأصنام؛ قلنا لك أذكرْ، أصلحك الله، ما قرأته في التوراة كم من أعجوبة، وكم من آية فعلها موسى حتى صدقناه؛ وإنَّ الذي أتاه من الحرب وقتال عبدة الأصنام كان من أمر الله. وكذلك يَشُوع بن نون حيث استوقف الشّمس والقمر فوقفا له، وكان ذلك منه آية معجزة لا يقدر على مثلها إلاَّ من كان من أولياء، لله جلّ وعزّ، فأية آية تقدر أنت على ذكرها أو أية أعجوبة تخبرنا أنّ صاحبك جاء بها مقدمةً تكون شاهدةً له يجب علينا بها تحقيق قوله، وتصديق ما جاءنا به؟ وخاصة قتل الناس بأمره؛ وأنْ يسلبهم أموالهم ويسبي ذراريهم، ويقصد بذلك قوماً هم أولياء الله المعتصمون بعبادته القائمون بفرائضه وسننه، وقد بذلوا مهجهم في دينه وآمنوا بمسيحه واتّقوه حقّ تقاته؛ فهداهم إلى الحقّ المستقيم، فوجوههم مضيئة في الدنيا والآخرة. ثم لم يقنعك حتى سمّيته سبيل الله فحاشا لله، جلّ وعزّ، أنْ يكونَ هذا سبيله أو يكون اقترف شيئاً من هذه المآثم أحد من أوليائه، أو من أهل طاعته، لأنَّ الله، جلّ وعزّ، لا يحب عمل المفسدين. وكيف أقول في تناقض هذا الأمر وتضاده إذْ تكتب ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ[5]﴾. وتزعم أنَّ الله تبارك وتعالى قد قال ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ والأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ واللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ[6]﴾، وأنت الذي تقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ

---

[1] **سُورَةُ يُونس:** ١٠/ ٩٩ ــ ١٠٠.
[2] **سُورَةُ يُونس:** ١٠/ ١٠٨ ــ ١٠٩.
[3] **سُورَةُ هُوْد:** ١١/ ١١٨ ــ ١١٩.
[4] [الاستشهاد ليس حرفياً؛ ولكن التعبير جاء في أكثر من آية مثل: **سُوْرَةُ الأنبياءِ:** ٢١/١٠٧.ــ **موير.**]
[5] **سُورَةُ البَقَرَةِ:** ٢/ ٢٥٦.
[6] **سُورَةُ آلِ عِمْرَان:** ٣/ ٢٠.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ[1]﴾، وأنت الذي تقول ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ثم تختتم ذلك فتقول ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ[2]﴾، وتقول ﴿وَلاَ تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ[3]﴾. ثمَّ أنت تحثّ على قتل الناس ضرباً بالسيف وسلباً وسبياً حتى يدخلوا في دين الله كَرْهاً وقهراً. وكيف أصنع بك وبأي قوليك آخذ، بالأول أم بالثاني؟ فندخل على قولك إنّه ناسخ ومنسوخ فإنّك الذي تدعيه هذا. وإنْ ادّعيته لم تلحق معرفته لأنّك لا تدري أيهما الناسخ ولا أيهما المنسوخ؛ فلعلّ النّاسخ هو الذي عندك المنسوخ. وكذلك ينعكس عليك القول فيه إنّ الذي هو عندك المنسوخ هو النّاسخ؛ فإذا قد أقررت بالجهل بهذا وأنّك لم تحط معرفة به، ولم تثبت له عندك حجة، ولا تقدر أنْ تقيم فيه برهاناً صحيحاً عند مَنْ يطالبك بالبرهان الصحيح، فليس بك ولا بنا حاجة إلى ذكره. فقد خلصنا منك الآن على أنّك خالفت وادّعيت أنَّ صاحبك بُعث بالرحمة والرأفة إلى الناس كافة، وأنَّ لا إكراه في الدين، وفي قولك أنْ تضرب الناس بسيفك وتسلبهم وتسبيهم حتى يدخلوا في دينك كرهاً، ويقولوا بقولك قسراً، ويشهدوا بشهادتك قهراً.

فإذا كنّا إلى هذه الغاية لم نقف بعد هذا كلّه على صدق أحد قوليك، وأيهما المنزل والمأخوذ به، وجب عليك من هذه المقدمات أنْ تكونَ النتيجة في ذلك أنَّ القوليْن كليهما باطلان غير محقيْن؛ لأنَّ الذي هو عندك حقّ يحب أنْ يُعمل به، لعله هو الباطل المتروك الذي لا يجب أنْ يؤخذ به، ولا يُعمل عليه، وأنّ الله جلّ ثناؤه لم يأمر ولا بشيء منهما. فهل بلغك، يرحمك الله، أو قرأت في شيء من الكتب المنزلة أو غيرها أنَّ أحداً من الدعاة استجلب الناس إلى مقالته، ودعاهم إلى الإقرار بما جاء به قهراً وكرهاً أو ضرباً بالسيف وتهديداً بالسلب والسبي غير صاحبك، فقد عرفت قصة موسى، وما أتى به من الآيات المعجبة، وقرأت قصص الأنبياء بعده وما فعلوا، وكان ذلك محققاً وشاهداً لما جاءوا به إنّه من عند الله. وقد هذرت المجوس الأنجاس في ما أدّعت، وزعمت عن زردشت أنَّه حيث صار إلى جبل سيلان نزل عليه الوحي هناك، فحينئذٍ دعا كشتاسف الملك ودعاهم فأجابوه، وأذعنوا له حيث أراهم بسحره ومخاريقه وتمويهاته ما هو عندهم آية تمتنع في الطباع، مثل الفَرس الذي أحياه بعد موته، ومثل ذلك الكتاب أتى به من الزمزمة، الذي زُعم أنَّه يشتمل على كل كلّ لسانٍ وجُمع فيه كلام أكمل لغة نطق بها الآدميون، وكتبه في اثني عشر ألف مجلد من جلود الجواميس، وسمّاه زندوستا، أيْ كتاب الدين؛ فهم إذا سئلوا عن تفسيره أنكروا معرفته، وأقرّوا بجهله. وكذلك فعل البد بالهند حيث أراهم، على ما زعموا، عنقاء مغرب وفي بطنها جارية وهي

---

[1] **سُورَةُ البَقَرَةِ:** ٢/ ٢٥٣.
[2] **سُورَةُ الكَافِرُون:** ١٠٩/ ١ ــ ٦.
[3] **سُورَةُ العَنكَبوت:** ٢٩/ ٤٦.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تهتف بهم وتخبرهم إنّ البد صنمٌ محقٌ في كلّ ما دعاهم إليه، وخبرهم به. فهذه بعض أخبار المستحسنين وخدعهم؛ فهل تجد، أكرمك الله، أحداً من الدعاة الذين دعوا إلى حقٍ أو باطل إلاّ وقد جاء بحجةٍ أو دليل صحيح بأنَّ ذلك أمر بين؟ وهو مموه في الظاهر ممتزج إلى أنْ يدخل في ميزان المحنة؛ فحينئذٍ يتبيّن صحَّته من خُبثه. وكذلك فعل كل ذي دعوة بأهل دعوته، غير صاحبك، فإنّا لم نره دعا الناس إلاّ بالسّيف والسّلب والسّبي والإخراج من الديار. ولم نسمع برجلٍ غيره جاء فقال: «من لم يقرّ بنبوَّتي وأني رسول رب العالمين ضربته بالسيف وسلبت بيته وسبيت ذريته من غير حجة ولا برهان». فأمّا المسيح، سيد البشر ومحيي العالم، فيتعالى ذكره ويجلّ قدره أنْ تُذكر دعوته في مثل هذا الموضع؛ وأنت عالمٌ بالقصة كيف كانت، وكفى بعلمك. أفرأيت، أصلحك الله، من استخار لنفسه في مثل عقلك وأدبك أنْ تدعوا مثلي مع شدة امتحاني وتحصيلي لها إلى مثل ما دعوتني إليه وخاصة وأنا أتلو كلام سيدي يسوع المسيح ليلي ونهاري، وهو شعاري ودثاري، وأسمعه يقول: «تفضلوا على الناس جميعاً! وكونوا رحماء كي تشبهوا أباكم الذي في السماء! فإنّه يشرق شمسه على الأبرار والفجّار ويحدر مطره على الأخيار والأشرار»؛[1] فكيف يظن بمثلي، والمسيح يخاطبني بمثل هذه المخاطبة، وقد ربيت في هذه النعمة، ونجحت بهذه البركة وجرت في أعضائي وفي جسمي مع الدم دماً، وفي عظامي مع المخ مخاً، ونشأت في هذا النجاح والرحمة، ونبت لحمي وشعري عليها. فحاشا أنْ يقسو قلبي، وأتمرد متشيطناً حتى أصير في صورة إبليس العدو القاتل، فأضرب وأقتل أبناء جنسي، وذرية آدم المجبول بيد الله وعلى صورته تعالى، والله جلَّت قدرته هو القائل: «لست أحب موت الخاطئ، لأنَّه اليوم في خطاياه وغداً يتوب، فأقبله كالأب الرحوم»، سيَّما وقد شرَّف الله سبحانه وتعالى النوع الإنساني بأن كلمته الخالقة تجسَّدت منه واتَّحدت به وأعطته ما لها من الربوبية والألوهية والسلطان والقدرة، فصارت الملائكة تسجد له، وتقدّس اسمه، وتسبّح ذكره كما يسبّح اسم الله وذكره، ولا تفرِّق في ذلك بينهما، ثمَّ زِيد نعمةً إلى النعمة المتقدمة بأن أُعطي الجلوس عن يمين ذي العزة تشريفاً لذلك الجسد المأخوذ منا، الذي هو من ذرية أبينا آدم، فهو مثلنا وأخونا في الطبيعة، وخالقنا وإلهنا باتحاد الكلمة الخالقة به بالحقيقة؛ ثم دفع إليه، تفضلاً منه عليه، وإكراماً له، وإنعاماً، جميع السلطان في السَّموات والأرض؛ وخوَّله تدبير الخلائق وصيَّر البعث والنشور والدِّين إليه، وأنْ يحكم حكماً نافذاً جائزاً على الملائكة والإنس والشياطين.

---

[1] قابل **متَّى**، الأصْحَاح ٥.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أفتريد يا حبيب أنْ أضادَ أمر الله تبارك اسمّه، وأضربهم بالسيف وأسلبهم وأسبيهم؟ إنّ هذا لجورٌ على الله، عز وجلّ، وعناد لأمره، وظلم لنعمته، وجحد لمعرفته، وكفران لإحسانه، وقلة شكر لتفضّله، وأعوذ بالله من خذلان الله وغضبه.

[الحرب كعلاج إلهي]

فإنْ قلت: إنَّ جلّ ذكره قد نراه يميتهم ويبليهم بالأسقام والأوجاع، فما يمنعك من التشبُّه به، فأجيبك، أصلحك الله، أحضر جواب وأصحّه، ليس كجوابك في الروح حيث سُئلت عن أمر الرّوح؛ فكان جوابك: إنه من أمر الله؛ وهو جواب لم يسمع السّامعون بمثله. أما نحن فنجيبك في هذا، ونقول إنَّ الله، تبارك وتعالى، إنَّما يبتلي ويُميت عباده، لا لأنّه يريد الإضرار بهم، أو عن بغضٍ منه لهم، ولو كان ذلك كذلك لما خلقهم؛ فكيف وإنّما خلقهم جوداً منه وتفضيلاً وإنعاماً عليهم إذْ نقلهم من العدم إلى الوجود وأصارهم من لا كون إلى كونٍ لنقلهم من هذه الدنيا التي هي زائلة غير باقية، وفانية غير دائمة، وناقصة غير تامة إلى دار الخلود الباقية الدائمة الكاملة فلا يُقال لمن نقل من مدينة خسيسة إلى مدينة شريفة أو من مدينة وضيعة إلى مدينة رفيعة إنَّه أراد بصاحبه سوءاً وتعدى عليه ظلماً، بل هو مُحسنٌ متفضِّل أولاً وآخراً؛ وأمّا قولك إنّه أبلاهم بالأسقام المؤلمة والأوجاع المؤذية، فجوابنا في هذا أنه إنّما أراد بذلك أنْ نكونَ مستحقين الأجر والثواب وأنْ يكون تبارك وتعالى مع تفضّله عليهم ينالون من حسن الثواب باستحقاق منهم، فهو عزّ وجلّ متفضّلٌ عليهم في الحالتيْن جميعاً، كالطبيب الماهر المشفق الذي يشفي المريض بالأدوية المرَّة الطعم، البشعة الرائحة، وربما كوى بعضهم بالنار وقطع بعض الأعضاء من أجسادهم بالحديد، ويمنعهم شهواتهم من المطاعم والمشارب نظراً منه وإشفاقاً عليهم. أفتقول إنَّه يفعل ذلك بهم على سبيل العداوة والبغضة، بل إنّما يريد بذلك صلاحهم وصحة أبدانهم واتقاءهم من الأسقام والأدواء المؤذية لهم، ونقلهم من تلك الحال الكريهة التي هم فيها إلى حال العافية وطيب العيش؛ فإنْ قلت: قد كان يمكنه أن يتفضَّل عليهم ويأجُرهم من غير أنْ يعذّبهم بالأسقام والأوجاع، قلنا لك: وقد كان أيضاً يمكنه ألاَّ يخلق الدنيا، وكان يخلق الآخرة والجنة، ويُدخل الناس النعيم من غير محنة ولا بلوى ولا استحقاق؛ فهذا كان ممكناً في قدرته، لكنه خطأ في التدبير؛ لأنَّ المتعقب كان يتعقب، فيقول لم يكن يمكنه أنْ يخلق إلاّ خلقاً واحداً، فخلق عزّ وجلّ هذه الدنيا وجعلها فانية، دار محنة ومتجر لأوليائه، وجعل الناس فيها مسافرين ينزلونها على ظعن كما ينزل بنو السبيل الخانات نزول ميت لا نزول إقامة، فينقلون منها إلى دار الإقامة التي هي الغاية القصوى؛ ليكون لهم فيها تقرّة الخلود. هذا هو الصّواب في التدبير، فخلقهم، تبارك وتعالى، جُوداً منه، وأبلاهم بالأسقام

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والأوجاع خِيرةً لهم، في زمانٍ متقطع زائلٍ، وحياة مفارقة؛ ليجزيهم ويأجرهم تفضلاً منه عليهم واستحقاقاً من ثوابهم وإتماماً للنعمة عندهم في تلك الدار، التي لا زاول فيها لحياتهم ولا فناء لنعيمهم ولا انقطاع لفرحهم وسرورهم، فإنْ كان صاحبك هذا، يرحمك الله، الذي ادّعيت له ما ادّعيت، ودعوتنا إلى إتباعه بما دعوتنا إليه إنّما يقتلهم بسيفه ويضربهم بسوطه ويسبي ذراريهم ويجليهم عن ديارهم، يريد بذلك لهم الخير لينقلهم مما هم عليه إلى ما هو خير منه، فقد لعمري نصح وتفضّل وأحسن وتشبَّه بفعل الله تبارك وتعالى اسمه، ولكنه ما فعل الذي فعله لهذا، ولا خطر بباله ولا فكّر فيه، وما أراد إلاَّ نفع نفسه وأصحابه، وإقامة دولته في العاجل والدليل على ذلك قوله ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ[1]﴾. أفلا ترى أيها المُميز أنه لم يرد بما فعل أنْ ينقلهم مما هو عنده أنه شرك وكفر إلى ما زعم أنّه الدين القويم نظراً منه لهم، ومحبة لمنفعتهم وصلاحهم ولكنه أراد بلوغ أربه وإنفاذ مرامه، وتوطيد سلطته كما يفعل المتغلّب هذا، وهو يقول في كتابه الذي يدعي أنّه منزل ﴿قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ والأُمِّيِينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ واللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ[2]﴾، ألا ترى، أصلحك الله، أنه أُمر أنْ يقول ويبلغ بلسانه، ونُهي عن القتل والسبي. فأمعن يرحمك الله في هذا الأمر، وميّز هذا التناقض وافهمه.

[الشهداء، المسلمون والمسيحيون]

ثمّ أعجب من هذا تسميتك من قُتل من أصحابك شهداء؛ فهلمّ ننظر في أخبار الذين قُتلوا من أصحاب المسيح على عهد ملوك الفرس وغيرهم، هل كانوا مستحقين لاسم الشهادة أم أصحابك الذين يُقتلون في طلب الدنيا والمحاربة على سلطانها فقد بلغنا كيف صبر أولئك، وكيف كانت مسارعتهم إلى بذل دمائهم ومهجهم، ودماء أولادهم، والخروج عن دنياهم ونعيمهم، وكيف كانت نياتهم وصحّة ضمائرهم، وشدة يقينهم بما كانوا عليه من ديانتهم. وكانوا يسارعون إلى أنْ يقرِّبوا أجسادهم إلى الذبح والقتل وأنواع العذاب، قرباناً لله. وقد كان يُقتل الواحد فيتنصَّر من ساعته في ذلك المكان المائة والأكثر والأقل؛ فقتل في زمان من تلك الأزمنة أحد ملوك الروم المردة، وقد لجّ قتلهم مقتلة عظيمة؛ فقال له بعض أصحابه: «أيها الملك إنك إنّما تزيد فيهم من حيث تظن أنك تُنقِص منهم»، فقال: «كيف ذلك ؟» فقيل له: «إنّك قتلت أمس كذا وكذا فتنصَّر أضعاف هذا العَدَد»، فقال: «وما السبب في هذا ؟» فقيل له: «إنَّ القوم يقولون إنّ رجلاً يطلع عليهم من السماء، فيشجعهم»؛ فعند ذلك أمر أن يُرفع عنهم

[1] **سُوْرَةُ التَّوبة:** ٩/ ٢٩.
[2] **سُوْرَةُ آلِ عِمْرَان:** ٣/ ٢٠.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

السيف. وكان هذا القول داعياً إلى تنصُّر الملك ورجوعه عمَّا كان عليه من الكفر وقتل أولياء الله، فانظر إلى هؤلاء الذين كانت لهم البصائر بالديانة وشدة اليقين والإخلاص وجودة الإيمان، كيف لم يفتُرْ إيمانهم والسيوف تأخذهم. وكانوا يُعذَّبون بأنواع العذاب، وهم على ذلك محبُّون لما ينالهم، غير ممتنعين، فرحون مسرورون جذلون متيقِّنون أنّهم إذا أتوا ذلك فهم مقصِّرون عمّا في أنفسهم من أداء حق النعمة التي أُوتوها من الدخول في الديانة النصرانية فيبذلون أجسادهم اختياراً كما بذلوها، فمنهم من سلخ وهو حيّ، ومنهم من قطعت أعضاؤه وهو ينظر إلى ذلك، ومنهم من أحرق بالنّار، ومنهم من ألقي للسباع، وبعض نشر جسده بالمنشار، وهذا دائم ثابت في من ينتحل دين النصرانية، ليس يخلو في وقت من الأوقات من أنْ يبذل نفسه للموت طوعاً واختياراً ويرغب بها عن الحياة وعن جميع ما يحويه العالم. ونحن نعلم، وأنت وجميع من يقول بالحقّ، أنَّه ليس في دينٍ من الأديان أحدٌ يأتي بمثل هذا الأمر ويحمل نفسه عليه غير أهل هذه الشريعة إذْ كان هؤلاء في العذاب الذي لا توصف شدته، وهم في جميع ذلك على غاية التّمسك بديانتهم؛ وفي غاية الفرح بما ابتلوا، حتى سُئل واحد منهم وهو يعذّب عذاباً شديداً، وهو في حاله تلك يتلفَّت يمنةً ويسرةً ويضحك، فقيل له: ما سبب ما كنا نراه من تلفتك وضحكك وأنت في ذلك العذاب، أما كنت تجد ألماً؟ فأجاب: ما كنت أحسّ فيما كنت أعذب به وقد كنت أرى رجلاً شاباً بالقرب مني وهو يضاحكني ويمسح الدماء التي كانت تسيل من جراحاتي بخرق بيض كانت معه، وكنت أرى ذلك العذاب كأنّه إنَّما يقع بواحدٍ من الذين يعذبونني؛ فعلمنا أنّه كان صادقاً في قوله، وإلاَّ فما صبره على تلك الشدة من العذاب. وتعلم إنَّ الله، سبحانه وتعالى، يصرف عنايته بأهل طاعته ويصبّرهم على الشدائد؛ فإنْ قلت لو أمر الله ذلك الذي وكّله بتشجيعه ومسح الدماء من جروحه أنْ يصدّ عنه من كان متولياً تعذيبه فيكون سبباً لتوبتهم ورجوعهم، قلت أنت، أصلحك الله، تعلم أنَّ الله، جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه، لو شاءَ أنْ يجمعَ الناس كلّهم على الإيمان به، ويجبرهم عليه، لكان قادراً على ذلك، غير أنّه طبع سبحانه وتعالى جوهرهم بعدله على استطاعة الحرية، ليثيبهم أو يعاقبهم على ما اكتسبوا لأنفسهم، لا على الذي يجبرهم عليه، ولولا ذلك لم توجب الحجة على الممتنع من قبوله فلذلك أظهر على يد هؤلاء في ذلك الزمان آياته وبراهينه، ليستكملوا قبول الدين وأمسك عن الباقين ليظهر أنّهم مستطيعون؛ ولو تابوا بذلك السبب لم يكن لهم في ذلك أجر، لأنّهم إنما تابوا قهراً وقسراً، ولكنّه تركهم حتى بلغوا إرادتهم، ولم يغفل عن معونة أوليائه ليظهر استطاعة الحريّة وثمرة العقل وجعل فكره في كيفية قبول الأولين، لأنّه برهانٌ واضح وحجةٌ لازمة. ويجب على كلّ ذي لبٍ اليقين بأنّه لم ينتقل هؤلاء المختلفون في أجناسهم وأهوائهم وأديانهم إلى هذه الدين، إذْ خلا من الخصال كلها، إلاّ بالآيات المعجبة، ومع ذلك، فإنَّ قوة أصل تلك الآيات قائمة باقية في أصل هذا الدين إلى هذه الغاية، نعاين آثارهم

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بأبصارنا ونسمعها بآذاننا ونعي منها بعقولنا من الجرائح، التي تجري على أيدي أصحابهم ورهبانهم وأحبارهم من دفع الجنون، والتّخيل، وإبراء أنواع الأمراض في الكنائس والديارات، والبيع المبنية على اسم هؤلاء الشهداء الذين وصفنا أحوال صبرهم على العذاب الذين هم بالحقيقة مستحقون لاسم الشهادة، فمنها ما فيها قبورهم ومنها ما فيها الجزء من عظامهم فتكون منها هذه النعمة في كلّ موضع، من المشرق والمغرب، وبلاد الروم، وأرض الشّام، وبلاد فارس، وأرض الحبشة، وجزائر البحر، وأمصار العراق، وبلاد خراسان؛ لا يخلو ذلك ممن يلوذ بهم ويلتجئ إليهم في هذا النحو وشبهه، غير منكرٍ لهم ذلك سوى بلاد صاحبك، فإنها من ذلك خلو صفر لأنّه لم يقع إليه من هؤلاء القوم، ولا صار في ناحيته أحد ممن يعبد هذا الدين غير الرجليْن اللذين تعرفهما، سرجيوس المُسمّى نسطوريوس ويوحنا المعروف ببحيرا.[1] ثم ليست هذه الفضيلة في شيء من الأديان ولا يدعيها أحدٌ من أهل المقالات خلا دين النصرانية، فإنَّ ذلك لهم ورثة قائمة فيهم إلى هذه الغاية وإلى انقضاء الدنيا؛ فأيّ دليل أوضح وأي حجة أضوا وأنور وأسطع من هذه لطالب الحقّ. فهلمّ، أكرمك الله، ننظر في هذا الأمر نظر نصفة ويقين واستقصاء، ونجعل بيننا نظر ناظر بعين عقله، ينصح لنفسه ويعدل عن الهوى، فمن هو، أصلحك الله، أحقّ بأن يُسمَّى شهيداً؟ ويشهد له أنّه قُتل في سبيل الله؟ مَنْ قرَّب نفسه قرباناً عن ديانته، وقد قيل له اسجدْ للقمر والشمس، وغير ذلك من الذهب والفضة والخشب مما صنعته الأيدي، واتخذها أرباباً لكَ من دون الله، واتركْ عبادة الله وكلمته وروحه؛ فأبوا ذلك وبذلوا مهجهم ودماءَهم وأموالهم وحياتهم وأهاليهم وأولادهم، أم من خرج طالباً للسلب والسرقة والغنيمة وسبي الذراري ونكاح الفروج التي هي محرّمة، وشن الغارات، ثم يسمّي ذلك جهاداً في سبيل الله، ويقول من قُتل أم قَتل فهو في الجنة. فانصف أيها الحبيب، فإنّنا رجلان تقدمنا إليك فحكمناك في الأمر؛ فأيّ حكمٍ كنت تحكم إذا أنت آثرت الحقّ وترضيت العدل والنصفة، فنقول إنَّ لصاً نقب منزل رجل ليسرقه، فسقط عليه حائط أو وقع في بئر، أو بادره صاحب البيت فضربه ضربةً تلفت نفسه منها أتوجب لهذا اللص ديَّةً؟ ما أظنك أيها القاضي تفعل ذلك! فكيف توجب الجنة لمن مضى إلى قوم آمنين مطمئنين في مساكنهم لا يعرفهم ولا يعرفونه؛ فسرقهم ونهبهم وسباهم وقتلهم وفجر فيهم، ثم لا يقنعك ذلك، إذْ فعلته وتعود إلى ربك نادماً على ذنبك مستغفراً تائباً عمّا كان منك، بل تقول: «إنَّه إنْ قُتل أو قَتل فهو في الجنة، وتسمّيه شهيداً في سبيل الله». فإنْ أنت حكمت بهذا، فما حكم الشيطان الذي هو عدو آدم وذريته قديماً إلاّ دون حكمك؛ على أنّي أعلم أنَّ عقلك وعدلك يمنعانك من ذلك ولا يطلقانه لكَ وقد علمنا أحاطك الله ما اشترطته لنا في الصّبر على الحجة إذا وردت بك

[1] [كان يجب على مؤلفنا عدم نسيان مسيحي نجران، وأسقفهم قس، وشهداء أصحاب الأخدود. أنظر: **حياة محمد**، ص.v وص ٨٤، **وسُوْرَة البُرُوج** (٨٥).ــ **موير**.]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إذا لم تكنْ منا المسألة، وإنَّما كان الابتداء في المبالغة في الحجة منك، فقبلنا ذلك في قولك. وعلى كلّ حال، فلم نكتب بما كتبنا به إلاّ وقد قصرنا، لأنا لو كشفنا في هذا الفنّ من كلامنا لفعلنا كما فعل غيرنا، وكلامنا هذا إنما هو جواب اقتضاه ابتداؤك وإذا عدلت في القول علمت أنَّ الأمر كالنار التي تسكن في الحجر والحديد، فكلما استقدحتها بزنادك استعرّت اضطراماً. وقولي، أكرمك الله، لكَ في هذا ولغيرك ممن ينظر في كتابي هذا قول واحدٌ.

[الحوافز الزائلة الفانية]

فأمّا ما دعوتني إليه وعددته من الأمور الزائلة الفانية التي هي كأحلام النائم، والبرق الخلب الذي يضيء قليلاً ويذهب وشيكاً ويبقى راجيه في الظلام مقيماً، ولو كانت أشياء دائمة، غير زائلة، ولابثة غير ذاهبة، ثم باقية غير فانية، ومقيمة غير منقطعة لما كان يجب على ذي رأيٍ ولا على ذي لبٍ أنْ يرغبَ فيها، ولا يميل إليها، فكيف وهي مشاركة الخنازير والكلاب والتّشبه بالحمير وسائر البهائم، التي همّها الأكل والشرب والنوم؛ وإنّما هذه الدنيا كلها لا قدر لها ولا قيمة عند ذي عقلٍ، إذْ يعلم أنَّ الأمر فيها أسرع وأعجل من أنْ يبقى على شيءٍ، وأوشك أنْ يفنى ويضمحل في أسرع وقتٍ؛ وإنّما يميل إلى مثل هذه الأوضاع من قد غلب عليه الشَّرَه في أخلاقه وطباعه، ولا أظنك، أكرمك الله، عرفتني بالراغب في هذا وشبهه. فليت شعري فكيف أردت أن تصيدني بمثل هذه المصائد الدنية الخسيسة، التي إنّما يميل إليها ويغترّ بخدعتها من كان طبعه يشاكل طبع البهائم. فأما المميَّزون الذين قد نظروا في الأمور، فإنّهم أبرياء من مثل ما ذكرتَه وعدَّدْتَه، بل هم مجتهدون غاية الاجتهاد في أنْ يدفعوا آفات أبدانهم التي لا قِوام لهم إلاّ بها، ولو تهيّأ لهم دَفْعها في الطبائع، أو كان ممكناً لهم ذلك لدفعوها، فكيف تريد أنْ يطلبوا الملك، ويحتالوا الحيل بخلاف ذلك؛ وما لهذا خلق الله الخَلْق، ولا لمثله يبعثهم من الموت يوم القيامة وأنت تزعم في كتابك ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ[1]﴾، فلا أراك إلاّ مناقضاً لقولك لأنّك قلت إنّما خُلقت للعبادة، ثم تقول فتنقض وتهدم بناءَك المتداعي، وتقول ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ (ومن الإماء) مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ[2]﴾. وأنْ نأكل ونشرب مثل البهائم، التي لا خطر عليها من ناموس عقلٍ ولا إلزام سنةِ الكتاب.

---

[1] **سُورَةُ الذَّارِيَاتِ:** ٥١/ ٥٦.
[2] **سُورَةُ النِّسَاءِ:** ٤/ ٣.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فأمّا باب الطّلاق والاستحلال والمراجعة الذي حلّه صاحبك، فلولا كراهية التطويل، لتلوْتُ عليك مما قرَّع الله به أهله على لسان إِرْمِيَا النبي؛ لكنّك تعلم ما في هذا الأمر من العيب والشناعة عند جميع الأمم وسائر أهل الملل، وكيف استقباحهم له، وإنكارهم إياه، وإني لأَنْهى نفسي عن سُفْه المخاطبة فيه، وترديد الذكر له وأرفع قدر كتابي عن إدخال شيء من ذكره أنفاً منه وتنزيهاً لكتابي، فهذا الجواب فيه. وأمَّا قولك: «فاكتب آمناً مطمئناً لا فرق ولا خائف، إنّك لا تظلم لا يتعدى عليك»، فإنْ سيدنا المسيح مخلّص العالم، بحيث شجَّعني في إنجيله المقدّس وأعلمني ما هو عتيد أنْ يكونَ قال «لا تخف ممن سلطانه على الجسد، وليس له سلطانٌ على النفس، بل ينبغي لكَ أنَ تخافَ ممن هو قادرٌ أنْ يعذبَ الجسد والنفس معاً في جهنم[1]»، فقد آمنت بقوله أنْ ليس لأحدٍ على نفسي سلطان إلاَّ الذي خلق نفسي وخلق جسدي، وقد زادني في ذلك أماناً ما بسط الله من عَدْل سيدي أمير المؤمنين وإنصافه ورأفته للضعيف الذي مثلي ممن يقرب من جوده ويعيش في ظل حمايته، فإنَّه قد شملنا عدله وعمَّنا إنصافه ووسعتنا رحمته، أثابه الله تعالى على ذلك وأعطاه مأموله في نفسه وولده من أمر دنياه، وأجاب صالح دُعاي له بمنه.

[شفاعة محمدٍ]

وأما قولك، أصلحك الله، إنّ هذا دينك القيّم، وهذه شريعتك وسُنّتك ومَن ينتحلُ نحلتك، وإنّي إذا دخلتُ فيه وشهدت مثل شهادتك، كنتَ مثلي وحسبي بك شرفاً في الدنيا والآخرة فقد فهمتُ ذلك؛ فأمّا دينك وشرائعه وسننه، فقد سبق من قولنا ما فيه كفاية لمن أراد أنْ يمتحن ما ذكرتَه؛ وأمّا الشرف في الدنيا والآخرة، فلعمري، لقد أتاك الله في هذه الدنيا الخلافة التي جعلها في أهل دينك؛ فنسأله تعالى أنْ يديمَ لك النعم ويُبقي عليك ذلك ولا ينزعه عنكم يا أهل البيت؛ وأمّا شرف الآخِرة، فلا يُعرَف إلاَّ بالعمل الصالح، وقد حُكي عن صاحبك أنَّه قال: يا بني عبد مناف، إني لستُ أُغني عنكم شيئاً عند الله، فلا تأتوني بالأنساب، ويأتيني غيركم بالأعمال، فإنَّ خيركم عند الله أتقاكم. فإنْ كان قال هذا فقد هدر شرف الآخِرة إلاَّ بالعمل الصّالح، ولم نجد أولياء الله إلاّ القوم الذين لا حسَب لهم ولا شرف في الدنيا، وإنما شرفهم في الآخِرة العمل الصالح. فأنت وغيرك إنْ عملتم الصّالح كان لكم الشرف والنسب، ولسنا نحب أنْ نفخرَ بما لنا من السبق والنسق في العربية وشرف الآباء فيها، إذْ كان ذلك معروفاً لآبائنا وأجدادنا، فقد علم كلّ ذي علمٍ ولبٍ كيف كانت ملوك كِنْده الذين ولدونا وما كان لهم من

[1] قابل **متَّى:** ١٠/ ٢٨.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الشّرف على سائر العرب، لكنّنا نقول ما قاله رسول الحقّ بولس:[1] ألا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح فإنّه غاية الفخر والشرف فليس لنا اليوم فخر يُفتخر به إلاَّ دين النصرانية الذي هو المعرفة بالله وبه نهتدي إلى العمل الصالح، ونعرف الله حق معرفته ونتقرب إليه، وهو الباب المؤدّي إلى الحياة والنجاة من نار جهنم.

أمّا قولك بأنَّ نبيّك يقول يوم القيامة، إذْ يكون كلٌّ مشغولٌ بنفسه، أهل بيتي أهل بيتي، أمتي أمتي وما يجاب إليه من الشّفاعة فنامت عينك يا خليلي وخيراً رأيت يا حبيب ما هذه إلاَّ أضغاث أحلام وخرافات العجائز، ومواعيد النسيئة وآمال التدليس؛ لأنّنا لا نشك أنَّ سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي شهد له كتابك أنّه وجيه، في الدنيا والآخرة ولا وجيه سواه ديّان الخلائق يوم القيامة، لا بدّ من أنْ يكافئ كل أحدٍ على عمله إنْ خيراً فخيراً وإنْ شراً فشراً، ولا محاباة عنده ولا هوادة لأحد بل يحكم بالقسط ويقضي بالحقّ بين الخلائق في ذلك اليوم فأنا لكَ من النّاصحين؛ فاقبلْ منّي ولا تملْ إلى هذا الطمع الكاذب الغرار المبهرج، وتدع ما يجب عليك من العمل الصّالح ما دمت في هذه الدنيا مقيماً فتزود منها ما تنتفع به، فلن ينفع في ذلك اليوم إلاّ التقوى. فدعْ عنك الميل إلى أحاديث الكسالى وعليك بالجد الجد، فإنّ الرحيل سريعٌ والموت قريبٌ والوقوف بين يدي المسيح الديّان صحيح، ولا بدَّ من مناقشة الحساب حيث لا عذر ولا حجة ولا طلب ولا توبة، يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون. فاتقِ الله في نفسك يا هذا! واعلم أنَّ تقوى الله خير تجارة تأتيك الأرباح فيها بغير بضاعة، فقد رأيت اجتهاد أولئك الرّهبان كيف هو وكيف تصبوا أجسادهم لله وقد وجبت عليك الحجة بما طبع الله عزّ جلّ في نظرك من التمييز والمعرفة فلا عذر لكَ ولا علّة؛ إنْ قبلت مني فإنّي لكَ من النّاصحين.

فأمّا ما ذكرت من التّسهيلات في شرائعك وسننك وكيف يكون هذا الذي حكيت، هيهات هيهات! بئسما سوّلت لكَ نفسك، والمسيح سيدنا يقول في إنجيله المقدّس حيث بالغ في الوصايا، وأكّد وحتّم «إذا فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ وأكملتم كلَّ البر، قولوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا أمرنا به فأي فضلٍ كان لنا[2]»، وهو السيد الذي قال: «ما أضيق[3] الطريق الذي يؤدي إلى النّجاة والخلاص وما أقلّ السالكين فيها والواردين إليها، وما أوسع الباب الذي يُدخل إلى التّهلكة وما أكثر السّائرين إليه والداخلين منه»؛ فهذا، أكرمك الله، خلاف ما تدعو أنت إليه وأشبه بأمور الآخرة من تسهيلاتك العجيبة وأبوابك الواسعة، وقولك حُبِّب إليَّ الطِّيب والنساء، وانكحوا ما طاب لكم من النساء، ونظائر هذه الوصايا. والله المستعان على ما قد انشرح له

[1] قابل **كُورنثوس**: ١/ ٣١.
[2] قابل **لُوقا**: ١٧/ ١٠.
[3] قابل **مَتَّى**: ٧/ ١٣ و١٤.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

قلبك، وتصور في فهمك من هذا الأمر الذي قد توهمت، أنك منه على صحة واستقامة، ويعزّ علي كيف قد خفي عنك تدليسه وبهرجته، فأسأل الله، الذي يهدي من الضلال إلى الرّشاد أنْ يشرقَ عليك من نور المعرفة ما تهتدي به وتستضيء بضوئه حتى تخرج من ظلمة هذه الضلالة التي أنت منغمس فيها؛ فإنْ ذلك واجب على أنْ أدعو لكَ خاصّة وللناس جميعاً عامة إذْ كان عندنا معشر النصارى أنَّ صلاتنا لا تتم إلاّ بالدعاء للناس بالهدى للتائهين عن سبيل الحقّ أنْ يفتحَ الله على بصائرهم ويكشف عن قلوبهم حتى يروا خطأ ما هم فيه ويرجعوا عنه إلى طاعته وللمهتدين أنْ يثبتهم في ما أنعم عليهم به، فعل الله ذلك بك وبجميع إخواننا بحوله وقوته.

[دفاعاً عن الثالوث]

أما قولك، أصلحك الله، دعْ ما أنت عليه من الكفر والضّلالة وقولك بالآب والابن والروح القدس وعبادة الصليب التي تضرّ ولا تنفع؛ فأمّا الكفر والضلالة، فقد كشفنا لك عن أمرهما كشفاً يغني عن الإعادة، وأتينا بالحجة على من تقع هاتان اللفظتان، ومن هو المقيم على الكفر، ولا حاجة لنا إلى أكثر من ذلك.

وأما التّخليط فكأنك، أصلحك الله، كلّ ما لا تفهمه كان عندك تخليط؛ كقول القائل: إنَّ الإنسان عدوٌّ لما جهل. وأعوذ بالله من ذلك، فليس الأمر على ما توهمت، فلا تحكم لنفسك ولا تشهد لها ما دام خصمك غائباً، لأنّه ليس من فعل أهل التخرج والأدب، فإنَّ الذي وسمته بالتّخليط واجترأت عليه بمثل هذا القول هو سر الله، الذي كانت الملائكة المقرَّبون والأنبياء المرسَلون يركضون في طلبه، ويرغبون في معرفته منذ خلق الله تبارك وتعالى الخلق، فلم تكن تُعطى منه إلاَّ الشيء اليسير باللمح الخفي، ولم تطّلع منه إلاَّ على النذر بالرمز المستور، حتى جاء الابن الحبيب السّيد، نازلاً من حضن أبيه، فكشفه لأوليائه وأهل طاعته فألهمهم معرفته ودفعه إليهم كاملاً مشروحاً مفسَّراً مبيَّناً، فقال لهم مصرحاً «امضوا، فادعوا النّاس إلى المعرفة الصحيحة الكاملة التي هي بِاسْمِ الآبِ والابْنِ والرُّوحِ الْقُدُسِ[1]»، فقبل ذلك الحواريون من فِيهِ الطّاهر، فأدوه إلينا معشر المؤمنين بالمسيح، فقبلناه منهم بالآيات العجيبة ونحن مقيمون عليه بفضله ونعمته إلى انقضاء العالم.

[1] قابل **متّى**: ٢٨/ ١٩ و٢٠.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[عبادة الصليب]

وأما قولك عبادة الصليب التي تضرّ ولا تنفع، ما رأيت من تعظيمنا إياه، وتقبيلنا له وتبرّكنا به؛ فنجيبك عن قائلين: إنّا نفعل ذلك للذي مثّل لنا فيه من أمر المسيح، وما جرى به تدبيره في خلاصنا واستنقاذنا من الهلكة باحتماله الصلب عليه، والموت لأجلنا، فإنَّ النعمة عندنا في ذلك مما لا يبلغه منا وصف، ولا يفي به شكر؛ والصليب ممثل هذه النعمة نصب أعيننا، يحثّنا على شكر موليها والمنعم بها، وإليه نقصد بالتعظيم والتبجيل لا إلى الخشب وغيره مما تُصنع منه الصلبان. ولو كنا نعظّم الخشب، كما توهّمْتَ، لما اتخذنا الصليب من غيره، ولكننا نتخذه من الخشب والذهب والفضة والحجارة والجواهر وغيرها، ونخطه خطاً، ونرسمه بإيماننا؛ وذلك دليل على أنّنا لا نقصد بالتعظيم الجواهر التي تُتَّخذ منها الصلبان، بل من هو ممثَّلٌ بالصليب. وكما أنّه من السنّة تعظيم كلّ شيءٍ من أمر الملك وما نُسب إليه، وخاصة الممثَّل فيها شخصيته؛ فإنَّ السنّة جارية فيها على وجه الدهر بأنْ نتحفها بالسجود تعظيماً للملك، وما مثل فيها من أمره؛ فكذلك نوجب نحن تعظيم الصليب وتكرمته إذْ كان ممثلاً لنا أمر المسيح سيدنا وملكنا وجسيم نعمته عندنا لما صلب دوننا. ثمَّ إنَّ الناس في هذا الدهر أيضاً على بقية من هذه السُّنّة فإنهم يقبلون أيدي ملوكهم وأقدامهم وكتبهم إعظاماً لهم، فيحظون بذلك عندهم ويرونه لهم من أنفسهم براً ورشداً، فكيف الآن تنكر علينا تعظيم الصليب واستلامه، ومحله عندنا المحلّ الذي وصفنا وأننا نجد في الكتب المنزَلة من عند الله أنَّ الأنبياء كانوا يعظمون التابوت الذي عمله موسى بأمر الله، تبارك اسمه، ويسجدون بين يديه. وكان موسى كلما حمل التابوت يقول: «قمْ يا ربّ ولينهزمنّ شانئوك»، وإذا وُضع يقول: «عُدْ يا ربّ إلى الألوف وعشرات الألوف من بني إسرائيل».[1] ومما حدّث يَشُوع بن نون عن بني إسرائيل أنهم خرّوا سجداً بين يدي التابوت معظمين له، عائذين به مما نالهم، وداود النبي حين نقل التابوت إلى أورشليم عظّمه غاية التّعظيم، واتحفه بالذبائح والقرابين، وشيّعه بالتسبيح والتّهليل، وافتتح ذلك مقالة موسى النبي، فقال: «ليقم الله وليتبدد جميع أعدائه ويهرب شانئوه من بين يديه». وكان فعلهم هذا بالتابوت تعظيماً لله لا للخشب وغيره؛ فنحن على هذه السنّة أيضاً في تعظيم الصليب، ونجري فيها على ما جرى عليه الأنبياء الأبرار، فلِمَ، أصلحك الله، غلب عليك النسيان في هذا الموضع؟ كأنك جاءتك حمية الإسلام، وحرّضتك العصبيّة الهاشميّة، فأزاغتك عن سبيل الحق؛ وحادت بك إلى خلاف ذلك السبب الذي أنت أقررت به بفيك، ولَفَظَ به لسانُك، مما جربت من القوة الحالّة في الصليب حين استعذت به عند سقوطك عن الدّابة، وحين هربت ممن هربت منه، وحين لقيت الذي لقيت في طريقك، وأنت ماضٍ إلى

---

[1] [سِفر العَدَد: ١٠/٣٥.]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

عمر الكرخ، وحين تلقاك الأسد، وقاربت ساباط المدائن.[1] أفتراك، أصلحك الله، نسيتَ هذه المواقف؟ فإنْ كنتَ أنت نسيتها، فنحن ذاكرون لها، فلِمَ، أصلحك الله، تكفر بالنعمة وتكافي بالشر وتقلّ من الشكر، وتنكر المعروف، وليس هذا مذهب من هو مثلك من أهل التّخرج والتّمسك بالصدق؟ ولِمَ قلتَ إنَّ عبادة الصليب تضرّ لا تنفع؟ فليت شعري أي ضررٍ نالك عند تعوُّذك بالصليب؟ وأنت تعلم أنّا معشر النصارى لا نعبد الصليب؛ وإنّما نعبد القوة الحالّة في الصليب، والتأييد الذي أيَّدنا به، والخلاص الذي أُوتيناه بسببه. ألم يجرِ بيننا من الكلام والحاجة بحضرة من جرى ما قد أقنعك وتعلم كيف كان الحكم عليك في ذلك المجلس؟ فلم رجعت عمّا كان صحَّ عندك وأقررت بصوابه، حتى ذكرت أنك امتحنت ذلك فوجدته صحيحاً أو كان ذلك من الحكم الذي جرى عليك ممن قد علمته؛ أم إنّما أردت مدافعة ذلك الوقت على أنّي أرجو أنْ لا يكون هذا القول منك في الصليبِ اعتقاداً ولا إبطالاً للفضيلة التي رأيتها حالّة فيه.

[الفاتحة]

وأمّا قولك: إنّك أشفقت عليَّ من النار، ورضيت لي ما رضيته لنفسك؛ فهذا القول يجب شكرك على ظاهره، وإذا عكست قولي لكَ فيه وجب شكري عليك في باطنه، فميّز، أعزّك الله، هذا الموضع وافهمه، فإنَّه أصلح في البدء والعاقبة. وما شرط الكلام الذي لا نفع فيه ولا خير؟ وكيف أقول وأنت تسأل وتتضرع إلى الله كلَّ يومٍ في صلواتك الخمس قائلاً: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ[2]﴾؛ فإنْ كنتَ، يرحمك الله مهتدياً فقد استغنيت عن المسألة والتّضرع في كلّ وقتٍ، وعند فاتحة كلّ صلاة أنْ يهديك، إذْ لا معنى لطلبك الهداية وأنت مستغنٍ عنها؛ وإنْ كنت لم تهتدِ بعد، وكنت طالب الهداية، فأعلمني، أكرمك الله، من هم هؤلاء المنعَم عليهم الذين تسأل ربك، تبارك اسمه، ليلاً ونهاراً أنْ يهديك إلى صراطهم ويلحقك بهم، وأنت تدعي أنَّكم «خير أمةٍ أُخرجت للناس». وإنَّ الدين عند الله الدين الذي رضيته أنت لنفسك، وأنه لم يقبل غيره من الأديان والنحل: أَهم المجوس، عبدة الشمس، والنّار ذوو الشّرائع النَّجسة التي تبيح نكاح الأمهات والأخوات والبنات، وما شاكل ذلك من السنن الدَّنسة التي تأنفها وتستشنعها العقول، وتنفر منها الطبائع؟ فأنت تعلم، وكلُّ ذي خبرة أيضاً، أنّ هؤلاء لم يُنعَم عليهم بالمعرفة التامة، إذ هم لا يوحّدون، بل يشركون مع الله سبحانه وتعالى معبودهم إبليس. فليست المجوس إذن المنعَم عليهم. فأخبرني هل هم اليهود الذين تبرّأ صاحبك منهم، وقال كتابك فيهم إنّهم هم المغضوب

---

[1] [قرية في بلاد الرافدين، قرب المدائن. ــ"Annals of the Early Caliphate" .ــ **موير**.]
[2] **سُورَةُ الفَاتِحَةِ**: ١/ ٦ ــ ٧.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

عليهم المرذولون، المشتتون بين الأمم، الملقى عليهم الذلّ والمسكنة منهم القردة والخنازير الملعونون على لسان كلّ نبي ورسول؟ فليست اليهود إذن المنعَم عليهم الذين تسأل أن تُهدَى إلى صراطهم وما صراطهم بمستقيم. وإنْ قلتَ: عبدة اللاّت، والعزّى، ويغوث، ويعوق، وكسرى، وشمس، وجهار، وهبل، ونسر، وسواع، وودّ، وأساف، ونائلة، وذي الكفين، ومناة، وسعد، وذي الخلصة، وسائر الأصنام، التي كانت العرب تعبدها بمكة وتهامة؛ فهذا كتابك ينقض عليك قولك ويدحض حجتك من قرب قائلاً: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى[1]﴾؛ فالضّالون إذن هم عبدة الأوثان، إذْ قال ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾، لأنّ صاحبك لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا مجوسياً؛ وإنّما كان حنيفاً يعبد أساف ونائلة، الصنميْن اللذيْن كانت قريش تعبدهما والأحابيش، فلمّا منَّ الله عليه بمعرفة التوحيد، بالسبب الذي ذكرناه سالفاً، سأل ربه أن يُعيذه من صراط الضّالين الذين هم عبدة الأصنام. فإنْ ادّعيت وقلت إنَّ صراط الدّهرية والجرهانيّة والسماتية والبراهمة وغيرهم ممن أشبههم في المقالة واعتقاد الزنادقة هو الصراط المستقيم، وهم المنعم عليهم؛ قلنا لكَ: هذه المقالات أنت تعلم، وكلّ ذي عقلٍ وعلم، أنَّ صاحبك لم يسمع بها قطّ ولا عرفها ولا حضر المجالس التي يجاوب فيها عنها بل تعوّذ منها، ومن صراطهم، وإذْ قد تعوَّذت من صراط المجوس، وصراط اليهود المغضوب عليهم، وصراط عبدة الأصنام، الذين هم الضّالون؛ ولم يخطر ببالك صراط الدّهرية والجرهانيّة والسماتيّة والبراهمة. فما بقي إلاّ صراط المنعَم عليهم الذين هم النصارى، وهو الصراط المستقيم، وهداية رب العالمين، المنعَم عليهم بالمعرفة الكاملة بالله وكلمته وروحه، عزّ وجلّ، وبالسنن الحسنة والشرائع الروحانية. وما قلتُ، أصلحك الله، شيئاً لا تفهمه؛ وإنّما ذكرتك بما تعلمه، وإلاّ فهل تقدر أن تجحدنا حقنا هذا، الذي في أيدينا ولنا من النعمة التي أوتيناها وهو نور الإنجيل وهدايته، ما أقرّ لنا به صاحبك في كتابه، ولم ينكره وجميع الأديان، والأمم مقرّون مذعنون لنا به، لا يتهيأ لهم دفعه، ولا يمكنهم إبطاله. فأمعْنْ، يرحمك الله، النظر في؛ هذا الفصل من كتابنا، وردّد فكرك فيه كفعل من يريد نصح نفسه لا كفعل من يريد غشّها فإنَّ النّصيحة واجبة على الناس جميعاً، وهي على المرء لنفسه خاصة حقّ، والحق أحقُّ أن يُتَّبع، فلا ينبغي أنْ تبخسَ الحقّ حقه. أرشدك الله إلى الخير وهداك إلى الصراط المستقيم بحوله وقوته.

[ما عندي من أمر ديني]

[1] **سُورَةُ الضُّحَىٰ**: ٩٣/ ٧.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وأمّا قولك، يرحمك الله، أنْ أكتب بما عندي من أمر ديني، والذي صحّ في يدي منه آمناً مطمئناً لتبصر فيه وتجمعه إلى ما في يدك، فما أولاك بذلك، أصلحك الله، وما أجدرك بفعله، لأنَّ الحجة عليك أوجب منها على غيرك، لما قد فضَّلك الله به من العقل والتمييز، ولما عرفته ودرسته من الكتب واختبرته من المقالات، والحقّ أهم أنْ تفضّله ذوو العقول على الأمور كلها لجلالة مرتبته، لأنَّه ميزان الله سبحان ودستوره، ونحن نسأله تعالى أنْ يقبل بقلبك، وينير عقلك، ويفتح عين نفسك، لتنظر في ما يمليه علينا الروح القدس، نظراً ينفعك الله به في العاجل والآجل، كما نسأله عزَّ وجلَّ أنْ يفعل ذلك أيضاً بكلِّ من ينظر في كتابنا هذا بمنه وكرمه.

[نبوات العهد القديم]

فلنبدأ الآن بتطهير قلوبنا وأسماعنا وتقديس ألسنتنا بالإخبار عن أسباب البشارة الطّاهرة المقدسة، ونصدر بعض شهادات الأنبياء، الذين استودعهم الله سرّه وكلمهم بوحيه، وأمرهم بأنْ يخبروا الناس بما هو مزمع عليه من سابق علمه، وإكمال نعمه عندهم، وإتمام تفضّله عليهم، ببعث ابنه الحبيب الذي هو كلمته الخالقة؛ فاتخذ منه جسداً[1] بشرياً وصار إنساناً يجب له بذلك المجد والسجود والطاعة، من الملائكة والإنس والشياطين؛ والإذعان بالربوبيّة المتحدة والألوهية الحالّة فيه، وليعلم الناس مخاطبته إياهم شفاهياً مصرحاً أنَّه الله والحدّ المثلث الأقانيم آب وابن وروح قدسٍ إنّه واحد تامٍ فيستكملوا النعمة بالمعرفة، فيكون، جلّ وعزّ، قد أتمّ جوده عليهم وإحسانه إليهم، بتعريفهم سرّه المخزون وتكون حجته بالغة عليهم وتنقطع حجة المتعنت، ويضمحل قول القائل إنَّه لم يؤتَ المعرفة. وإنّ الأمر كان مستوراً عنه محجوباً دونه مرموزاً لا يفهمه، فحينئذ لا عذر لمن جحد الحقّ، ولا علّة لمن عانده كما قال بولس رسول المسيح «لينسد كلّ فمٍ ويصير كلّ العالم تحت قصاص من الله[2]» وقال الله، تبارك وتعالى، على لسان موسى في التوراة، في سفر الأول الذي هو سفر الخليقة: إن يعقوب المعروف بإسرائيل الله لمّا قرُبت وفاته دعا أولاده كلهم فباركهم، وأخبرهم واحداً فواحداً حتى انتهى إلى يهوذا، الذي من نسله وُلدت المغبوطة مريم، أم المسيح مخلص العالم، فقال: «يَهُوذَا لكَ تخضع إِخْوَتُكَ، يَدُكَ عَلَى أكتافِ أَعْدَائِكَ، يَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ شبل ليث يَهُوذَا، مِنْ فَرِيسَةٍ صَعِدْتَ يَا ابْنِي، جَثَا وَرَبَضَ كَأَسَدٍ وَكَلَبْوَةٍ من ينهضه، لا يَزُولُ القَضِيبُ مِنْ يَهُوذَا، والمدبّر

[1] انظر **يُوحَنَّا**: ١/ ٤.
[2] انظرْ **رُومِيَة**: ٣/ ١٩.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

من فخذه حتى يجيء الملك، وإياه تنتظر الشّعوب[1]». فانظرْ، أعزّك الله، في هذا الكلام نظــراً روحانيّاً، مستقصيّا بعين العدل والإنصاف وتفهمه، فإنّ منْ لم يتفهمّه لم ينتفع به، هل تليق هذه النبوّة من ذلك الشيخ المبارك إسرائيل الله وصفيه إلاّ على المسيح مخلص العــالم، لأنّــه هــو الخارج من يهوذا بإنسانيته وله خضع بنو إسرائيل لما دخلوا في دعوته، وصارت يــد الــروم التي هي يده على أكتاف من عاداه من بني إسرائيل، وجحدوا ربوبيته، وكفروا بــه، فقتلــتهم الروم ومزقتهم كلّ ممزق، فلا تقوم لهم قائمة، أبداً، ولا يزالون أذلاء إلــى الانقضــاء وزوال الدنيا، وهو الذي بُعث من بين الأموات حياً بعد ثلاثة أيام من صلبه، وهو الذي سجد لــه بنــو إسرائيل حيث رأوا الأعاجيب والآيات التي أظهرها بين أيديهم، وهو شبل الليث، لأنَّه ابــن الله القوي العزيز الجبار. لم تزل النبوة تترادف في بني إسرائيل حتى جاء المسيح رجاء البشــر، الذي أنبأت عنه النبوات كلها، التي كانت تهتف بالدلالة على مجيئه، وتشهد لظهوره، وتبشّــر بطلوعه؛ فلمّا جاء المسيح سيدنا، انقطعت النبوات عن يهوذا وبني إسرائيل، فلم يقمْ نبي بعــد مجيئه، وإياه كانت تنتظر الشعوب، وله كانت تترجى الأمم، وكما أنّه لا معنى لمجيء الرّســل بعد طلوع الملك عليهم، كذلك لا معنى للأنبياء بعد ظهور الإله المسيح، الذي هو بالحقيقة ملك كما سبقت الأنبياء وسمَّته ملكاً، وتنبأ زكريا النبي هاتفاً بصوته عن الرِّوح القدس علــى كلمــة الله تبارك وتعالى فقال «افرَحيْ[2] يَا بْنَتَ صِهْيَوْنَ! واهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ! هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِيــكِ باراً ومخلصاً ومتواضعاً ورَاكِباً عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ أَتَانٍ، فتهلل لمجيئه المراكــب مــنْ أَفْرَام والخيول مِنْ أُورُشَلِيمَ ويكسر قسيّ القتالِ ويخاطب الشعوب بالسّلام والأمــان»، فهــل، أصلحك الله، تصدق هذه النبوة إلاّ على المسيح، إنَّه جاء بالبر والخلاص والتواضع، ثــم أبــاد بمجيئه من بيت المقدس وأورشليم التي هي صهيون، جميع ما كان فيها من المراكب والخيــل المعدَّة للحرب وانكسرت القسيّ التي هي من آلات القتال ودالّة عليه وركب جحشاً ابــن اتــان تواضُعاً، وكلّم الأمم الذين هم الشعوب بالسلم والأمان، وأدخلهم في ميراث دعوتــه، وجعلهــم أبناء ملكوت السَّماء الذي هو موعد الله تبارك اسمه.

وهذا داود النبي، وهو لسان الله يقول مصرحاً: «الربُّ[3] قَالَ لِي، أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَــوْمَ وَلَدْتُكَ. اِسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأمَمَ مِيرَاثاً لَكَ وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكاً لَــكَ»، أيْ إنّهــم مزمعــون أنْ يدخلوا في دعوته وطاعته، وإنَّ سلطانه يمتد إلى أقاصي الأرض، وقال أيضــاً: «يَــا أَيُّهَــا[4] الْمُلُوك افهموا، ويا حُكّام الأرضِ اعلموا، اعْبُدُوا الرَّبَّ بخشيةٍ وسبّحوه بِرَعْدَةٍ، وأَقبلُوا الابْــنَ

---

[1] انظر **التَّكْوِين:** ٤٩/ ١٠ ــ ١٨.
[2] قابل **زكريا:** ٩/ ٩ و١٠.
[3] انظر **اَلْمَزَامِير:** ٢/ ٧ و٨.
[4] انظر **العَدَد:** ١٠ ــ ١٢.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لِئَلا يَغْضَبَ فتهلكوا بسخطه لأَنَّهُ عَمّا قَلِيلٍ يستشيط غَضَباً طُوبَى لِلْمُتَّوكِلِينَ عَلَيْهِ»، معنى ذلك، اقبلوا ما يأتيكم به الابن وهو المسيح ويقوله لكم بشفتيه ولسانه، فإنَّكم إنْ لم تقبلوا ذلك غضب فيهلككم بغضبه، لأنّه بعد قليل يشتد غضبه على اليهود الجَّاحدين لربوبيته، الذين لم يقبلوا منه ما قال، فهلكوا وبدَّد شملهم، وطوبى للمتوكلين عليه؛ أيْ المؤمنين به والمصدقين لقوله. وقال[1] أيضاً: «قَالَ[2] الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أجعلَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ لأنَّ الرَّبَّ يبعث عصا العزَّ مِنْ صِهْيَوْنَ ويسلّطك على أَعْدَائِكَ»، فافهم، أفهمك الله خير قول النبي داود هذا، فإنَّ فيه سراً يحتاج إلى معرفته كلّ ناظرٍ في كتابنا هذا ليصح عنده الأمر.. فأقول إنَّ عادة العبرانيين منذ عهد موسى، نجي الله، أنَّ الأحرف التي يكتبون بها اسم الله تبارك وتعالى أحرف منفردة لا يكتبون بها شيئاً غير ذلك، وهكذا كانت هذه الأحرف في اللوحتيْن اللذيْن دفعهما الله، تبارك وتعالى اسمه، إلى موسى النبي؛ ففي قول داود عن الله، عزّ وجلّ، قال الرب لربي، هما اسمان مكتوبان بالأحرف التي تسمَّى المنفردة، التي لا يُكتب بها إلا اسم الله تبارك وتعالى، فهذا عند اليهود والنصارى، وهما أمتان متعاديتان، لا اختلاف بينهما فيه ولا شكّ وذلك عن غير تواطؤ فافهم السر الذي أوعزه الله تبارك وتعالى إلى نبيّه، فإنَّك إذا وقفت الفكر فيه وجدته تصريحاً لقوله، قال الرب لربي، وقال في موضع آخر «الرَّبُّ[3] أَشْرَفَ مِنْ عُلْوِ قُدْسِهِ، مِنَ السَّمَاءِ ظهرَ عَلَى الأَرْضِ لِيَسْمَعَ أَنِينَ الأَسرى، ويُطْلِقَ المربوطَ من الْمَوْتِ»، ومعناه موت الخطيئة الذي هو عبادة الأصنام وانقطاع الرّجاء من موعد الحياة الدّائمة التي بشر بها المسيح مخلصنا أنَّه يعطينا إياها يوم القيامة، قال: «ليدارسوا فِي صِهْيَوْنَ اسْمِ الرَّبِّ وَبِتَسْبِيحِهِ فِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَما تجتمع الأممُ والملوكُ معاً لِعِبَادَةِ الرَّبِّ». فقد كملت نبوّة داود، وهذه أورشليم تجتمع فيها الأمم ويدارسون اسم الرّب، أيْ اسم الآب والابن والروح القدس الذي هو اسم الرَّب المخزون ويمجدونه بأنواع التماجيد وأصناف التسابيح بالألسن المختلفة، واللغات الغريبة آناء الليل والنهار، لا يملّون ولا يفترون ولا ينقصون ما يجب عليهم من حقّ عبادته بقصدهم إياها من البلدان الشاسعة وجميع أقطار الأرض البعيدة. فمن عاند هذا يا خليلي فما هو عند أهل الحقّ إلاّ جاحدٌ كافر، قد أعماه الجهل وطمس على قلبه بالحسد. وهذا إِشَعْيَاء المغبوط قد تنبأ بأعلى صوته، قائلاً: «قال الله تبارك وتعالى، تقوّي[4] أيتها الأَيَادِيَ الضعيفة، ويا أيتها الرُّكَبَ الْمُرْتَعِشَةَ تثبّتي. وقل لضعفاء الْقُلُوبِ تقوّوا ولا تَخَافُوا، فإنَّ إِلَهُكُمُ يجيء إلهاً مخلّصاً فيخلصكم، هناك تَتَفَتَّحُ أعين الْعُمْيان، وَآذَانُ الصُّمِّ تسمع، ويقفز المقعد في

---

[1] داود.
[2] انظر **المَزَامِير**: ١١٠.
[3] قابل **المَزَامِير**: ١٠٢/ ١٩ ــ ٢٢.
[4] انظر **إشعيا** ٣٥/ ٣ ــ ٦.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ذلك اليوم كَالايَّلِ ولِسَانُ البكيم يتكلّم»، وأنت، أرشدك الله، الحق تعلم أنَّ كتابك يشهد أنَّ المسيح الإله قد فعل هذا كله، وأنه أبرأ المقعد الذي كانت قد أتت عليه ثمان وثلاثون سنة فقال له «قُمِ![1] احْمِلْ سَرِيرَكَ واذهب إلى بيتك». فقام عاجلاً ومضى، وهو الذي ابرأ الأبرص والأخرس الأبكم المعتوه، المشروح خبره في الإنجيل الصَّادق وما جرى من قولِ اليهود الكفرة البهت عندما عاينوا برءه وخروجه سليماً من جميع العاهات التي كانت به وتقريع سيدنا إياهم ودحضه حجّتهم.

وقال إِشَعْيَاء النبي أيضاً في موضع آخر مشيراً إلى مولد المسيح «اسمعوا[2] يا بيت داود الرَّب يعطي علامة لشعبه هوذا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ» تفسيره إلهنا معنا، فأيّ شيءٍ يكون أكثر توضيحاً من هذا؟ فهذه بعض النبوات التي تنبأ بها الأنبياء عن مجيء السيد المسيح محيي العالم، وكنا نريد أن نزيد من الشهادات، ولكنّا كرهنا أنْ نطوّل كتابنا فيملّه القارئ وفي ما أتيناه كفايةً لمن لا يعاند الحقّ ويظلم نفسه

[الكتب اليهودية المقدسة غير محرفة]

وكأنّي بك، أصلحك الله، قد ذكرت التّحريف في هذا الموضع، واحتججت علينا بأننا حرَّفنا الكلم عن مواضعه وبدلنا الكتاب، وكأن هذا القول جعلته كهفاً لك تستتر به، وإنّي لأخبرك خبراً حقاً فاسمعه مني واقبله؛ فإنَّ قولي ليس قول باغٍ ولا حاسدٍ ولا متعنتٍ معاند، بل إنّما هو نذر مني لكَ، ونصح، إذْ كان ديني يوجب عليَّ نصيحة كلّ أحدٍ؛ فأنا بذلك مشفق عليك من كثرة الجهل وصرعته وخيمة وما أعلم أين سمعت قطّ بحجة أشد انقطاعاً وأوحش انفساخاً من حجتكم في باب التحريف والتبديل. وإنَّي لأعجب منك ومن نظائرك ممن فتش كتب مقالات الحقّ وكان له ذهن صحيح يميّز به كيف يجوز مثل هذا عليه، وأنت تعلم أنّنا نحن واليهود، الأعداء الكفرة الجاحدين لما جاء به نور العالم وضياء الدنيا المسيح سيدنا ومخلصنا، قد اجتمعنا عن غير تواطؤ على صحة هذا الكتاب، وأنه منزّل من عند الله لا تحريف فيه ولا تبديل، ولم تلحقه زيادة ولا نقصان. وإلاَّ فنحن ندعوك إلى واحدة هي نصفة لنا ولك آتنا أصلحك الله أنت أيها المدّعي علينا التحريف والتبديل، إنْ كنت صادقاً بكتابٍ غير محرَّف ولا مبدَّل، يشهد لك على صحة الآيات العجيبة كما شهدت الأعاجيب للأنبياء والحواريين حيث جاؤونا بصحة هذا الكتاب، فقبلنا ذلك منهم، وهو في أيدينا وأيدي اليهود بلا

---

[1] قابل **مَتَّى:** ٩/ ٦.
[2] انظر **إشعيا:** ٧/ ١٤.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

زيادة ولا نقصان. وإنّي أعلم أنّك لا تقدر على ذلك أبداً حتّى نأخذه منكَ أيضاً، كيف وكتابك يشهد بصحة ما في أيدينا شهادة قاطعة: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ[1]﴾، ثم فسَّر هذا القول وأكَّده، معترفاً لنا بالفضيلة التي أُوتيناها قائلاً ﴿الَّذِينَ آتيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ[2]﴾، فافهمْ، يرحمك الله، كيف قال وشهد لنا كتابك بحق التلاوة في موضع تكون فيه تلاوتنا، وقد أمر أن نُسأل ويُقبَل منا كل ما نقوله. فكيف تدّعي وتقول إنّه قد وقع منّا التبديل والتّحريف للكلم عن مواضعه؟ فهل هذا إلاّ حكمان متناقضان يتبيْن لكلِّ أحد السبب فيهما إذْ كنت تشهد لنا بحقّ التلاوة ثم تعود فتزيف شهادتك وتكذّب نفسك، وتقول بالتّحريف والتّبديل، فبهذا غاية المحال والشنّاعة، فإذا كنت لا تقدر أنت ولا غيرك أنْ تأتيَ بمثل الشريطة التي شرطناها، وهو ممتنع من إمكانك، فمالك والمباهتة؟ التي ليست من عادتك ولا أخلاقك. وتشنّع علينا وتقول إنّا حرّفنا الكتاب وبدّلنا تنزيل الله وغيَّرنا كلامه، ونحن نتلوه حقّ تلاوته كما شهد لنا صاحبك. فانصفْ واطلب رضا ربك، كما يجب على ذوي العقولِ، وانظرْ مَنْ هو المحرِّف والمبدِّل، أنحن الذين أخذنا الكتاب عن قوم جاؤوا به على صحته بالآيات والعجائب الإلهية الخارجة عن إمكان طبائع الآدميين، واتفقت عليه الأمم المختلفة الألسن والأهواء والديانات والبلدان البعيدة الذين لا يمكن أنْ يقعَ بينهم في مثله تواطؤ بحيلة من الحيل؟ أم الذي قبل كتاباً بلا حجة ولا دليل ولا شهادة عن نبي ولا ذكر أعجوبة تشهد له، وإنّما تناوله عن ناقل نقله بلسانه ولسان أهل بلده فقط، فجعل ذلك برهاناً له، وزعم أنَّ الكتاب الذي هذه حاله وقصته يجري مجرى فَلْق البحر وإحياء الموتى وإبراء الكمه والبرص وإقامة المقعَدين؛ وأخذه لذلك الكتاب عن قومٍ كانت بينهم الأحن والضغائن، وكلٌّ منهم زاد فيه ونقص وبدّل وغيَّر، واجترأ حتى نسبه إلى الله تعالى، وزعم أنَّه دليلٌ على نبوّة نبيّه، وأنَّه شاهد عدل له بأنَّه رسول رب العزة؛ ثمّ لم يرضَ بهذا بل تعدَّاه، وقال: من لا يقبل كتابي هذا، ويقول إنّه منزل من عند الله، وإنّي نبي مرسَل، قتلته وسلبته ماله وسبيت ذراريه واستبحْتُ حريمه. فقبل ذلك منه كرهاً وخوفاً وفرقاً لما توعَّده به من البلاء والشقاء، بلا حجة ولا برهان. فاجعلْ، أصلحك الله، عقلك هو الناظر والحاكم في هذا والمميز له، وانظرْ إلى ما يؤديك فألزمه واعتقده! فإنِّي واثقٌ بعقلك أنَّه يخلص لكَ ولا يغشك؛ لأنَّ تبارك وتعالى اسمه إنّما جعل العقل ميزان العدل، فاستعمل ما فضلك الله به! فإنَّك إنْ بحثت تدرك الحقائق بحول الله تعالى.

---

[1] **سُورَةُ يُونسَ**: ١٠/ ٩٤.
[2] **سُورَةُ البَقَرَةِ**: ٢/ ١٢١.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[حياة المسيح]

فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه من ذكر البشارة الطّاهرة؛ فنقول إنَّه قد صح عند ذوي العقول الأصلية، أهل البحث والتدقيق، وتقرّر عندهم بالقياسات والاجتماع عن غير تواطؤ، أنَّ النبوات التي أودعتها الأنبياء كتبهم عن الله، جلّ وعزّ، قد تمت وكملت عند مجيء المسيح المرتجى. فلننظرْ الآن في الآيات التي جاء بها المسيح سيدنا، الدّالة على سلطان ألوهيته، وقدرة ربوبيته؛ فنقول: إنّ أوّلَ ذلك ومبتداه أنّ الله الرحيم، المتفضّل على خلقه اختار من جنس آدم الذي خلقه بيده وشرفه بصورته وفضله بشبهه على الخلائق كلها، جاريةً عذراءً زكيّةً طاهرةً مقدّسةً نقيّةً لا عيبَ فيها، لا في نفسها ولا في بدنها، ليحلّ فيها كلمته وروحه، ويأخذ منها جسداً بشريّاً تاماً، فيتّحد به ويخاطبنا. وجعل المبشِّر لها جبرائيل رئيس الملائكة، ائتمنه على هذه البشارة وفضّله على سائر أجناد السّماء وأحلّه أشرف المنازل ببعثه إياه رسولاً إلى خيرته من ذرية آدم سيدة نساء العالمين مريم المغبوطة بنت يواكيم، والدة ربنا يسوع المسيح الإله المخلص؛ فجاءها مبشِّراً من عند الله مكرِّماً ومهنِّئاً وقال: «السّلام[1] عليكِ أيتها الممتلئة نعمة سيدنا معك» ولم يقلْ: «سيدي» بل جمع أجناد الملائكة كلها بقوله «سيدنا»، فمن سيد الناس والملائكة جميعاً إلاّ كلمة الله الأزلية،[2] التي خلقت السَّموات والأرض، كما قال داود. فافهمْ، يرحمك الله، هذا السرّ المخزون في كتب الله ودعْ عنك عماء الجهل والعصبية أنار الله عقلك وخلّصك من ظلمات الضّلال. ثم قال جبرائيل في إثر ذلك القول: «إنّك تحبلين وتلدين ابناً وتدعين اسمّه يسوع»، الذي تفسيره المخلّص «هذا يكون عظيماً وابن العليّ يُدعى، ويعطيه الرَّب الإله كرسي داود أبيه، ويكون ملكه على آل يعقوب إلى الأبد، ولا يكون له انقضاء»، فلمَّا خاطبها جبرائيل بهذا تعجبت من قوله، فردت عليه قائلةً: «من أين يكون لي هذا ولم يباشرني رجلٌ»، فأجابها جبرائيل قائلاً: «الرّوح القدس يحلّ عليك، وقوة العلي تظللك، ولذلك يكون الذي يولد منك قدوساً وابن العلي يُدعى»، ثم أعقب قوله ذلك بإعطائها الدليل لتزداد يقيناً ولا ترتاب ولا يكون للشكّ عندها موضع بقوله ثانيةً: «وهوذا أليصابات قريبتك قد حبلت بابن على كبرِ سنّها، وهذا هو الشّهر السّادس من حبل تلك التي كانت عاقراً»؛ فهذه أعجوبة البشارة التي لا تكون ولا يليق مثلها إلاّ بهذا السيد المخلّص. فأصغِ الآن لشهادة المخالف التي تؤكد الحجّة عليه، إذْ يقول صاحبك طائعاً مقراً ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا

---

[1] قابل **لوقا**: ١/ ٢٨ ــ ٣٦.

[2] [إن هذا المقطع: «السّلام عليكِ أيتها الممتلئة نعمة **سيدنا** معك» ولم يقلْ: «سيدي» بل جمع أجناد الملائكة كلها بقوله «**سيدنا**»، فمن سيد الناس والملائكة جميعاً»... لم أجد هذه القراءة في أي مكان.ــ **موير**.]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ واصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ واسْجُدِي وارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ... يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ * وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ[1]﴾. فهذا قول صاحبك، وشهادته وإقراره بالحقِّ مذعناً ومصدقاً، فهل تعلم، أصلحك الله، أو تذكر في ما قرأته من كتب المخالفين أحداً كان له في ابتداء أمره من البشارة مثل ما قصصنا عليك عن الله عزّ وجلّ في الإنجيل الطّاهر المقدس، وعن كتابك الذي تدعي أنت بصحته، وتقرّ بعدالته وشهادته، ثم إنّ مريم[2] الطّاهرة المباركة صارت إلى أم يحيى بن زكريا، وقد كانت هي وزوجها باريْن تقيين عندما حبلت بيوحنا، فلمَّا قرعت باب منزلها بالتسليم عليها على السنّة الجارية عندهم اضطرب الجنين في أحشائها فرحاً، وهتفت أمه بصوت عالٍ قائلةً: «مِنْ أَيْنَ لِي هذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ. مذ وقعَ صَوْتُ سَلامِكِ فِي أُذُنَيَّ، اضطرب الْجَنِينُ فِي بَطْنِي ساجداً فرحاً». ومن قول صاحبك في زكريا ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ المَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ[3]﴾، فعنى بذلك المسيح، كلمة الله وسيد ذرية آدم عليه السلام، فإن ﴿مُصَدِّقاً﴾ صفة ليوحنا، ولكن «كَلِمَةِ اللهِ وَسَيِّداً» ليست بصفة ليوحنا، لأنّه لم يؤمن بيوحنا أنّه كلمة الله ولا كان سيداً؛ فأمَّا حصوراً ونبياً ومن الصَّالحين؛ فأنت، أصلحك الله، إنْ لم تعسف الكلام وتحيله عن حقه، علمت علماً حقاً إنَّ هذا معناه.

ثم إنّه ظهر للمجوس في بلاد فارس الكوكبُ الدّالُ على ميلاد الملك العظيم، الذي لا زوال لملكه، وأنَّ له الملك بالحقيقة وكان علماؤهم قد سبقوا فأخبروهم بخبره في الكتب وعرّفوهم وقت ظهوره وأعطوهم الدليل على ذلك، والعلامة، ظهور كوكب يتقدمهم في المسير إليه، وقضاء بعض حقّ عبادته بالسّجود له، والخضوع لطاعته؛ فلم يزلْ المجوس

---

[1] **سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ:** ٣/ ٤٢، ٤٥ ــ ٥٠.

[2] قابل **لوقا:** ١/ ٣٩ ــ ٤٤.

[3] **سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ:** ٣/٣٨ ــ ٣٩. [يجعل المؤلف المقطع ﴿مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً﴾ منطبقاً على يسوع، بينما سياق الجملة يشير بوضوح إلى يُوحَنَّا.ــ **موير.**]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ينتظرون ذلك، ويتوقعونه راجين ومؤمّلين حتى جاء الوقت وظهر الكوكب،[1] الذي هو الدليل على ميلاد السيد العظيم؛ فجاءوا من بلاد فارس إلى بيت المقدس، الذي هو أرض اليهودية بهداية الكوكب، حتى وقف ببيت لحم، فقضوا الغرض وأدّوا حق الطاعة، ورأوا ما كانوا يؤملونه وانصرفوا مؤمنين، غير شاكين ولا مرتابين؛ بل فرحين مسرورين لما أهلوا له. ثم ظهر ملك[2] من الملائكة عند ولادته لقوم من الرعاة يرعون أغنامهم؛ فقال لهم عندما أشرق عليهم نور البشارة بميلاد السيد: «هَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لكم وللناس كافةً، أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ مُخَلِّصٌ يعني لأولاد آدم جميعاً، وهُوَ السيد الْمَسِيحُ الرَّبُّ والدليل لكم إنّكم إذا صرتم إلى الموضع، تَجِدُونَ طِفْلاً ملفوفاً في أطمار موضوعاً فِي مِذْوَدٍ؛ فلم يفرغ من كلامه حتى ظهرت لهم أجناد الملائكة مع ذلك الملك، وهي تطير ما بين السماء والأرض بتهليل وترتيل، وتهتف جميعاً بصوتٍ عالٍ وتسبح وتقول: «المجد لله في العلا وعلى الأرض السّلام، وفي الناس المسرّة والأمن والرجاء الصّالح للناس كافة»، ثم أقبل الرّعاة إلى ذلك الموضع مسرعين فوجدوا المولود ملفوفاً في أطمارٍ على ما أخبرهم به الملك، فصدقوا وآمنوا وأخبروا بخبرهم وما عاينوه من أجناد الملائكة، وما سمعوه من التسبيح العجيب. وقصّوا قصة مجيئهم فتعجب من ذلك كل مَن سمع. فهذه، أصلحك الله، قصة البشارة والميلاد على غاية الاقتصار من القول. فلنخبرْ الآن كيف كان ابتداء الدعوة؛ فنقول: لما أتت على سيدنا المسيح ثلاثون سنة وظهر يحيى بن زكريا بتلك المعمودية بماء نهر الأردن التي للتوبة صار إليه المسيح ليصطبغ منه. فلمّا رآه يحيى قال: «هذا حَمَلُ اللهِ الحامل خطايا الْعَالَمِ»،[3] ثم قال: «يا سيدي أنا محتاج أن أطّهر منك، وأنت صرت إلى لتتطهر مني»، فأجابه يسوع قائلاً: «دعْ الآن لأنّه هكذا يجب علينا أنْ نكملَ كلّ البر» ثم لم يزل مجتهداً حتى عمده فلمَّا صعد المسيح من الماء انفتحت أبواب السماء ظاهراً مكشوفاً تجاه العالمين، الذين كانوا هناك، فرأوا الروح القدس قد حلّ عليه في صورة حمامة، وإذا بهاتفٍ يهتف من السماء بصوت عال: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت»، فتعجب لذلك يحيى بن زكريا وجميع من حضر.

ثم ابتدأ المسيح في إظهار دعوة الناس بعد ذلك، إلى اليوم الذي طلع فيه إلى السماء، وحثَّهم على التوبة، ورفض الدنيا والزهد فيها، وترك الأهل والولد والأموال واللحوق به والترغيب في أعمال البر، والكفّ عن المآثم والتحبيب لاصطناع المعروف في كلِّ أحدٍ، وترك الضغائن والحسد، والطلب بالطوائل والأخذ بالثأر، وترك المكافأة عن الإساءة والصفح عنها، والتفضل على كل أحدٍ بما هو حسن، وأعلمهم أنَّ هذا يقرّبهم إلى الله تبارك اسمه،

---

[1] انظرْ **متَّى:** ٢/ ١ ــ ١٢.
[2] قابل **لوقا:** ٢/ ٨ ــ ٢٠.
[3] انظرْ **متَّى:** ٣/ ١ ــ ١٧؛ **ولوقا:** ٥٣/ ٢١ ــ ٢٢.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وحثَّهم على فعل ذلك ليستحقوا به جزيل الثواب وعظيم الأجر في دار المآب التي لا زوال لحياتها ولا انقطاع لنعيمها، وأنذرهم بالبعث والنشور، والقيام بعد الموت للحساب، والثواب والعقاب، فمن عمل صالحاً فله ثواب ذلك في ملكوت السماء، ومن عمل شراً فعليه العقاب في نار جهنم خالداً فيها أبداً وحقق قوله بعمله الأعاجيب، وصدق وعده ووعيده بالآيات الظاهرة، والعلامات الباهرة، والدلائل الواضحة التي لا يمكن للمخلوقين أنْ يأتوا بمثلها، وذلك بغاية الرفق والخشوع ومجانبة الفخر والبذخ اللذيْن هما من فعل الشيطان وأشباهه، وإظهار الرّحمة والمحبة والشفقة على الناس كافة، وبذله كل ما سئل أو طلب منه، لا يطلب على ذلك من أحدٍ أجراً ولا شكراً إلاّ تمجيد الله، وتحميده، والتصديق بأنَّ الله جلّ وعزّ قد أنجز وعده، الذي وعد على ألسن أنبيائه، وأكمل جوده وتفضله على آدم وذريته؛ إذْ بعث إليهم كلمته متجسداً، منهم وأنقذهم من ضلالة الشيطان، وسلطان الموت، وعرَّفهم نفسه: أنَّه إله واحد ذو ثلاثة أقانيم، آب وابن وروح قدس، فكان أوَّل ما دعاهم به قوله «توبوا[1] أيها النَّاس فقد دنا مَلَكُوتُ السّماء»، فأوعى في آذانهم ذكر التوبة والبعْث اللذيْن لا عهد لهم بهما، ولا يعرفونهما ورغَّبهم في ملكوت السماء ليعملوا أعمالاً يستحقون بها الدخول إليها، وزهَّدهم في الأفعال التي كانوا مقيمين عليها والرجوع عنها إلى الأمر الذي يوجب لهم مغفرة الخطايا.

وصام أربعين يوماً بلياليها، تخدمه فيها الملائكة وتتعبد له؛ وهو مجاهد في صومه كيد الشيطان، معرِّفاً للناس أنّ الله، تبارك اسمه، قادرٌ على أنْ يحيي الإنسان بغير خبزٍ ولا ماء، ممثلاً في ذلك حال حياتنا بعد الموت في القيامة، وأنَّه في ذلك الوقت ترتفع عنا الحاجات كلنا ونحيا بلا أكل ولا شرب.

ثم ابتدأ[2] في فرض الشّرائع والسّنن الرّوحانية، وتعليم النّواميس الإلهية التي تليق بالإله، ونفي الأمور الجسدانية؛ فكان من قوله في القتل «قَدْ[3] سَمِعْتُمْ ما قِيلَ للأولين: إنَّ منَ قتلَ يُقتل، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ، إِنَّ مَنْ غْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً فقد استوجب العقوبة، ومن عاب أَخاه فقد وجبت عليه لائمة الجماعة، ومن أساء إلى أخيه فقد استوجب نَارِ جَهَنَّمَ، ولا تغربن الشمس على أحدٍ وهو غضبان على أخيه»، ثم قال: «إذا كنت قائماً في صلاتك وتَذَكَّرْتَ أنَّ أخاك واجدٌ عليك، فاقطعْ صلاتك وأمضِ إليه مترضياً له، ثم أقبل وأتمم صلاتك»، فقطع بهذه الشريعة أصل العداوة وأسباب البغيضة التي تنمي القتل، ثم قال: «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لا "تَزْنِ!" وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: "مَنْ نَظُر إِلَى امْرَأَةٍ نظرة شهوةَ فَقَدْ زَنَى فِي قَلْبِهِ"»، فدلّنا بهذا أن الله جلّ ثناؤه عارفٌ بالظاهر والباطن، لا تخفى عليه خافية، وهو المكافئ على السرِّ علانية. ثم قال:

---

[1] قابل **مَتَّى**: ٣/ ٢.
[2] يسوع المسيح.
[3] قابل كلّ هذه الوصايا في **مَتَّى** الإصحاح الخامس والسّادس والسّابع.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

«قد سمعتم أنه قيل: "مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلاقها"، وأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: "مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ من غير فاحشةٍ أتتها فقد ألجأها إلى الزّنا، وَمَنْ تَزَوَّجَ مُطَلَّقَةً فهو زانٍ"». ثم قال في ذمّ الكذب: «قد سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: "لا تكذب في قسمك"، أمَّا أنا فأقول لكم: "لا تقسمن الْبَتَّةَ لا بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَا كُرْسِيُّ الله، وَلا بِالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلا بِأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الأعظم، وَلا بِرَأْسِكَ لأَنَّكَ لا تَقْدِرُ أَنْ تحدث فيه شَعْرَةً وَاحِدَةً سَوْدَاءَ أَوْ بَيْضَاءَ؛ بَلْ لِيَكُنْ كَلامُك: النَعَمْ نَعَمْ، واللا لا، وَمَا زَادَ عَلَى ذلِكَ فَهُوَ مِنَ الشّيطان"». ثم قال في ذم الأخذ بالطوائل والتّرغيب في الصّفح والامتناع من الانتقام: «قد سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: "العَيْنُ بِالعَيْنِ وَالسِنُّ بِالسِنِّ والجراح قصاص"، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: "لا تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الأيسر، وَمَنْ طلبَ أَنْ يأخذ قميصك فلا تمنعه رداءَك، وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِداً فَامضِ معه ميليْن، ومَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلا تَرُدَّهُ"»، فقطع بهذه الوصية سبيل الخصومات وبرّد نار الملاحمات، ورفع الشر القاطع بين الناس وقرّب بعضهم من بعض وجمع بينهم بالتحابب، وألان قساوة الغلظة، وآنس وحشتها، وجعل النّاس إخوة في الرحمة والشفقة. وقال في التفضل والإحسان: «قد سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: "أحببْ قَرِيبَكَ وأبغض عَدُوَّكَ، وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ! بَارِكُوا لاعِنِيكُمْ! وأَحْسِنُوا إِلَى مَنْ أساءَ إليكم! وادّعوا لمن اضطهدكم وساقكم كرهاً لِتَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ وتتشبهوا به، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأخيار وَالأَشْرَارِ، وَيُحدر قطره عَلَى الأَبْرَارِ والفجّار"» ثم قال مؤكداً لهذه الوصية ومرغباً فيها: «وَإِنْ كنتم تحسنون إلى مَنْ أحسن إليكم فأيّ أجرٍ لكم، أليس يفعل هذا السّفهاء؟ بل كونوا كاملين محسنين متفضلين كيما تتشبهوا الرّب الذي يمهلكم ويتفضّل عليكم». ثم قال في البر: «انظروا في صدقاتكم! لا تعطوها تجاه الناس، تزيدون بذلك براً منهم، فيضيع أجركم، لكن أنت أيها المتصدق أيّما تصدقت بصدقةٍ إياك أنْ تعلم شمالك ما صنعت يمينك، لكيما تكون صدقتك سراً، والحقّ أقول لكَ: إنَّ أباك الذي في السّماء يكافيك على صدقتك علانيةً». ثم قال: «وأنت أيها المصلي إذا أردت الصّلاة فلا تقفن في الأسواق وعلى ظهور الطرقات ترائي النّاس بصلاتك لكي يمدحوك. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إنْ فعلت هذا فلا أجر لكَ بل قد أخذت أجرك من الناس الذين مدحوك». ثم قال: «أيها المصلّي إذا أردت أنْ تصلي فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ، وصلِّ بين يدي أبيك سراً وأبوك الذي يعلم السرّ يكافيك علانيةً». ثم قال: «إذا صمتَ فلا تعبس وجهك وتضعف كلامك لكي ترائي الناس بذلك، فيضيع أجرك بمدحة الناس؛ ولكن إذا صمت فاغسلْ وجهك وادهنْ رأسك وقوِّ كلامك لكيما يخفى على الناس صيامك والحقّ أقول لكَ إنَّ أباك الذي إياه قصدت بصومك يجازيك». ثم قال في ذمّ الشّره والحرص والبخل: «لا تدّخروا ذخائركم حيث يصل إليها اللصوص والآفات، بل ادّخروها في السّماء حيث لا تصل اللصوص، وتأمنون عليها، حيث تكون ذخائركم فهناك تكون قلوبكم».

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ثم قال: «لا يَقْدِرُ العبد أَنْ يَخْدِمَ ربّيْن إلاّ بإكرام أحداهما واحتقار الآخَرَ، وكذلك لا تَقْدِرُونَ على خدمة ربّكم وخدمة الدنيا». ثم قال: «لا تَهْتَمُّوا بِمَا تَأْكُلُونَ وَلا بِمَا تَشْرَبُونَ، فإنّ عنايتكم بأنفسكم وخلاصها من الآثام والخطايا أفضل وأوجب عليكم من عنايتكم بأجْسَادِكُمْ، لأنَّ النفس أفضل من الجَسَد، إذْ كان لا قوام للجسد إلاّ بالنفس؛ ولكن تشبّهوا بطير السَّمَاءِ التي لا تَزْرَعُ وَلا تَحْصُدُ، وَلا تَجْمَعُ، بل تغدوا خماصاً وتروح بطاناً، لأنَّ أباكم الذي في السّماء يؤتيها رزقها. والحقّ أقول لكم إنّكم في الخليقة أفضل وأكرم عند الله منها، فلا تهتموا بما تقيتون به أجسادكم، بل اصرفوا عنايتكم إلى ما يرضي ربّكم، ولا تحملوا اليوم همَّ الغدِ، إنّما يكفي اليوم همّه، فلا تهتموا برزقِ الغد، لأنَّكم لستم خالقيه؛ وإنَّما خُلق لكم. فخالق الغد هو يأتيكم فيه رزقه، ولا يقولن أحدكم: إذا أقبل الشّتاء ماذا أكل؟ وماذا ألبس؟ وفي الصّيف من أين آكل؟ ومن أين أشرب؟ فإنَّ أباكم الذي في السَّماء يعلم إنكم تحتاجون إلى ذلك، وهو يؤتيكم إياه». ثم قال في اغتياب الناس: «لا تَدِينُوا ولا تعقبوا لكي لا تدانوا ولا تعقبوا؛ فإنَّ الدين الذي به تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي تَكِيلُونَ به يُكَالُ لَكُمْ، فما بالك أيها الإنسان ترى الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ وفي عَيْنِكَ خَشَبَةٌ لا تهمّك، أو تَقُولُ لأَخِيكَ دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى الذي في عَيْنِكَ، وفي عَيْنِكَ أنت سارية. أخرجْ أولاً السَّارية مِنْ عَيْنِكَ؛ وَحِينَئِذٍ تنظر في إخراج الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ». ثم قال في الطلب والتضرع إلى الله، جلّ وعزّ، ووعده بالإجابة: «اُطْلُبُوا تَجِدُوا! اِسْأَلُوا تُعْطَوْا! اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ! فإنَّ مَنْ سْأَلُ بنيّة صادقة أعطي، وَمَنْ طْلُبَ بإيمانٍ خالص وجد، ومن استفتح بقلب سليم فُتح له، من مِنْكم يسأله ابْنُهُ خُبْزاً فيُعْطِيهِ حَجَراً، أو يسأَلَهُ حوتاً فيناوله حَيَّةً. فَإِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ الأَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلادَكُمْ العَطَايَا الجَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاء عنده الخيرات ويأتي الحسنات والبركات، ويفيض نعمه على أوليائه وأهلِ طاعته، الَّذِينَ يَسْأَلُونَه بنيّة صادقة ويقين خالص». ثم قال في اصطناع المعروف إلى الناس: «كُلُّ مَا أَحببتم أنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوه أَنْتُمْ بِهِمْ، ولا ترضوا للناس إلاّ ما ترضونه لأنفسكم، فإن هذا هو كمال البر[1]»، ورضا الله عزّ وجلّ.

ولعلّ عايباً عاتيّا بقلة دينه، يعيب ألفاظ الإنجيل، ويقول في تسمية المسيح سيدنا الله تبارك وتعالى أبانا؛ فنجيبه في هذا بجواب مقنعٍ، ونقول: إنّ المسيح له العالم وسيده، أراد أنْ يحبّب طاعة الله إلى الناس ويقرّبها من قلوبهم، لتكون طاعتهم له بالمحبة والموّدة، لا بالقهر والرهبة، وأنْ يؤلِّف بين قلوبهم، ويُخرج العداوة منها، ويرفع ذكر التفاخر بالأنساب الذي أوقعه الشيطان بينهم، ويجعلهم متعارفين بعضهم ببعض بالإخوّة التي هم فيها كما هم في الطبيعة أجمع، إخوة لأب واحد وأم واحدة، وكذلك أحبَّ أنْ يكونوا في جميع الحالات ليس كما

[1] هذه الإشارة منقولة عن الإنجيل بالمعنى لا باللفظ.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فعل صاحبك حيث زرع البغضة بين الناس بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ[1]﴾. والسيد المسيح كان يخاطبهم ويقول لهم: أبوكم الذي في السموات يفعل بكم كذا وكذا، ويصطنع إليكم كيت وكيت؛ كلّ ذلك ليزرع في قلوبهم محبة بعضهم لبعضٍ فتنحل الضغائن، ويرتفع التفاضل. ولعمري، إنَّ الله، جلّ وعزّ، هو الآب الرحيم، المشفق، المتحنّن، المجمل؛ إذْ كان بدأ فخلقنا جوداً وإحساناً قبل أنْ نكونَ تفضلاً منه علينا وهو يقوينا ويرزقنا بنعمته. ويتفقَّدنا بجوده، ويتّعهد هفواتنا، ويغفر ذنوبنا، ويحتمل بكرمه، وطول أناته جهلنا، ولا يعجل علينا كما يفعل الأب المشفق على ولده. ثم «إذا[2] أدَّبنا، خلط بأدبه الرأفة والرحمة» فلا يصل إلى الغاية التي نستحقها بذنوبنا، فمن أحقّ وأوْلى أن يُسمَّى باسم الأبوّة الحقيقية من الله تبارك اسمه وتعالى ذكره، فلا حجة إذن للمنكر في إنكاره على المسيح سيدنا، حيث يسمّي الله أبانا. ثمّ قال في أداء الفرائض «فإذا[3] فعلتم ذلك كله فقولوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا أمرنا به»، وقد تحققت لنا أقواله ووصاياه بما كان يظهر لنا من سيرته أنّه كان صائماً مصلياً، لا بيت له ولا مأوى ولا شيء من القنية أكثر من ثوبيْن يواري بهما جسده؛ فقد قال له بعض السّائلين: «يا عظيمنا! أين منزلك لآتيك فيه؟»، فأجابه: «إنّ للثعالب[4] أوجرة؛ ولطيور السماء أوكاراً؛ وأمّا أنا فلا بيت لي ولا مأوى، حيث أدركتَ فهناك مبيتي، ومتى طلبتني وجدتني». لم يتكلم بإفك قطّ ولا همّ بخطيئة، ولا اقترف ذنباً، ولا ارتكب إثماً ولا قبيحة ولا أعاب أحداً، ولا أذاه، ولا منع طالباً، ولا ردَّ سائلاً، ولا أعرض عن مستغيث، كما سبق قول النبي فيه.[5] ثمّ أتبع ذلك فحقق قوله بالأعاجيب والآيات التي فعلها وكان يشفي المرضى الذين لا يعرف عددهم إلاّ هو تبارك اسمه، ويبرئهم من أدوائهم، ويكشف عن أسقامهم، ويهب لهم العافية، بكلامه طهّر البرص، وأخرج الشياطين، وبسط أيدي العُسم، وأحيا الموتى، الذين ماتوا وأتت عليهم الأيام الكثيرة مثل لعازر أخي مريم، ومرثا، ومثل ابنة يايروس رئيس الكهنة، وعبد العامل، وابن أرملة،[6] وغيرهم. وأخبر بالغيب، وبما تخفيه صدورهم، وتكنّه أفئدتهم، وبكلمته أبرأ المفلوج، وأمر المقعد الذي أتت عليه ثمان وثلاثون سنة زمناً أنْ يحملَ سريره على عاتقه ويمضي محاضراً، فكان ذلك؛ ونادى الشياطين، فأجابته مذعنة لأمره، طائعة لربوبيته، مقرَّةً أنّه كلمة

---

[1] **سُورَةُ التَّغَابُن:** ١٤/٦٤. [على أي حال يجب ملاحظة أنّ الآية المستشهد بها هنا لا تؤكد الحجة، فقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾: تعني، بكل تأكيد أنهم كانوا خطرين لأنهم على الأرجح يضلون المؤمنين عن الطريق القويم، مثل **لُوقا:** ٢٦/١٤.ــ **موير.**]

[2] قابل **عبرانيين:** ١٢/ ٥ ــ ١١.

[3] قابل **لُوقا:** ١٧/ ١٠.

[4] قابل **مَتَّى:** ٨/ ٢٠.

[5] **إشَعْيَاء،** الأصْحَاحُ ٥٣.

[6] نايين.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الله الحي، وأنّه هو الذي يبطل سلطانها، وتسأله أنْ يذهل عنها. وغفر الخطايا وعفا عن الذنوب بالكلمة الخالقة الممجدة بروح القدس الحالّة فيه، وفتح أعين الأكمه، المعروف بالعمى على طول الأيام. وخلق لبعضهم الأعين من الطين المجبول بريقه قدرةً منه على الخليقة. وأشبع من خمس خبزات وسمكتيْن خمسة آلاف رجلٍ خلا النساء والصبيان، وفضّل من ذلك اثنا عشر مناً كسراً، وكان مباركاً حيث كان. وغيَّر الماء المصبوب في ستة أجاجين خمراً وذلك في عرس الجليل. وتباركت به الصبيان ونادت به الأطفال. ولعن شجرة التين فجفت من ساعتها. وزجر أمواج البحر في شدة الريح فانتهت. ومشى على الماء ظاهراً. وتجلى لتلاميذه في الجبل مع موسى وإيليا النبييْن، وخبَّر السامريّة بخبرها مع الأزواج. وأبرأ المرأة التي كان بها نزيف دمٍ منذ اثنتي عشر سنة، وذلك بمجرد لمسها ثوبه، وظنت أنّه لا يعلم بها، فعلم بالقوة التي خرجت منه، وقال للجماعة: «من لمس ثوبي؟»، وأتت المرأة وسجدت له، وأقرَّت بما فعلت؛ فقال لها: «إيمانك شفاك، امضي بسلام وكوني بريئةً من عللك!». وأمر الشّياطين أنْ تدخلَ في الخنازير وتغرق في البحر، فأجبت وانتهت إلى طاعته. وفعل أفعالاً كثيرة لو نسق جميعها الرسل لطال الكتاب بها؛ وقد تركنا أيضاً كثيراً منها لئلا يطول كتابنا هذا. ولأنّني أعلم أنّك قد قرأتَ الإنجيل المقدَّس حيث كان ما أثبته التلاميذ من ذلك منسوقاً فيه ومن قول صاحبك وشهادته: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[1]، فكيف يحيل عليك، أصلحك الله، أنَّ هذه الأفعال ليست إلهية؛ ولا يحيل ذلك إلاّ على من أظلم عقله بالجسد، وأعمى بصره بالغيرة، ومَنْ حملته محبة الدنيا على إهلاك نفسه، ومن اتّبعه بالإفك. وكل ذي لبٍّ ناصحٌ لنفسه إذا هو نظر في كتابنا هذا، وتصفّح هذه الأمور بعين الحقّ والنصفة وقاسها بأفعال صاحبك تبيَّن له الحق من الباطل، وإن كان لا يقاس بأمر المسيح شيء من الأشياء بالبهت والكذب والدّعوى الباطلة. ونحن نعلم، وأنت، أنَّ أفعال المسيح ليست من أفعال البشريين؛ وأنَّ أمر صاحبك قد تهيأ لجماعة من الناس ممن قد رأينا وسمعنا به من المُلُوك المتقدمين في سائر الأزمان. فإنْ قلت إنَّ الأنبياء كانت تفعل الأشياء المعجبة التي ليس في قدرة العالمين أنْ يفعلوا مثلها، مثل موسى وغيره، قلنا لك: إنَّ الأنبياء كانت تفعل ذلك، لكن بعد التّضرع الشديد، والطلب الطويل، والمسألة الملحفة، لا بالقدرة القاهرة، والأمر النافذ، الذي لا مرد له، ولا شيء يعتاص عليه أو يضاده، مثلما كان يفعل سيدنا المسيح؛ لأنَّ أولئك إنَّما كانوا يفعلون الشيء المعجز، كما يفعل العبيد المشفقون بحسب الطّاعة لإنفاذ الأمر الذي وجِّهوا به وتبليغ الرسالة. وأنت تعلم أنَّ موسى قبل فلق البحر لبني إسرائيل ما زال مصلّياً راكعاً ساجداً طالباً، حتى قال الله له لِمَ تصلّي: «قم[2] فاضربْ البحرَ بعصاك فإنَّه ينفلق بين

---

[1] **سُوْرَةُ البَقَرَةِ:** ٢/ ٨٧.
[2] قابل **خروج:** ١٤/ ١٥ و١٦.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يديك»، هكذا تجده في التوراة. وكذلك يَشُوع بن نون، وإيليا، وأليشع كانوا يتضرعون ويطلبون في صلواتهم؛ فعند ذلك يُؤذن لهم في عمل الآية، وذلك بعد المسألة الملحفة، على أنَّ بعضاً دعا وصلّى وتضرع فلم يُجَب مثل موسى، نجي الله، فإنّه تعالى قال له لا أدخلك أرض المواعيد، وهي بلاد الشّام، لأنّك لم تصدقني، ولم تقدّس اسمي أمام بني إسرئيل، وذلك في المكان المعروف بماء الخصام لضربه الصخرة ضربتيْن؛ فحرمه من دخول أرض الميعاد. ومثل إِرْمِيَا المغبوط في الأنبياء، قد دعا، فقال الله، عزَّ وجلّ «إني لا أسمع دعاءَك ولا أقبل صلاتك».

فأما سيدنا يسوع المسيح، الذي هو الابن الحبيب كما شهد أبوه له قائلاً «هذَا[1] هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» فإنّه فعل الأشياء بالقوة القاهرة، التي هي الكلمة الخالقة للسموات والأرض المتحدة به، فهل يقدر مخالف أنْ يتعنّتَ أو يبطلَ هذا القول إلاَّ بالحسد والمعاندة للحقِّ، والافتراء على الله الآب، وكلمته، وروح القدس، مثل من يقول: إنَّ الشمس مظلمة، والنار غير محرقة، فباهت بذلك العيان وكفاه بهذا خجلاً.

[رسالة الحواريين]

وإذا قد نقلنا بعض شرائع المسيح سيدنا، وأخبرنا ببعض عجائبه. لنذكرْ الآن كيف اتّخذ تلاميذه الحورايين، وبعث بهم إلى أهل العالم دُعاةً إلى الحقّ؛ فنقول إنّه اتخذ قوماً أميين، لا علم لهم ولا معرفة، ولا شرف ولا حسب، ولا أيسار، صيّادي سمك وعشّاري خراج، ففتح قلوبهم وملأها نوراً وحكمةً، فقهروا بذلك كل فيلسوف حكيم وفاقوا كل طبيب ماهر، وتذلل لهم كلّ ملكٍ عزيز، وسلطان شديد، وكل جبار عنيد، ودخل في طاعتهم كل شريف وحسيب، وافتقر إليهم كل غني حتى دان لهم ذوو الأيسار، وأقرّ لهم كل ذي علمٍ وفهمٍ وانقطع عند حجتهم كلّ ذي بلاغة، ودانوا لهم بالطّاعة، وأقرّوا لهم بالإجابة غير منكرين ولا جاحدين؛ بل قائلين بالفضل الذي أوتوه، ومعترفين لهم بالنعمة التي ظهرت عليهم، والأيد الذي أيّدوا به، وتلك الآيات العجائب التي أظهروها حين قال لهم «اذهبوا[2] فادعوا الأمم إلى حياةٍ الأبد، وبشرّوهم بالبعث والنّشور وقيامة أجسادهم، وفيها أرواحهم وتخليصهم من سرّ الموت، وفكهم من سلطانه، وإطلاقهم من حبسة الذي هم فيه، وقد أعطيتكم على تحقيق ما تضمنون لهم من ذلك القدرة على فعل الآيات والعجائب مجاناً، أعطيتكم مجاناً، أعطوا لا تأخذوا ذَهَباً وَلا فِضَّةً

---

[1] **مَتَّى:** ٣/ ١٧.
[2] قابل **مَتَّى:** ١٠، **ولوقا:** ١٠/ ١ ــ ١٠.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

من أحدٍ! تضعون أيديكم على المرضى فيبرأون، والموتى فيحيون باسمي، ليعجب العالم منكم ويكون لي حجةً عليهم»؛ فساروا بسيرته وبلغوا ذلك وبشَّروا الناس بالرحمة والمغفرة ودعوهم إلى الحقِّ مجتهدين غير مفترين ولا مستأثرين لشيء من الدنيا، وعدة هؤلاء سبعون رجلاً الذين وجَّههم قبل ارتفاعه إلى السماء بالكرامة والمجد. واختار اثني عشر رجلاً كانوا ملازمين له، وهم حواريوه وتلاميذه المشاهدون لكلّ أموره في كلِّ أحواله، وهم الناقلون أخباره بالحق والصدق إلى الأمم، وكانت مخاطبته إياهم وعهده إليهم قائلاً: إنَّ الذي يعمل ويعلّم هذا، يُدعى اسمه كبيراً في ملكوت السَّموات وعظيماً، وإذا أنتم طلبتم فاطلبوا المغفرة لخطاياكم، والرّحمة، وملكوت السماء، والعمل بالبر، ولا تكثروا الخطب والتعديد وتشغلوا قلوبكم بطلب الرزق الذي قد كُفيتموه؛ فإنَّ أباكم الذي في السماء أعلم بحوائجكم وما يصلح لكم، ولكن إذا دعا أحدكم فليدعُ هكذا[1]:

«أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ. لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ. أعطنا خُبْزَنَا كَفَافَنَا يَوماً فَيَوماً. واغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وخطايانا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ لِمَن أساءَ إِلَيْنَا. وَلا تُدْخِلْنَا فِي التَّجَارِبِ. لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ، لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ والْقُوَةَ، والْمَجْدَ، إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ».

ثم قال لهم: «إنّي موجهكم مثل الحملان بين الذئاب،[2] ولكنّي مؤيدكم. فكونوا حُكماء في أموركم! وإذ قدمتم إلى السّلاطين والحكام والقضاة فلا تهابوهم! ولا تميلوا عن الحقّ معهم! ولا ترهب قلوبكم عند مخاطبتكم إياهم بالمواعظ، لأنّهم لا يملكون لأنفسكم ضراً، وإنما سلطانهم على أجسادكم فقط، فاصبروا إذا ألجؤوكم إلى الحبس والضرب والقتل واذكروا من له سلطان على أنفسكم وأجسادكم معاً، لأنّه هو القادر على أنْ يميتكم ويحييكم ويعذبكم ويعفوا عنكم، ولا تهتموا بما تكلمونهم وتحاجون به؛ فإنّي معطيكم في الوقت من الحكمة بالروح القدس ما تحتاجون إليه واعلموا أنَّ من جحدَ دعوتي وأنكر البشارة باسمي أنكرته يوم القيامة، إذا وقف مع الخلائق بين يدي للحكم والقضاء، ومَنْ أقرّ بدعوتي، والبشارة باسمي بين يدي النَّاس ولم يجحد ذلك، ولم يكتمه، قررت به أنَّه من أوليائي يوم الدين إذا وقف مع الخلائق بين يدي، ثم قال لهم عليكم بالتّواضع فطوبى[3] للمتواضعين! طوبى للمطهرة قلوبهم! كونوا رحماء! فطوبى للرحومين! فإنَّهم يستحقون الرّحمة من ربهم. ثم قال لهم: صلوا من قاطعكم! أعطوا من منعكم! أحسنوا إلى من أساء إليكم! سلموا على سبّكم! صالحوا من بغضكم! اصفحوا عمّن

[1] قابل **متَّى**: ٦/ ٤ ــ ٧.
[2] قابل **متَّى**: ١٠/ ١٦ ــ ٣٣.
[3] قابل **متَّى**: ٥/ ٣ ــ ٩ و٤٤ ــ ٤٦.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أهانكم! أنصفوا من خاصمكم! واعفوا عمّن ظلمكم كعفو الله مولاكم عنكم! فإنّكم إذا لم يرحم بعضكم بعضاً، كيف يرحمكم الله؟ وإذا لم تحسنوا إلى الناس، كيف يحسن الله إليكم؟ كونوا متفضلين حتى يجود الله عليكم! فحقاً أقول لكم، كما تفعلون كذلك يُفعل بكم. ثم قال: إنَّ[1] ضوء الجسد عيناه، فإنْ كان البصر مستضيئاً استضاء الجسد كلّه، وإنْ كان البصر مظلماً كان الجسد أيضاً في الظلام؛ كذلك العبد إذا كان عالماً بربه أبصر ذنبه، وإذا كان جاهلاً بربه عمي عن ذنوبه، وكما أنَّ لا قوام للجسد إلاّ بالنفس الحيّة، كذلك لا قوام للدين إلاّ بالنيّة الحسنة الصّادقة. وإياكم والنظر إلى عيوب[2] الناس، وأن تعاتبوهم على صلاحها؛ لكن أبدأوا بإصلاح عيوب أنفسكم وغطّوها بأفعالكم، لا تعطوا القدس للكلاب! ولا تنشروا دركم قدّام الخنازير! ولا تذكروا الحكمة للسفهاء! ولا تتكلموا بها عند المظلمة قلوبهم من خوف الله. ثم قال: ما أسهل[3] السبيل التي تؤدي إلى العطب والهلاك، وما أوسعها وأعمرها! وأكثر سالكيها! وما أثقل السبيل التي تؤدي إلى الحياة! وما أبطأ سالكيها وأقلّ عامريها![4] احتفظوا من الكذابين! واحتراسوا من المرائين على ظهورهم ثياب الصّوف كالحملان؛ وهم من داخل كالذئاب الخاطفة، يُعرفون بسيماهم. هل يجتني من العوسج عنب أو من الحنظل تين؟ كذلك لا ينتفع بقولٍ ولا بموعظة من مثل هؤلاء. واحذروا من الأنبياء الكذبة، الذين يأتونكم بعدي بلا آية ولا حجة بل بالسيف والمغالبة. أمضوا![5] فادعوا النّاس إلى حياة الأبد! وعلّموهم ما علمتكم من الحكمة الرّوحانية! وخبّروهم بما رأيتموه مني وأهدوهم في هذه الدنيا الفانية الغرارة! ورغبوهم في دار الآخرة! وأعلموهم إنَّ الله، تبارك وتعالى، باعث من في القبور ومحيي الموتى، ومدين الخلائق! فمن عمل صالحاً ورث الحياة الدائمة، التي لا موت يقطعها في ملكوت السمّاء، وجوار رب العالمين الذي لا شيء أفضل منه مع الأمن والعافية، في نعيم لا يزول ولا ينقضي. فمن أفسد، ولم يسمع قولكم وكذب بشارتي وجحد دعواي وناصبها بالنقض والمخالفة والعداوة والمعاندة فجزاؤه يوم الدين نار جهنم التي لا تنطفئ، خالداً فيها والعذاب الدائم الذي لا انقضاء له، وغضب الله وسخطه الذي لا رضا بعده؛ فمن ردّ دعوتي فقد ناصب الله وردّ أمره. وقد أعطيتكم من الأيد والسّلطان والقوة والقدرة ما يحقق للناس دعوتكم، لتكون الحجة البالغة عليهم. ضعوا أيديكم على المرضى[6] الميئوس منهم فيبرأون باسمي. ونادوا الموتى فيحيون. وأخرجوا الشياطين من الناس. وافتحوا أعين العمى وطهّروا البرص. فلا شيء يعاندكم، ولا

---

[1] قابل **مَتَّى**: ٦/ ٢٢ و٢٣.
[2] **مَتَّى**: ٧/ ١ ــ ٦.
[3] قابل **مَتَّى**: ٧/ ١٣ و١٤.
[4] قابل **مَتَّى**: ٧/ ١٥ ــ ٢٠.
[5] قابل **مَتَّى**: ٢٨/ ١٩ و٢٠.
[6] قابل **مَتَّى** ١٠/ ٨.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يقاومكم. وكلّ ما ربطتموه[1] على الأرض كان مربوطاً في السَّماء؛ وكلّ ما حللتموه كان محلولاً، حتى تتير دعوتي في جميع[2] الأرض ولا يكون موضع خالياً من دعوتي، لأنَّها إلى الناس كافة، لأنها نعمة مبثوثة على جميع ذرية آدم. فمن دخل فيها حظّ نفسه، وربح وأمن وسلم وفاز وغنم؛ ومن ضلّ معرضاً خاب وخسر. ها أنا ذا موجهكم بلا سوطٍ، ولا عصا، ولا سيفٍ، ولا سلاحٍ، ولا ملك، لا جنود، ولا قهر، ولا مجاهدة، ولا مقاومة، ولا مجاحفة، ولا جدال، ولا مناظرة، ولا اضطهاد، ولا عنف، ولا ترغيب في ملك، ولا ملذات الدنيا وشهواتها، ولا تسهيل في السنن. فنادوا في الناس وادعوهم إلى التّوبة والخروج عن الأهل والولد والأموال والنعيم ورفض الدنيا، والتذلل، والخضوع، وصححوا قولكم، وضمانكم لهم ملكوت السّموات بالآيات المعجبة، التي أعطيتكم السلطان والقدرة على صنعها، وخبروهم خبر البعث والوعيد! ورغبوهم في الثواب! وحذّروهم من العقاب، ولا تأخذوا ذهباً ولا فضة! ولا تريدوا من أحدٍ أجراً ولا شكراً! كلوا من كدِّ أيديكم! وما فضل من قوتكم تصدقوا به على المساكين! ولا تدخروا للغد! وامنحوا الناس منحتكم بلا غشٍ ولا غلٍ! وأعطوهم من ذلك مجاناً كما أعطيتكم. لا تمنعوا طالباً ولا تردوا سائلاً! وأسعفوا الناس جميعاً! وابذلوا لهم المجهود من أنفسكم! سيروا بالبشارة ولا تفتروا! فإنَّ ملكوت السّماء قد دنت، وها أنا[3] معكم ومع كلّ من دعا باسمي جميع أيام الدنيا إلى انقضاء الدهر. ثم إنّه أراد أنْ يكملَ التواضع إلى الغاية القصوى، فلم يمتنع من أيدي الكفرة حتى نالوا منه ما نالوه من صلبه على خشبة؛ وهو مع ذلك يقول «يَا أَبَت[4] اغْفِرْ لَهُمْ! لأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ مَا يَفْعَلُونَ» ثم مات بجسده؛ وأقام على الصليب إلى وقت الغروب من يوم الجمعة، ثم أُنزل ودُفن، وأقام في القبر إلى صبيحة يوم الأحد، ثم انبعث حياً بلاهوته، وتراءى[5] للنّسوة اللاّتي جئن إلى قبره زائرات. وظهر بعد ذلك لحواريه، مرةً في الجليل ومرتيْن في الغرفة التي كانوا فيها نزلاً، ومرةً في الطريق وبعضهم ماضٍ إلى القرية التي تُدعى عمواس، ومرة على شاطئ البحر وهم يتصيّدون السّمك، وأكل معهم عدة مرار كل ذلك في خلال أربعين يوماً. وكان يجدد عليهم الوصية ويذكرهم العهود التي عهدها إليهم، ويخبرهم أنّه سيوجه لهم البارقليط الذي هو الروح القدس لتأييدهم؛ فلم يزالوا كذلك إلى أن صعد[6] إلى السماء صعوداً ظاهراً مكشوفاً بحضرة من كان حاضراً في ذلك الوقت، وهم ينظرون إلى أبواب السّماء مفتحةً وقد نزلت الملائكة ورفعته بالتمجيد والتهليل والتسبيح، وهي

---

[1] قابل **يُوحَنَّا**: ٢٠/ ٢٣؛ **ومتى**: ١٩ و٢٠.
[2] **مَتَّى**: ٢٨/ ٢٠.
[3] قابل **مَرْقُس**: ١٦/ ١٥.
[4] قابل **لُوقا**: ٢٣/ ٣٤.
[5] قابل **مَتَّى**: ٨/ ٩ و١٠؛ **ومرقس**: ١٦/ ٩.
[6] قابل **لُوقا**: ٢/ ٥١؛ **وأعمال**: ١/ ٩ ــ ١٢، **ومرقس**: ١٦/ ١٩.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تخاطب وتقول: أيّها الناس ما بالكم تنظرون متعجبين حائرين، هذا يسوع المسيح ابن الله الوحيد قد صعد إلى السماء ممجداً، وهو مزمع أنْ يأتي ثانيةً في آخر الأيام، فيُرَى نازلاً في ذلك الوقت كما ترونه السَّاعة صاعداً، ليبعث مَنْ في القبور، ويدين الخلائق، ثم غاب عنهم وغابت الملائكة معه. وذلك الجبل الذي صعد منه هو جبل الزيتون من بلاد الشّام معروف مشهور بهذه الصّفة إلى هذا الوقت.

فلنذكر بعد هذا شهادة المخالف، إذْ يقول معلناً ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ[1]﴾؛ فهذا، فتح الله عقلك إلى الصّواب، قول صاحبك واعترافه وشهادته عن الله، كما أدّعى وادّعيت له، فتثبت في النّظر! وانصح لنفسك في الاستقصاء! ولا تَمِلْ إلى غير الحق! فإنك إنْ أنصفت ظهر لك أبيض النور وتلألأ الحق.

ثمّ لمّا كان بعد صعوده إلى السّماء بعشرة أيام، كان الحواريون مجتمعين في الغرفة[2] التي كانوا ينزلون فيها معه إذ سمعوا هادة عظيمة شديدة، وتجلّى عليهم الروح القدس، الذي هو البارقليط، فصار على كل رجلٍ مثل اللسان من النار؛ فجعل يتكلم بلسان البلد الذي وُجِّه ليبشر فيه بالمسيح مخلّص العالم ومنقذه، ويدعو أهل ذلك البلد إلى النّصرانية ويخاطبهم بلسانهم، ويريهم الآيات المعجزة، فعند ذلك تفرّق الحواريون، كل رجلٍ منهم إلى البلد الذي نُدب إليها، وأُعطي معرفة لسانها وكلام أهلها، وكتبوا الإنجيل الطّاهر، وجميع أخبار المسيح وأقاصيصه بكلّ لسان عن إملاء الروح القدس، فدانت لهم الأمم، واستجابوا لقولهم، ورفضوا هذه الدنيا ومالوا إلى الأمر الواضح، وتركوا أديانهم ودخلوا في النصرانية، عندما أشرق لهم نور الحقّ وتلألأ نور البشارة، فأيقنوا وآمنوا مصدّقين غير مرتابين ولا شاكين، حيث ميّزوا الحقّ من الباطل والكفر من الإيمان والهدى من الضّلالة والرّشد من الغي. ورأوا الأعاجيب والآيات الباهرة والدلائل الواضحة، والسيرة الحسنة المشبهة لسيرة المسيح، التي آثارها قائمة ثابتة حتى اليوم والساعة، فنحن الذين قبلناه منهم، ولم نزد فيه ولم ننُقص منه، وعليه نحيى وعليه نموت ونُبعث حتى نقوم به بين يدي المسيح سيدنا يوم نقف بين يديه إذا هو دان الخلق جميعهم؛ ليس هذا كسيرة صاحبك، وسيرة أصحابك الذين لم يزالوا يتقدمون في القتل والنهب

---

[1] **سُورَةُ آلِ عِمْرَان:** ٣/ ٥٥ ــ ٥٨.
[2] قابل **أعمال:** ١/ ١٣، و٢/ ٢ ــ ١٣.

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والخبط بالسيوف وسبي الذراري، والتغلّب على البلدان ونهب الناس أموالهم، وهتك حريمهم واستعباد الأحرار، وهم في هذه الحال إلى هذه الغاية يحملون الناس على المحارم وعلى مساوي الأخلاق، حتى تعلموا، فقالوا في ذلك ما لم تفعلوه، مثل قول عُمرِ بن الخطّاب: «**ألا من كان جاره نبطياً واحتاج إلى ثمنه فليبعه**».[1] ومثل هذا كثير مما يشاكله من القول والفعل. وهذا خلاف ما كان يفعله سمعان وبولس من إبراء المرضى بأمرهما وطلبهما؛ وإقامة الموتى باسم المسيح سيدنا.

[لا حاجة للمعجزات بعد الآن]

وإنْ قلت: ما بال الرّهبان لا يفعلون اليوم من الآيات والعجائب والجرائح مثلما كان الحواريون يفعلون حيث توجهوا إلى البلدان؟ رجعنا إليك بالجواب، وقلنا: إنّهم لمّا مضوا للبلدان للدعوة واجتذاب الناس إلى الإقرار بربوبية المسيح، احتاجوا عند ذلك إلى كثرة الآيات وتواتر العجائب لتصحّ دعوتهم، وليعلم الذين يدعونهم صحّة دعواهم. فليس الرّهبان اليوم دُعاةً، وإنْ كان كثير منهم يتكلّفون فعل ذلك لدى الخواص خفية، ليُعلم أنَّ تلك النعمة ثابتة فيهم باقية، فإذا جرى لهم أمر احتاجوا إلى إظهار قوتهم للعامة أظهروها، ليُعرف ذلك من أفعالهم في المشرق والمغرب حيث حلّوا. ولو أنَّ الرهبان تكلفوا إحياء كل ميتٍ وإشفاء كل مريضٍ في كل وقت لم يمت أحد، ولم يكن للقيامة رجاء، ولا للدنيا زوال، وكان في ذلك تكذيب لوعد الله تبارك وتعالى ووعيده في الآخرة. وإنّما يفعل الرّهبان ما يفعلونه ويجري على أيديهم الواحد بعد الواحد ليزدادوا ثقةً، لما هم فيه من ذلك التعب والنصب، وليعلموا كيف مرتبتهم عند الله في طاعتهم ليلهم ونهارهم. وأيضاً فمن قصدهم بقلبٍ سليمٍ ونيّة صحيحةٍ وأتاهم مستغيثاً فبصلواتهم وبركة دعائهم أدركوا طلبتهم. وأيضاً لو كانت الآيات والعجائب تظهر لدى التَّجارب كما ظهرت للأولين، كانت دائمة كما كانت في أيام الجهل وعدم الأدب لمَّا كان للناس في إيمانهم وطاعتهم حمد إلاّ كحمد الدواب التي لا تستغني في الاستقبال بها، والاستدبار عن اللجم والضرب بالعصا، لكن إذْ فضّل الله تبارك اسمه جوهر الإنسان على البهائم وأنعم عليهم بالعقل والتمييز، كلّفهم استعمال رأيهم في إحراز علم ما غاب عنهم من برهانٍ الحقّ عن دينه. فإذن ليس يحتاج الناس اليوم إلى معاينة الآيات في تحقيق هذا الدين، إلاّ من رفع نفسه عن استعمال العقل، وشارك البهائم في جهلها وقلة إدراكها.

[1] [لا أحتاج للقول بأن هذه الفكرة على تعارض كلي مع سياسة عُمرَ غير المتعصبة والمتسامحة.ــ **موير**.]

Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[الختام]

لقد شرحت لك قصّة المسيح سيدنا على غاية الاختصار، وبعض أخبار الحواريين الذين نقلنا عنهم ديانتنا، التي نحن متمسكون بها ومنتحلون لها فاجمع الآن ما تريد جمعه منها إلى ما في يدك، واستعمل الإنصاف واصدق نفسك ولا تغشّها وإنْ قبلت مني فإنّي لك من النّاصحين يشهد الله والملائكة علي بذلك إنْ تركت مشاركة الفجرة الجَّهال وأقبلت إلى إحراز علم ما غاب عنهم من برهان الحقّ عن دينه. فإذن ليس يحتاج اليوم الناس إلى معاينة الآيات في تحقيق هذا الدين إلاّ من رفع نفسه عن استعمال العقل وشارك البهائم في جهلها وقلّة إدراكها. وأقبلت إلى نور الإنجيل وضياء بشارة المسيح تَصر من أوليائه، وترد ملكوت السَّماء وحياة الأبد التي لا انقطاع لها، والنعيم التي لا تبلغه صفة الأميين، وخف من سلطانه على بدنك ونفسك الذي هو يقدر أنْ يرحمك ويقبلك كما يقبل الأب الولد الشَّارد؛ فإنَّك تكون من الموفقين، فإنَّ حجة الله، تبارك اسمَّه، عليك ظاهرة، لما قد خصّك الله به من العقل، وفضلك من الزيادة على غيرك فلا تغفلْ، ولا تغترْ بهذه الدنيا، وتتعلّق بأسبابها وتنغمس في شهواتها! فإنّها غدّارة مهلكة لمن مال إليها. وانظرْ لنفسك قبل فوت النظر! وردّد فكرك في ما قد كتبتُه إليك وشرحته لك من الأشياء التي قلدتها كتابي هذا. وقسْ بعضها ببعض! واستعمل في ذلك قانون العدل وميزان الحقِّ وآثره! وملْ إليه وتجنّب الباطل وتنح عنه واهربْ من الأمور المذلّة! فإنها إنَّما هي بهرجة على قومٍ جهالٍ أغبياء لا علم لهم ولا معرفة ولا تأدب ولا حكمة ولا نظر ولا شريعة، فليس هذا الأمر من الأمور التي يجوز أن يُغفل عنها حتى لا يلتفت إليه، لأنّه هو الأمر المحصول عليه في الوقتيْن معاً: في هذه العاجلة، وفي الآجِلة، وقتٌ لا يُقبل منك فيه العذر ولا ينفع الاحتجاج. واعلمْ علماً يقيناً إنَّ من كفر بالطّاغوت وآمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى، التي لا يخيب مَنْ طلبها لرضا الرّب. وأجهد نفسه بالتقرّب إليه بما قد فرضه في كتبه! أمّا أنا فقد بلغتُ جهد طاقتي في النّصيحة لك، ولكل من نظر في كتابي هذا، وما أبقيت عند نفسي في ذلك غاية. واسأل الله أنْ يوفقك، وإيانا، على العمل الصَّالح بطاعته، ويعصمنا من معاصيه، ويشركنا في ملكوته مع أوليائه الذين رضي عنهم بجوده وكرمه.

والسّلام عليكَ ورحمة الله وبركاته ــ آمين